عملنا في الكتاب

سار عملنا في الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ نص رسالة «أيها الولد» نسخا علميًا دقيقًا من النسخة الأزهرية.

٢- مطابقة نص الرسالة على نسخة جامعة الملك سعود ومراجعتها.

٣- نسخ شرح «أيها الأخ» نسخا علميًا دقيقًا من نسخة دار الكتب المصرية.

٤- مطابقة النص جيدًا ومراجعته.

٥- وضع نص رسالة «أيها الولد» ومن تحته «أيها الأخ» زيادة في الإيضاح.

٦- وضع عناوين للنصائح.

٧- تخريج الآيات القرآنية وفق مواضعها من المصحف الشريف.

٨- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وفق مواضعها من كتب السنة النبوية المطهرة.

٩- التعليق على المواضع التي تحتاج زيادة إيضاح، أو بسط مسألة، أو بيان مشكل.

١٠- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

١١- صنع مقدمة حول علم التصوف، مع ترجمة وافية للإمام الغزالي، والشيخ صبري.

١٢- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

obeikandl.com

اللوحة الأولى من النسخة الأزهرية لرسالة «أيها الولد»

اللوحة الأخيرة من النسخة الأزهرية لرسالة «أيها الولد»

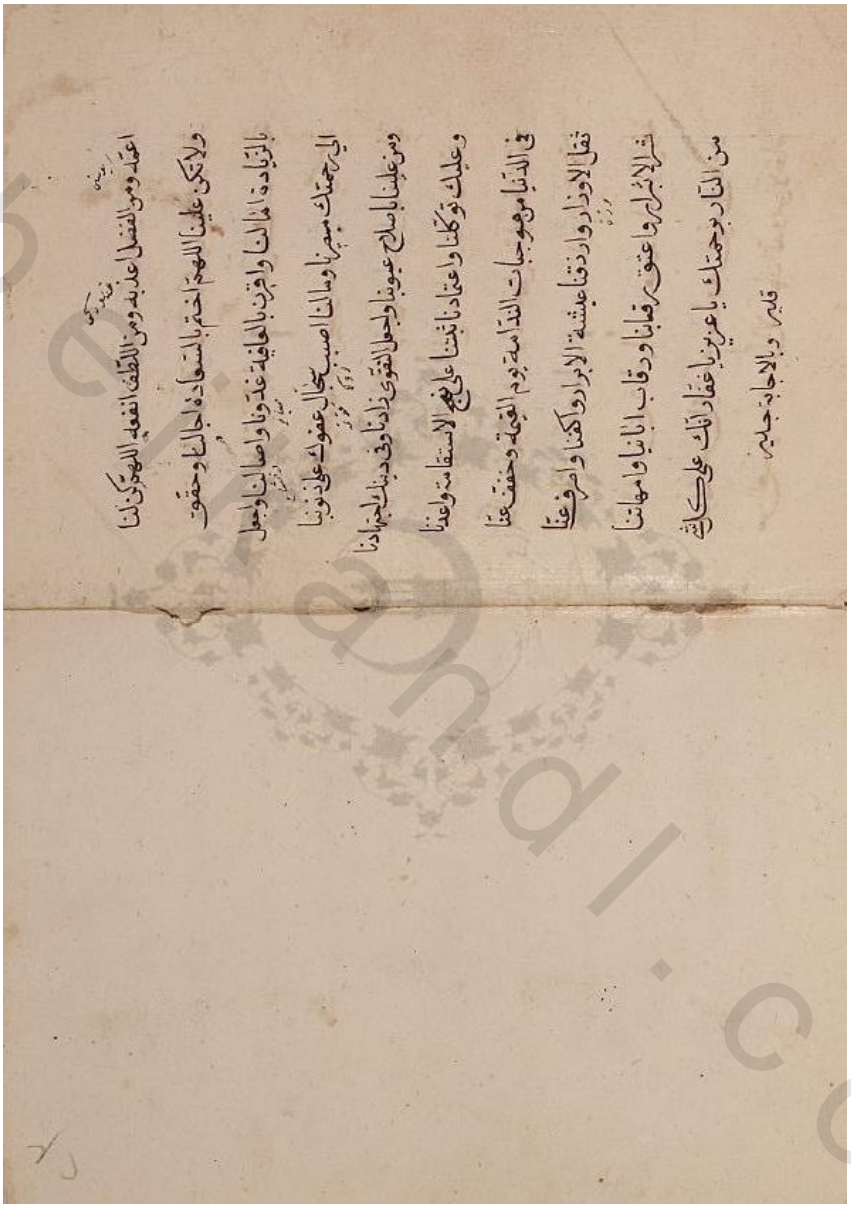

اللوحة الأولى من نسخة جامعة الملك سعود لرسالة «أيها الولد»

كتاب أيها الولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين

والصلوة على نبيه محمد وآله وصحبه اجمعين

اعلم ان واحدا من طلبة المتقدمين لازم حضرة

الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام ابي حامد

محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه واشتغل

بالتحصيل وقرأ العلم عليه حتى جمع منه

دقائق العلوم واستكمل فضائل النفس ثم انه

تفكر يوما في حال نفسه وخطر على باله

اللوحة الأخيرة من نسخة جامعة الملك سعود لرسالة «أيها الولد»

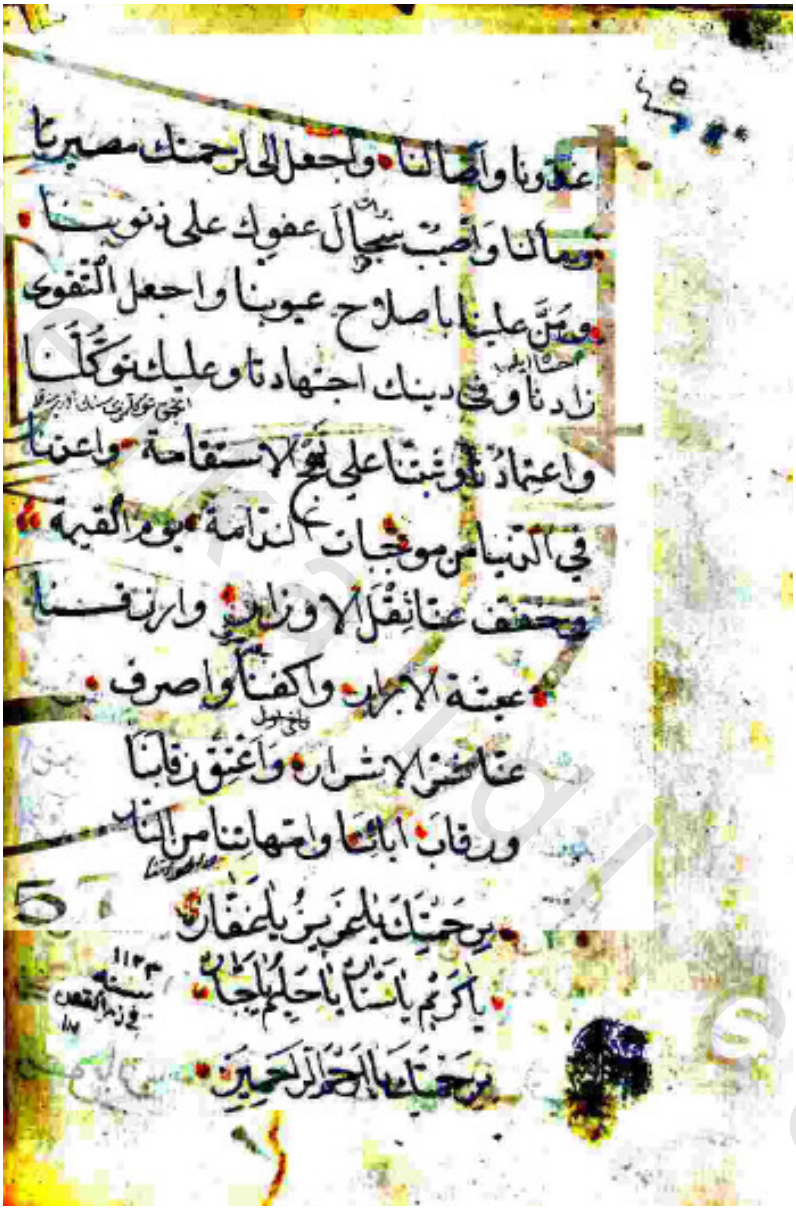

طرة المخطوط لكتاب «أيها الأخ»

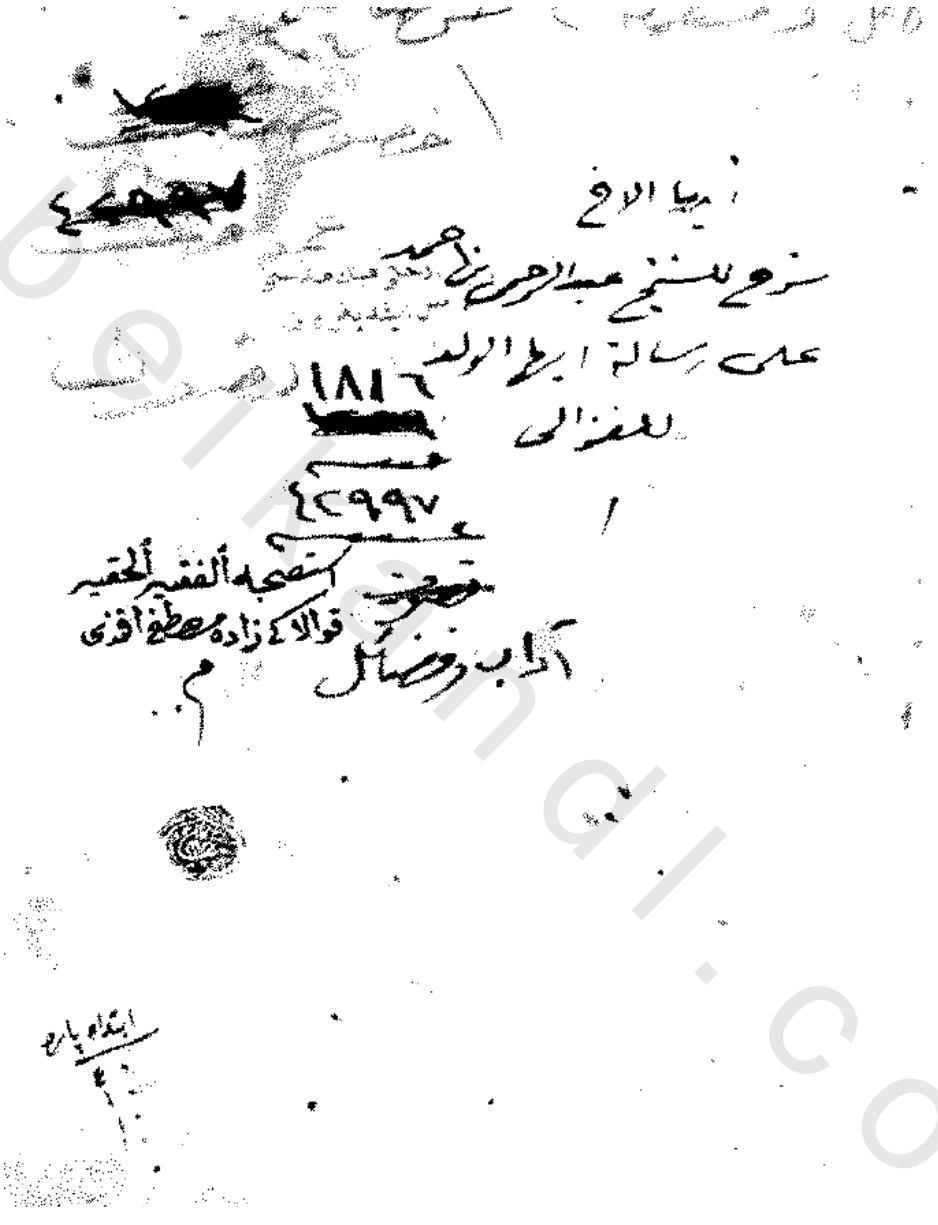

اللوحة الأولى لكتاب «أيها الأخ»

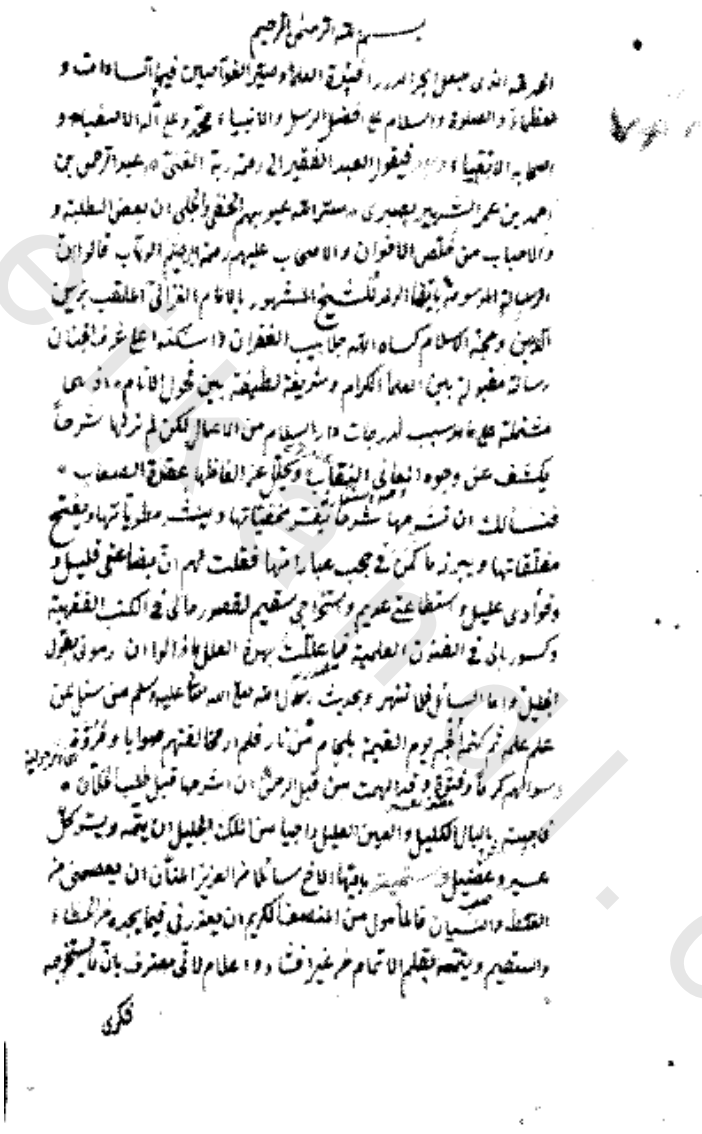

اللوحة الأخيرة لكتاب «أيها الأخ»

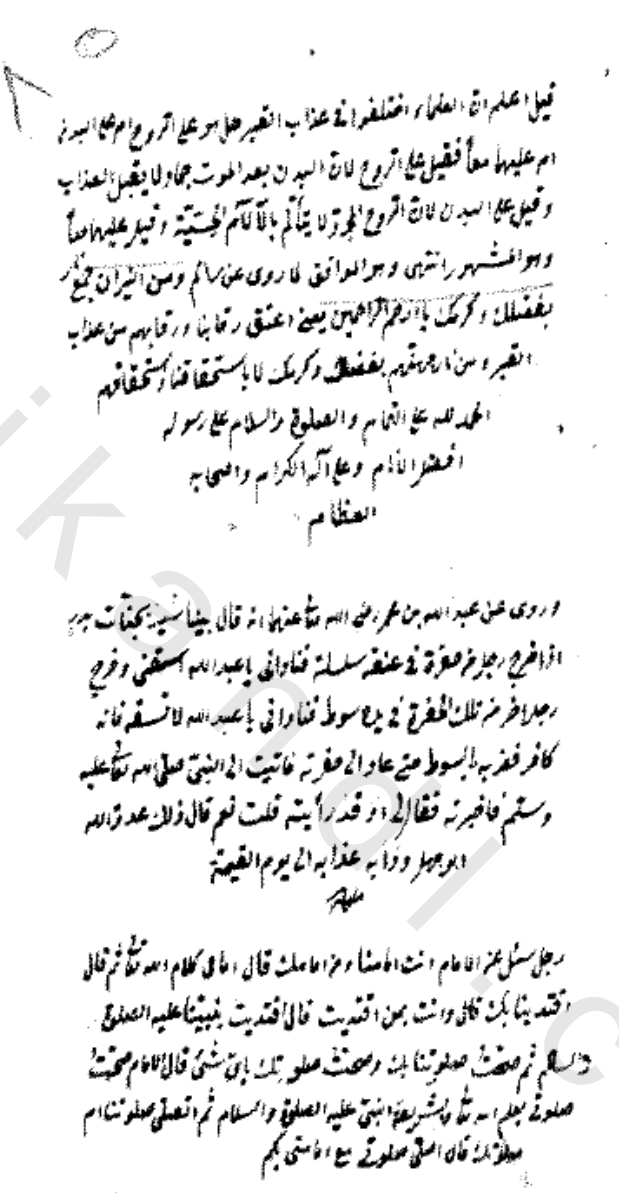

قيل اعلم ان العلماء اختلفوا في عذاب القبر هل هو على الروح ام على البدن
ام عليهما معاً فقيل على الروح لان البدن بعد الموت جماد لا يقبل العذاب
وقيل على البدن لان الروح المجرد لا يتألم بالآلام الجسمية وقيل عليهما معاً
وهو الشهر والحق وهو الموافق لما روى عن سالم ومن النيران جميع
بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين يعني اعتق رقابنا ورقاب ابائنا من عذاب
القبر ومن النار وجميع المؤمنين بفضلك وكرمك يا مستحق ذلك ومستحقوه

الحمد لله على التمام والصلوة والسلام على رسوله
افضل الانام وعلى آله الكرام واصحابه
العظام

وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال بينما نحن جلوس
اذ خرج رجل من صخرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني وخرج
رجل آخر من تلك الصخرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فانه
كافر فضربه بالسوط حتى عاد الى صخرته فاتيت الى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاخبرته فقال لي هل قد رأيته قلت نعم قال ذلك عدو الله
ابو جهل وذاك عذابه الى يوم القيمة

رجل سئل عن الامام انت امامنا وخير اعمالك قال اعلى كلام الله تقدم ثم قال
اقتدينا بك فانى وانت بمن اقتديت قال اقتديت بنبينا عليه الصلوة
والسلام ثم صحت صلوتنا بك وصحت صلوتك بمن شئ قال الامام صحت
صلوتي بصلوة نبينا ونبينا بشريعة النبي عليه الصلوة والسلام ثم اتصلى صلوتنا ام
صلوتك قال اصلي صلوتي مع اصلي بكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل أبحر الدرر أفئدة العلماء، وصير الغواصين فيها السادات والعظماء، والصلاة والسلام على أفضل الرسل والأنبياء، محمد وعلى آله الأصفياء وأصحابه الأتقياء.

وبعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني عبد الرحمن بن أحمد بن عمر الشهير بـ(صبري)، ستر الله عيوبهم الخفي والجلي: إن بعض الطلبة والأحباب من خلص الإخوان والأصحاب عليهم رحمة الرحيم الوهاب قالوا: إن الرسالة الموسومة بـ «**أيها الولد**» للشيخ المشهور بالإمام الغزالي الملقب بزين الدين وحجة الإسلام كساه الله جلاليب الغفران وأسكنه أعلى غرف الجنان، رسالة مقبولة بين العلماء الكرام، وشريفة لطيفة بين فحول الأنام؛ إذ هي مشتملة على ما هو سبب لدرجات دار الإسلام من الأعمال، لكن لم نر لها شرحًا يكشف عن وجوه المعاني النقاب، ويحلل عن ألفاظها عقدة الصعاب، فنسألك أن تشرحها شرحًا يفسر مخفياتها، وينشر مطوياتها، ويفتح مغلقاتها، ويبرر ما كمن في حجب عباراتها.

فقلت لهم: إن بضاعتي قليل، وفؤادي عليل، واستطاعتي عديم، واستخراجي سقيم؛ لقصور مالي في الكتب الفقهية، وكسور بالي في الفنون العلمية.

فما عللت بهذه العلل فإذا هم رموني بقول الجليل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠] وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** »[1].

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/٣٢١، رقم ٣٦٥٨)، والترمذى: (٥/٢٩، رقم ٢٦٤٩) وقال: حسن. وابن ماجه: (١/٩٨، رقم ٢٦٦)، وأحمد: (٢/٣٤٤، رقم ٨٥١٤)، والحاكم: (١/١٨٢، رقم ٣٤٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان: (٢/٢٧٥، رقم ١٧٤٣).

فلم أر مخالفتهم صوابًا ومروءة وسؤالهم كرمًا وفتوة، وقد ألهمت من قبل الرحمن أن أشرحها قبل طلب الخلان، فأجبته بالبال الكليل والعين العليل راجيًا من الملك الجليل أن يتمه، وييسر كل عسير وعضيل، وسميته بـ «**أيها الأخ**» سائلا العزيز المنان أن يعصمني من الغلط والنسيان، فالمأمول من المنصف الكريم أن يعذرني فيما يجده من الخطأ والسقيم، ويتمه بقلم الإتمام من غير إفشاء وإعلام؛ لأني معترف بأن ما يستخرجه فكري غير سقيم، ومقر بأن حفظي أسوء الذميم، ومفترق في بحار العصيان، ومحجب عن فضل الرحمن، نعم ما قيل[1]: [الوافر]

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفظي فأوصاني بترك المعاصي
فإن الحفظ فضل من الله وفضل الله لا يُعطى لعاصي

ثم المسؤل من الله العظيم أن يجعل ما قصدته خالصًا لوجهه الكريم، وزخرًا لي يوم الدين، الذي يُسئل فيه عن النعيم، وسراجًا حين وضعت في اللحد بلا أنيسا، حين تركت فيه وحيدًا وفريدا، وأن ينفع به قارئه وسائر طالبيه إنه مولى كل شيء ومعطيه، وهو حسبي ونعم الحكيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعلم أنه لما رأى بعض من الرواة والناقلين هذه الرسالة المسماة بـ«**أيها الولد**» مقرأة من خلعة الديباجة التي يلبس المؤلفون كتبهم ويحلي المصنفون أول تصانيفهم بها؛ أراد واحد منهم أن يلبس بهذه الرسالة الشريفة خلعة الديباجة، ويحلي أولها بها فألبسها لينظمها في سلك المؤلفين المعظمين في كونها مُعَنْوَنَةٌ بالبرجة، وليبين سبب تأليفها.

ثم لما كان من الأمور المقررة بين الفضلاء المهرة أن شرف كل ذي بال ليس إلا بذكر الله عليه، وأن خروجه من الارتداد والنقصان ودخوله في باب القبول والتمام ليس إلا بتشبث جعل رحمة الله المنان، وأن عروجه إلى قبول حفرة السلام إنما هو برقي الصلاة في سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام.

أراد الرواي أن يذكر هذه الأمور الثلاثة في أول الديباجة.

---

(١) البيت للإمام الشافعي رضي الله عنه، والرواية في الديوان:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ونورُ الله لا يهدى لعاصي

انظر: الديوان ١/٦١.

بسم الله الرحمن الرحيم

[شرح الديباجة]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين.

(اعلم أن واحدًا من الطلبة المتقدمين، لازم خدمة الشيخ الإمام زين الدين حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه، واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه، حتى جمع من دقائق العلوم، واستكمل من فضائل النفس، ثم إنه تفكر يومًا في حال نفسه، وخطر على باله فقال: إني قرأت أنواعًا من العلوم، وصرفتُ ريعان عمري على تعلمها وجمعها، فالآن ينبغي أن أعلم أي نوعٍ ينفعني غدًا ويؤانسني في قبري؟ وأيها لا ينفعني حتى أتركه؟.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ» رواه مسلم وغيره[1].

فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب إلى حضرة الشيخ حجة الإسلام محمد الغزالي –رحمه الله تعالى– استفتاه، وسأل عنه مسائل، والتمس منه نصيحة ودعاء.

وقال: وإن كانت مصنفات الشيخ كـ«الإحياء» وغيره يشتمل على جواب مسائلي، لكن مقصودي أن يكتب الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة حياتي، وأعمل بما فيها مدة عمري إن شاء الله تعالى.

فكتب الشيخ هذه الرسالة إليه في جوابه، والله أعلم).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٨، رقم ٢٧٢٢) والنسائى (٨/٢٦٠، رقم ٥٤٥٨)، و أحمد (٤/٣٧١، رقم ١٩٣٢٧)، وعبد بن حميد (ص ١١٤، رقم ٢٦٧)، والطبرانى (٥/٢٠١، رقم ٥٠٨٦).

فقال في (**بسم الله الرحمن الرحيم**): بدء بالبسملة اقتداء بالكتاب العظيم وعملا بحديث الرسول الكريم.

ولما افتتح بها عقبها بالحمدله، موافقة بالقرآن الحكيم، وسلوكًا مسلك المصنفين في تقديم الحمد بعد التبرك بالبسملة على مرامهم.

فقال: (**الحمد**) مصدر من حمد يحمد، من باب علم، وهو في اللغة: الثناء، وفي الاصطلاح هو: الوصف بالكمال على قصد الإجلال، واللام فيه للجنس. وهو قول صاحب «الكشاف» فيه: أو للاستغراق، وهو قول صاحب «المفتاح» فيه. فالمعنى جنس الحمد أو جميع أفراد الحمد لله، وهو علم لذات الواجب الموجود المستجمع بجميع الصفات، ولذا لم يقل الرواي للخالق أو للرازق أو نحوهما مما يوهم اختصاص الحمد بوصف دون وصف، فإن تعليق الحكم بالمشتق يغب عليه مأخذ الاشتقاق للحكم المذكور كما هو المشهور بين الجمهور.

ولما أنبأ عن أوصافه الكمالية إجمالا في ضمن ذكر علمه الخاص شرع أن يذكر بعض أوصافه الكمالية في مقام الحمد شكرا له.

فقال: (**رب العالمين**) أي: مالك جميع العالمين ومربيهم ومصلحهم؛ لأن الرب مصدر في الأصل ليستعمل بمعنى المالك والمربي والمصلح، والعالم اسم لكل موجود سوى الله، ويتناول الذات والأعراض كلها، وليشهد له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] وإنما جمع مع أنه اسم جمع وهو لا يجمع إلا شذوذًا كما بين في موضعه ليشمل كل جنس مما سمى به؛ وذلك لأنه يقال: عالم الجواهر، وعالم الأعراض، وعالم الحيوانات، فلو أفرد لتوهم أنه إشارة إلى عالم مخصوص، كذا والألف واللام فيه للاستغراق كما أشرنا إليه.

وحاصل معنى قوله (**الحمد لله رب العالمين**) أن جنس الحمد وجميع أفراده مختص لذات الواجب الوجود المستجمع بجميع الصفات مالك جميع الموجودات ومربيهم ومصلحهم.

(**هذا وكن من الشاكرين والعاقبة**) أي: الجنة، كذا فسرها ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] وهي آخر كل شيء يقال: عاقبة كل شيء آخره، وإنما فسرت بها لكونها آخر كل شيء في الآخرة من الحساب والسؤال والميزان وغيرها.

(**للمتقين**) أي: للمتمثلين بأوامر الله والمجتنبين عن نواهيه، وسيجيء معنى التقوى لغة وشرعا إن شاء الله تعالى.

لما فرغ من البسملة والحمد له شرع في التصلية على النبي عليه السلام فقال: (**والصلاة**) وهي في اللغة: الدعاء، وفي الاصطلاح هي: من الله الرحمة ومن العباد الدعاء ومن الملائكة الاستغفار، وفي الشريعة هي: عبارة عن الأركان المعلومة والأفعال المخصوصة؛ فإن قيل: أنه قصد بالصلاة معنى الاصطلاحي وهو الرحمة فلا يجوز؛ لأنه إنما يحصل من رقة القلب وهي محال في حقه تعالى. إذ هي كيفية نفسانية تستحيل في حقه تعالى، قلنا: هي محمولة على غايتها وهي الرضاء والإنعام والتفضل والإحسان، وبمثل هذا يأول الكيفيات المنسوبة إلى الله تعالى في القرآن كالحياء والغضب وغيرهما فصلاته تعالى عباده وليست إلا الرضاء والأنعام والتفضل والإحسان.

وأما صلاته تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، فتعظيم شأنه وفي الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته كذا قال: الجمهور وفي لفظ الصلاة أبحاث كثيرة قد تركناها مخافة التطويل والسآمة.

(**نازلة من الله على نبيه**) فعيل بمعنى: فاعل من النبأ، وهو: الخبر يقال: نبأ وأنباء ونباء، أي: خبر وجمعه نبئاء كعليم وعلماء. فيكون المعنى هكذا والصلاة نازلة من الله تعالى على المخبر الصادق الذي أخبر عن أوامر الله تعالى ونواهيه، أو بمعنى مفعول من النبوة بمعنى الرفعة. يكون المعنى هكذا والصلاة نازلة من الله تعالى على من هو مشرف على سائر الخلق.

والنبي إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه الله إليه والرسول قد يستعمل مرادفا له، وقد يخص بمن هو صاحب كتاب وشريعة وقد يراد القدر المشترك بينهما، وهو

المرسل من عند الله تعالى لدعوة عباده سواء كان صاحب شريعة أو لا وتمام تحقيق الفرق بينهما وسائر المباحث في حاشية شرح الزنجاني للفاضل النحرير الشهيد روح الله روحه الخطير وخلاصته.

معنى قوله: (**الصلاة والسلام على نبيه**) أن التعظيم في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته في الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته نازل من جانب حضرة العزة على المخبر الصادق الذي أخبر عن أوامر الله تعالى ونواهيه أو على من هو مشرف على سائر الخلق هذا ولا تنس الفقير من دعائك الخير لأن الدعاء سريع إجابته من الغير.

ولما فرغ من التصلية على النبي عليه السلام مطلقا فسرنا (الآل) بها كما قيل: كلما ذكر الآل وحده يكون المراد به الاتباع مطلقا، وإذا ذكر مع الأصحاب يراد به أهل نبيه عليه السلام فقط. لأنه يستعمل بكلا المعنيين قال: في الصحاح: آل الرجل أهله وعياله وآله أيضا أتباعه انتهى[١].

وقوله: (**أجمعين**) مجرور على أنه تأكيد معنوي لآله.

ولما فرغ من البسملة والتحميد والتصلية شرع فيما كان داعيا وسببا لهذا التأليف الشريف فقال مخاطبا خطابا عاما: (**أعلم أيها الطالب كائنا من كان**) أمر من علم يعلم، وفي هذه الكلمة أقوال كثيرة (**فاطلبها من الكتب الخطيرة**) أن واحدا كائنا من [الطلبة] وهي الجمع المذكر المكسر لاسم الفاعل على وزن فعلة بفتح الفاء والعين المتقدمين،، أي: الذين تقدموا لازم على وزن فاعل، أي: باشرذام خدمه الشيخ الإمام هي في اللغة العبودية، يقال خدمه يخدمه أطاع أمره والشيخ في اللغة من استبانت فيه السن من أربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين. وجمعه شيوخ وأشياخ وشيخان كذا في القاموس، وفي العرف: من اتصف بالفضائل لو كان شابا[٢].

---

(١) انظر: الصحاح: ١٦٧٢/٤.

(٢) انظر: القاموس المحيط: ٣٣٥/١، تاج العروس: ٢٨٦/٧.

إذا عرفت هذا فاعلم أن إطلاق لفظ شيخ على الإمام الغزالي إنما هو على المعنيين، أما من حيث العرف فظاهر. أما من حيث اللغة فلأن مدة عمره رحمه الله تعالى خمس وخمسون أو أربع كما سيجيء.

و(**الإمام**) بكسر الهمزة اسم يؤتم ويقتدى به غلب على من يقتدي به في الخير.

(**زين الدين**) أي: مزين هذا أعني قوله زين الدين مع قوله: (**حجة الإسلام**) لقب الشيخ الإمام.

الدين. في اللغة: الجزاء، وفي الشريعة: وضع آلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، وقيل: الثبات على الخصال الأربع إلى الموت، وهي: معرفة الله تعالى بالواحدانيته، ونفي الشريك والأمثال والأضداد عن ذاته وصفاته، والإقرار باللسان والتصديق بالجنان بوحدانية الله تعالى، وعبادة الله بالوحدانية. فالأول يسمى: معرفة، والثاني: توحيدا، والثالث: إيمانا، والرابع: إسلاما. والثبات على هذه الخصال الأربع إلى الموت دينا فمن لم يثبت عليها فيكون في الآخرة من الخاسرين كما قال: الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

(**حجة الإسلام**) أي: دليل وبرهان في الكلام، وهو في اللغة: التسليم والانقياد. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤] والإيمان في اللغة: هو التصديق والإذعان.(١) قال: الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧] وفي الشرع هما واحد عند أهل السنة والجماعة وهو تصديق النبي عليه السلام في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به والإقرار به، يعني: أن الإيمان والإسلام تصديق النبي عليه السلام في جميع ما علم بالضرورة مجيئه من عند الله من التوحيد والقرآن وسائر الأحكام، وقبوله أياه بالجنان والإقرار به باللسان تفصيلا؛ بأن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى. وإجمالا بأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء العكبري: ١/٤٤٤.

(**أبي حامد**) هذا كنية الشيخ الإمام مجرور على أنه بدل منه محمد مجرور على أنه عطف بيان له بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي بفتح العين وتشديد الراء وبعد الألف لام هذه النسبة إلى الغزالي عادة أهل خوارزم وجرجان فإنهم ينسبون إلى العصار ويقولون: العصارى وإلى العطار ويقولون العطاري وقيل: بفتح الغين والراء المخففة نسبة إلى غزالة وهو خلاف المشهور لكن قال السمعاني في كتاب الأنساب: «كذا في تاريخ ابن خلكان لكن الحق تخفيف الراء»[(١)] على ما قاله الشيخ الإمام في بعض تصانيفه وما أنا غزالي بتشديدها فمن قال: بالتشديد فقد جفاني.

واعلم أن الشيخ الإمام كان من مذهب الشافعي لم يكن للطائف الشافعية في آخر عمره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس وهي ناحية بخراسان يشتمل على مدينتين أحدهما: طابران بفتح الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة ثم راء مهملة مفتوحة وبعد الألف الثانية نون، والأخرى: نوقان بفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون ولهما ما يزيد على ألف قرية قدم على أحمد الزادكاني[(٢)] ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني[(٣)] وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه يتبجح به ولم يزل ملازما له إلى أن توفي الأستاذ فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقي نظام الملك وعظمه وبالغ في الإقبال عليه وكان بحضرة الوزير

---

(١) انظر: الأنساب للسمعاني: ٣٠٩/٩-٣١٠.

(٢) انظر: مرآة الجنان: ١٣٨/٣، ووفيات الأعيان: ٢١٧/٤.

(٣) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيّ. ولد في جوين من نواحي نيسابور، له مصنفات كثيرة، منها «غياث الأمم والتياث الظلم» و«العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية» و«البرهان» في أصول الفقه، و«نهاية المطلب في دراية المذهب» في فقه الشافعية، و«الشامل» في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و«الإرشاد» في أصول الدين، و«الورقات» في أصول الفقه، وغير ذلك كثير.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٧٨/١، وسير أعلام النبلاء: ٤٤٣/٣٥، والمنتخب من كتاب السياق: ٣٦١/١، وطبقات الشافعية: ٤٦٦/١.

جماعة من الأفاضل فجرى بينهما الجدال والمناظرة في عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسة النظامية بمدينة بغداد فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وسلك طريق التزهد والانقطاع وقصد الحج، فلما رجع توجه إلى الشام وأقام بمدينة دمشق مدة يذاكر الدرس في زواية الجامع في الجانب الغربي وانتقل منها إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، ويقال: إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على غرم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين[1] صاحب مراكش مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف

(١) هو: يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك الملثمين سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين. ولد في صحراء المغرب. وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين. وجال جولة في المغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى على مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له، واستخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة ٤٦٣ هـ فاستقلّ به. وبنى مدينة مراكش سنة ٤٦٥ وكتب إليه المعتمد ابن عباد سنة ٤٧٥ من إشبيلية، يستنجده على قتال الفرنج، فزحف بجموعه، فكانت وقعة «الزلاقة» المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنج الزاحف من طليطلة، كسرة شديدة سنة ٤٧٩ وبايعه بعد انتهاء الوقعة، من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعى بالأمير. وضرب السكة من يومئذ وجددها، ونقش دينارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وتحت ذلك «أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين» وكتب فى الدائرة: «من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وكتب في الصفحة الأخرى: «الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسي» وفي الدائرة تاريخ ضرب الدينار وموضع سَكة. وعاد إلى مراكش، وهو على اتصال بإشبيليّة وغيرها. ثم لم يلبث أن سير الجيوش إلى الأندلس. ودخل غرناطة في السنة نفسها وفيها آخر الصنهاجيين عبد الله بن بلكين، فامتكلها وأخذ ابن بلكين معه إلى مراكش. واستولى قائد جيشه شير بن أبي بكر على مرسية وشاطبة ودانية ثم بلنسية وإشبيلية وبطليوس، فتم له ملك الجزيرة كلها، وشمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس. وتوفي بمراكش. وكان

بموضع كان اسمه مراكش معناه: امش مسرعا بلغة المصامدة كان ذلك في الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة وقيل بناها تاشفين في سنة خمس وستين وأربعمائة، فلما عزم إليه بلغة نعي يوسف المذكور فصرف عزمه عن تلك الناحية ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها وهو: الوسيط والبسيط،والوجيز والخلاصة في الفقه، ومنها إحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها، وله في أصول الفقه المستصفي، وله المنخول، والمنتحل في علم الجدل، وله تهافت الفلاسفة، ومحل النظر، ومعيار العلم والمقاصد، والمظنون على غير أهله والمقصد الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى، ومشكاة الأنوار، والمنقذ من الضلال، وحقيقة القولين وكتبه كثيرة وكلها نافعة ثم التزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ثم ترك وطنه واتخذ خانقة للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس إلى أن ينتقل إلى ربه وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة وقيل إحدى وخمسين بالطابران وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأخرى سنة خمس وخمسمائة ودفن بظاهر الطابران وهي إحدى بلد في طوس كما مرت نقل هذا المذكور عن تاريخ ابن خلكان عليه رحمة الرحمن وقيل توفي رحمة الله عليه رابع عشر صفر وخمسمائة ودفن ببغداد ومرقده الشريف وأصبح فيه انتهى[1].

وله رحمة الله تعالى عليه كرامات ومن جملتها أنه توضأ يوم الأثنين وصلى الصبح وقال علي بالكفن، ثم أخذ وقبله وتركه على عينيه وقال سمعا وطاعة لدخول الملك واستقبل القبلة ومات رحمه الله رحمة واسعة.

=

حازما، ضابطا لمصالح مملكته، ماضي العزيمة، معتدل القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصوت، يخطب لبني العباس.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٢٢/٧، وسير أعلام النبلاء: ٢٥٢/١٩، والكامل في التاريخ: ٤١٧/١٠.

(١) انظر: وفيات الأعيان: ٢١٧/٤.

(**رحمة الله تعالى**) هي في اللغة رقة القلب. وميله أي غيره والتعطف عليه[١] يقال: رحمه رحمة ومرحمة إذا تعطف ومال إليه هذا إذا أضيفت إلى المخلوقين وأما إذا أضيفت إلى الله كما هنا محمولة على غايتها وهي الرضاء والأنعام لأن الرقة تستحيل في حقه تعالى إذ هي كيفية نفسانية لا تليق بذاته تعالى كما مر فالحاصل المعنى رضاء الله تعالى وإنعامه نازل عليه، أي: على الشيخ الإمام الهمام وعلى سائر المصنفين الكرام.

و(**اشتغل**) أي: وصار الواحد الملازم مشغولا.

(**بالتحصيل**) أي: بتحصيل العلم.

و(**قرأ**) أي: الواحد الملازم وفي بعض النسخ (**وقراءة**) على وزن فعالة بكسر الفاء، فيكون معطوفا على قوله: (**بالتحصيل**) ومضافا إلى قوله: العلم، وهو وصف يتجلى به المذكور لمن قامت به، وقيل: هو معرفة المعلوم على ما هو به. قيل: هو اعتقاد الشيء على ما هو منه ضرورة أو دليل ولكل واحد منهما أسئلة وأجوبة فاطلبها في علم الكلام سيما هي شرح بحر الكلام المسمى بغاية المرام[٢].

(**وعليه**) أي: عن الشيخ الإمام الهمام الملقب بزين الدين حجة الإسلام فعلى هنا بمعنى يقال فلان قد قرأ علي، أي: عني.

(**حتى جمع**) أي: إلى أن جمع الواحد فحتى بمعنى إلى.

(**من دقائق العلوم**) أي: من غوامض العلوم وأسرارها والدقائق جمع دقيقة وهي مقابلة الجليلة والمراد بها الغوامض.

(**وحتى استكمل**) أي: إلى أن أتم الواحد الملازم.

(**وكمل فضائل النفس**) أي: فضائل لنفسه وهي جمع فضيلة وهي المزية والغلبة على غيره والمراد بها هنا مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومحامد الأفعال التي لا يتعدي أثرها

---

(١) انظر: لسان الميزان: ١٣/٢٣٠، وتاج العروس: ٣٤/٤٥٨.

(٢) هو كتاب غاية المرام في علم الكلام تأليف أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، المتوفى سنة ٦٣١هـ، وطبع في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

openkanal.com

للغير، والنفس وهي الجواهر الجاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكماء: الروح الحيوانية، وقيل: هي جواهر جسماني نوراني حاصل للبدن سار فيه، وقيل: هي عبارة عن صفة الحياة.

وحاصل معنى قوله: (واشتغل) أي: أن الملازم صار مشغولا اشتغالا تامًا بتحصيل العلم وجهة وقراءة عن الشيخ الإمام يوما فيوما إلى أن يحصل بالتدريج الجمع من غوامض العلوم وأسرارها واستكمال مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومحامد الأفعال لنفسه.

وهذا وكن من الشاكرين وإنما قلنا أن حاصل المعنى هكذا لأن في حتى معنى التدريج كما أشرنا إليه آنفا.

(**ثم**) أي: بعد التحصيل والجمع من الغوامض العلوم وبعد استكمال مكارم الأخلاق.

(**أنه**) أي: الواحد الملازم.

(**تفكر**) أي: تأمل بالفارسية «أنديشة كرد».

(**يوما**) أي: في يوم من الأيام وهو في اللغة الوقت مطلقا سواء كان ليلا أو نهارا قصيرا أو طويلا، وفي الاصطلاح هو الزمان من طلوع الشمس إلى غروبها وفي الشريعة هو الزمان من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

(**في حال نفسه**) أي: في حال واقعة في نفسه وذاته فالإضافة بمعنى في الحال في اللغة كيفية الإنسان وما هو عليه والحال الوقت الذي أنت فيه كذا في القاموس[1].

وفي اصطلاح الصوفيين: «معنى يرد عل القلب من غير تصنع ولا اجتذاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أولا» وتعريف النفس قدم آنفا.

وحاصل المعنى أن الواحد المعنى أن الواحد الملازم تأمل يوما من الأيام في حال واقعة في نفسه.

(**وخطر**) أي: وقع الفكر واختلج على باله، أي: على قلب الواحد الملازم وسيجيء تعريفه إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/١١٧٩.

(فقال) أي: الملازم.

هذا بيان وتفصيل لما خطر على قلبه بعد التفكر والتأمل أني قرأت بصيغة المتكلم وحده.

(أنواعا) أي: أصنافا يقال: صنفه نوع الشيء صنفه كائنة من العلوم، وصرفت من الصرف، أي: بذلت واتلفت وهو في اللغة الدفع والرد يقال: صرفته، أي: دفعته ورددته في العرف هو بذل ما ملكه وإتلافه وفي الشريعة هو الأثمان بعضها ببعض والمراد بالصرف هنا المعنى العرفي ولذا فسرناه به.

(ريعان عمري) أي: شباب مدة حياتي، الريعان بفتح الراء أول كل شيء، يقال: ريعان كل شيء أوله فرع الإنسان هو عنفوان الشباب، أي: أوله والعمر في اللغة مدة حياة الإنسان، وفيه ثلاث لغات الأول فتح العين مع سكون الميم، والثاني في ضم العين مع سكونها، والثالث ضمهما، أما لو استعمل في القسم كما يقال: «لعمرك لأفعلن كذا» فيختار الفتح للخفة.

(على تعلمها) أي: على تعلم العلوم وعلى جمعها.

(والآن) أي: في هذا الوقت.

(ينبغي) أي: يجب.

واعلم أن كلمة ينبغي مثبتة كانت أو منفية تجيء بمعنى الصحة والاستقامة والوجوب على مقتضى المقام، وهذه المعاني الثلاثة وإن كان كل منها جائزا وممكنا هنا لكن المعنى الأخير أجرى وأولى وستطلع عليه أن صدقت في التأمل ولذا اخترناه وفسرناه به.

(أن علم) أي: علمي.

وقوله: **(أي)** مرفوع لفظا على أنه مبتدأ مضاف إلى نوعها، أي: من أنواع العلوم ينفعني، أي: يعطيني نفعا وفائدة، هذه الجملة مرفوعة المحل على أنها خبر لقوله، أي: وهي مع خبرها منصوبة المحل على أنها قائمة مقام مفعولي قوله أن اعلم على طريق قوله لتعلم،

أي: الحزبين أحصى غدا وهو في اللغة اسم ليؤمر الذي بعد يومك الذي أنت فيه والمراد به يوم القيامة وإنما عبر عنه تنبيها على قربه وعلى سرعة زوال الفانية الحقيرة.

(**ويؤنسني**) أي: يكون مؤنسا ومصاحبا إلى قبري حيث يتخلف عني أهلي ومالي وولدي وأصدقائي القبر في اللغة الدفن يقال قبر الميت، أي: دفنه بابه ضرب ونصر وفي الاصطلاح هو مدفن الإنسان نعوذ بالله العظيم بحرمة رسوله الكريم من كونه حين وضعنا فيه حفرة من حفر الجحيم.

(**ويجب علمي أيها**) أي: نوع من أنواع العلوم.

(**لا ينفع**) أي: لا يعطي إلي نفعا يوم الدين الذي يسئل فيه عن النعيم.

(**ولا يؤنسني في لحدي حين وضعت فيه فريدا حتى أتركه**) أي: كي أتركه لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى وسلم: « **اللَّهُمَّ – معناه يا الله– إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ** »، أي: لا يعمل به ولا يحتاج إليه في الدين كذا في «شرح المشارق» لا بن مالك وتتمة الحديث هكذا « **وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ** »[١] تم الحديث.

واعلم أن العلم الذي لا ينفع لصاحبه يوم القيامة هو العلم الذي يتعلم صاحبه لا لقصد تحصيل إرضاء الله ولا للعمل بموجبه ومقتضاه بل لينال نعم الدنيا ويصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ويتفاخر به العلماء ويماري به السفهاء[٢].

فهذا العلم في الحقيقة سم قاتل وضرره أكثر من ضرر المعاصي ووابل لما أخرج الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود: (٢/٩٢، رقم ١٥٤٨)، والنسائي: (٨/٢٦٣، رقم ٥٤٦٧)، وابن ماجه: (٢/١٢٦١، رقم ٣٨٣٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة: (٦/١٧، رقم ٢٩١٢٦)، وأحمد: (٢/٣٤٠، رقم ٨٤٦٩)، والحاكم: (١/١٨٥، رقم ٣٥٤) وقال: صحيح.

(٢) هذا القول مستفاد من الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ» سنن ابن ماجه:: ٢٥٣).

obeikandl.com

قال: رسول الله عليه السلام: « **إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ**»[١].

ولما قال: سيد الأنام وعديم المثال في الخلق والخلق والخصال: «**لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار**»[٢] ولما قال: أسامة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:: «**يؤتى بالعالم الذي لا يعمل بعلمه يوم القيامة فيلقى في النار فيندلق اقتابه**»، أي: يخرج أمعاؤه «**فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ فيقول: كنت آمرا بالخير ولا آتيه وناهيا عن الشر وآتيه**»[٣].

وإنما يضاعف العذاب للعالم الغير العامل لأنه عصى الله تعالى عن علم كما قال: سيد البشر وإمام المحشر صلى الله تعالى عليه وسلم «**يعذب الجاهل مرة حيث لم يعلم ويعذب العالم ألف مرة حيث لم يعمل بما علمه الله تعالى**» فوجب على العالم أن يجتهد في تصفية نيته حين تعلم العلم وتعليمه ويبذل جهده في العمل بمقتضاه وموجبه.

ثم أعلم أن مثل هذا العالم مثل صخرة وقعت على فم النهر لا تشرب الماء ولا تتركه فيخلص إلى الزرع، وقال عيسى صلوات الله على نبينا وعليه: «**مثل العالم الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها ففضحت**».

فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق، اللهم اجعلنا من السالكين بالعلم إلى طريق العمل ولا تفضحنا يوم التناد وبسوء العمل.

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الصغير: (١/٣٠٥، رقم ٥٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢/٢٨٤، رقم ١٧٧٨).

(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه: (١/٩٣، رقم ٢٥٤)، وابن حبان: (١/٢٧٨، رقم ٧٧)، والحاكم: (١/١٦١، رقم ٢٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢/٢٨٢، رقم ١٧٧١).

(٣) أخرجه البخاري: (٣/١١٩١، رقم ٣٠٩٤)، ومسلم: (٤/٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٩)، وأحمد: (رقم ٢١٨٣٢).

ثم اعلم أيها الأخ في الدين: أن من كان هكذا فتسميته جاهلا أولى من أن تسميه عالما لأنه العالم الحقيقي هو الذي يعرف بالعلم ربه ونفسه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وهذا العلم يزيد صاحبه خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه وتقصيره في القيام لشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله تعالى: «**من ازداد علما ازداد وجعا**»(١) وهو كما قال.

والحاصل أن العالم الغير العامل أخسر حالا وأشد عذابا وأطول سؤالا يوم القيامة نعوذ بالله من كوننا عالمين غير عاملين.

(**فاستمرت**) أي: استدامت له، أي: للواحد الملازم.

(**هذه الفكرة**) بكسر الفاء، أي: التأمل والحاجة يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر، أي: تأمل وحاجة قيل: إن الذي وقع في القلب أولا يسمى هاجسا وإذا لبث يسمى واجسا وإذا قوي يسمى خاطرا وإذا قر يسمى فكرا.

وحاصل المعنى أن هذه الفكرة والتأمل مرت على القلب الملازم ودامت فيه يوما فيوما.

(**أنا فأنا حتى كتب**) أي: إلى أن كتب الواحد الملازم ورقة إلى حضرة الشيخ الملقب بزين الدين وحجة الإسلام.

(**استفتاء**) أي: لأجل طلب الفتوى في العلوم.

(**ليعلم الملازم**) أي: نوع من أنواعها ينفعه غدا فيعمل به وأيها لا ينفع فيتركه.

(**وسئل**) أي: طلب عنه، أي: الشيخ الإمام مسائل هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك معرفتها كذا في تعريفات السيد.

(**والتمس**) أي: طلب الالتماس والطلب مع التساوي بين الآمر والمأمور في الرتبة لكنه إنما يستعمل في العرف في موضع التواضع في الجملة من جانب الملتمس، وبينهما كذلك.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٦/٣٦٣)، وانظر: الإحياء (٥/١٤٢).

(وإلا فأين الشيخ من الملازم منه) أي: من الشيخ نصيحة هي على ما ذكره الشيخ في الأحياء أن لا يرضى لأخيه ما لا يرضى لنفسه[1] وقيل: هي إرادة الخير إلى الغير وقيل هي الدعاء إلى نافية الصلاح والنهي عما فيه فساد.

وإنما التمس الملازم من الشيخ نصيحة ليتعظ ويعمل بها مدة حياته.

(ودعاء) أي: قولا وكلاما. يقال هو دعاؤهم، أي: قولهم وكلامهم جمعه أوعية بتخفيف الياء على وزن أفعله من جموع القلة ولا تلتفت تشديد العوام وإنما طلب منه دعاء ليتخذه وردا له ويقرأ في أوقات معينة.

ولما توجه السؤال على الواحد الملازم بإن يقال إن المسائل والنصيحة والدعاء التي التمستها من الشيخ الإمام الملقب بحجة الإسلام مذكورة في مصنفاته كالأحياء ومنهاج العابدين وبداية الهداية والدرة الفاخرة وغير فأتي حاجة لك أن تطلبها منه على مدة إن طلبتها فانظر في مصنفاته، أجاب الراوي رحمه الله عن طرف الواحد الملازم وقال حاكيا عنه.

(قال) أي: الواحد الملازم.

(وإن كان) أي: لو كان فكلمة إن ههنا وصلية وكذا في كل موضع فسرناها بلو.

(فلا تقفل مصنفات) بفتح النون كالأحياء وغيره من مصنفاته.

(وتشتمل) أي: تحيط على جواب مسائلي لكن بالتخفيف.

(مقصود) أي: عزيمة قلبي ومرادي.

(أن يكتب الشيخ) أي: كتابة الشيخ.

(حاجتي) أي: احتياجي ومطلوبي.

(في ورقات) جمع ورقة وهو القرطاس.

(والجملة أعني تكون في موضع التعليل) أي: كي تكون تلك الورقات معي.

(في مدة حياتي) أي: في غاية زمان حياتي المدة بالضم والتشديد غاية الشيء ونهايته والحياة صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر وكي أعمل بصيغة المتكلم وحده.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: (٢/٧٦).

(بما) أي: النصيحة التي حصلت فيها، أي: في تلك الورقات.

(مدة عمري) أي: في غاية بقائي وفي بعض النسخ مدى عمري ومعناهما واحد.

ولما كان أفعال العباد محتاجة إلى الله تعالى وأن صرفوا إرادتهم الجزئية إليها علق العمل بمشيئة الله تعالى فقال: (إن شاء الله تعالى) وإذا كان نية الملازم ومقصوده هكذا فكتب الشيخ الإمام الفاء جواب للشرط المحذوف كما قدرناه هذه الرسالة.

(في جوابه) أي: في جواب سؤال الواحد الملازم.

(الرسالة) هي المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد والمجلة بفتح الميم والجيم الصحيفة التي يكون فيها الحكمة[1].

ولما كان المكتوب في هذه الرسالة أمرا أشرف وبال بدأ الشيخ رحمه الله بالبسملة اتباعا بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو « **كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ ببسم الله فَهُوَ أَبْتَرُ** »[2].

---

(١) انظر: لسان العرب: ١١٦/١١، والقاموس المحيط: ١٢٦٥/١، وتاج العروس: ٢٢٤/٢٨، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٧٥/١.

(٢) أخرجه أحمد: (٣٢٩/١٤، رقم ٨٧١٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أيها الولد المحب العزيز – أطال الله تعالى بقاءك بطاعته، وسلك بك سبيل أحبّائه – أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه الصلاة والسلام، فإن كان قد بلغك منه نصيحة، فأي حاجة لك في نصيحتي؟ وإن لم يبلغك فَقُلْ ليّ: ماذا حصّلت في هذه السنين الماضية؟!!

فقال: (**بسم الله الرحمن الرحيم**).

اعلم أيها الولد واعلم أن هذا القول المنشور الذي نمقه الشيخ المشهور بالإمام الغزالي المبرور للملازم المحتاج إلى رحمة ربه الغفور.

(**وأيها المحب العزيز**) أي: القليل لا يكاد أن يوجد مثله يقال عز الشيء عزا وعزازة وإذا قل لا يكاد أن يوجد ويمكن أن يكون قوله العزيز فعيلا بمعنى المفعول فيكون المعنى هكذا والمحب الموصوف بالذكاء والفضل لأن العزة عند أهل المعرفة الذكاء والفضل.

(**أطال الله بقاءك**) أي: جعل عمرك طويلا.

(**بطاعته**) أي: في طاعته تعالى تعريفها في هذه الرسالة وقال أهل المعرفة: هي طلب رضاء الله تعالى في الأقوال والأفعال والأحوال.

(**وسلك بك**) أي: أوصلك سبيل أحبائه بالهمزة بعد الياء المشددة جمع حبيب كطبيب وأطباء.

من أراد أن يعلم معنى محبة العبد لله تعالى إن شاء الله تعالى إن لم أغسل يدي من ينبوع الحياة أن منشور النصيحة يكتب بالبناء للمفعول المذكر المفعول المضارع.

(**المذكر**) أي: يخط ذلك المنشور، يقال: كتبه كتبا وكتابا خطه كذا في القاموس [(١)].

(**من معدن الرسالة**) أي: من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني أن منشور النصيحة يكتب [....][(٢)] من رسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى وينقل عنه عليه السلام.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/١٦٥.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل ورسمت هكذا (آنافاناً).

(المعدن) بكسر الدال موضع الإقامة يقال: عدنت البلد، أي: توطنته وعدنت الإبل لمكان كذا، أي: لزمته وبابه ضرب ومنه جنات عدن، أي: جنات إقامة ويقال: مركز كل شيء معدنه، أي: موضعه ومستقره والمراد من معدن رسالة النبي عليه السلام بطريق الاستعارة المصرحة، وذلك أن الشيخ الإمام شبه النبي عليه السلام بالمعدن في كون كل منهما موضعا ومركزا فكما أن المعدن موضع كل شيء كذلك الرسول عليه السلام موضع الرسالة ومركزها أولا ومفخر الأنبياء آخرا وأول متعلق النظر الإلهي وإليه أشار عليه السلام بقوله: « **كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ** » [(١)]. فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به استعارة مصرحة والاستعارة هي الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وهي المشابهة مع قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له وهي ههنا إضافته إلى الرسالة.

(هذا وكن من الشاكرين إن كان قد بلغك) أي: قد وصل إليك يقال: بلغ المكان، أي: وصل نصيحة منه، أي: من معدن الرسالة يعني إن وصل إليك نصيحة من النبي عليه السلام وعملت بها فأي حاجة لك فإن الاستفهام للإنكار وفي بعض النسخ فإني حاجة ومعناهما واحد في نصيحتي لأن نصيحة النبي عليه السلام أنفع تأثيرا من نصيحتي لأنه أفضل الأنبياء وسند الأصفياء فنصيحة أروى غلال صدور العطاش وأشفى علل أفئدة الأناس.

(وإن لم تبلغك) أي: لم تصل النصيحة إليك من النبي عليه السلام.

(فقل) أي: خاطب لي لأن القول إذا استعمل باللام يكون بمعنى الخطاب كما قرر في محله.

(ماذا حصلت) من التحصيل، أي: أي شيء الذي حصلته وتعلمته من مشايخ الكرام.

(فما) مبتدأ بمعنى، أي: شيء.

(وذا) بمعنى الذي وحصلت صلته والموصول مع صلته خبر المبتدأ أو بالعكس.

(في هذه السنين) جمع سنة بالفارسية «سأل».

---

(١) أخرجه الطبراني: (٩٢/١٢، رقم ١٢٥٧١).

(**الماضية**) أي: السنين التي مضت من عمرك.

ولما أمر الشيخ الإمام الولد بأن قال: له ماذا حصلت في هذه السنين إن لم يصل إليك نصيحة من النبي عليه السلام فكأنه قال: ماذا حصلت فيها؛ فأراد أن يذكر بعض ما حصله من نصائح معدن الرسالة فقال: (**أيها الولد من جملة ما**) أي: من جملة الأحاديث.

obeikandl.com

النصيحة الأولى

نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته

• أيها الولد..!!

من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله: « مـــن علامـــات إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته إلى يوم القيامة، ومن جاوز الأربعين، ولم يغلب عليه خيرهُ شره فليتجهز الى النار».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَـــا لا يَعْنِيـــهِ » رواه أحمد وغيره[١].

وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم.

(التي نصح به) أي: بتلك الأحاديث وتذكير الضمير باعتبار ما رسول الله صـــلى الله تعالى عليه وسلم.

(على أمته) أي: جماعته قال: في القاموس: الأمة الجماعة من كل حي والجمع الأمم انتهى[٢].

واعلم أن الأمة على قسمين أمة الدعوة وأمة الإجابة فأمة الدعوة هم الذين بعث فيهم النبي ودعاهم إلى الله تعالى سواء أجابوا ذلك النبي أو لم يجيبوا، وأمة الإجابة هـــم الـــذين أجابوا ذلك النبي كذا في المفاتيح[٣].

---

(١) أخرجه الترمذى (٥٥٨/٤ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (١٣١٥/٢، رقم ٣٩٧٦)، وأحمد (٢٠١/١، رقم ١٧٣٧)، وأخرجه أيضا والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥٥/٤، رقـــم ٤٩٨٧). والطبرانى (١٢٨/٣، رقم ٢٨٨٦).

(٢) انظر: القاموس المحيط: ١٣٩١/١.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٥/٨.

openkandil.com

والمراد من الأمة هنا أمة الإجابة قوله عليه السلام: «**علامة إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله**»[١] أي: كون العبد مشغولا.

(بما) أي: بالكلام الذي لا يعنيه، أي: لا يهمه العبد ولا يعود عليه نفع أخروي مثل حكاية الأسفار وأحوال أطعمة البلاد وعاداتهم وأحوال الصناعات والتجارات ونحوها فهذه أمور لو سكت العبد عنها لم يأثم و لم يتضرر في مآل أو حال.

(وإن امرئ) أي: رجل.

(ذهبت ساعة) أي: زمان قليل من الليل والنهار.

(من عمره) أي: من مدة حياته.

(في غير ما خلق له) أي: في غير معرفة الله تعالى بالوحدانية التي خلق العبد لها كما قال: الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] يعني إلا ليوحدون.

(لجدير) أي: خليق وحري يقال: جدير بكذا، أي: خليق بكذا كذا في مختار الصحاح[٢].

(أن يطول) يعني أن يزيد.

(عليه) أي: على ذلك الرجل.

(حسرته) أي: ندامة ذلك الرجل وغمه على فوت تلك الساعة من عمره في غير ما خلق له يقال: حسر على الشيء حسرة فهو حسير اغتم على فوته كذا في الصحاح[٣].

يعني إن ذهبت ساعة من عمر رجل في غير معرفة الله تعالى بالوحدانية فحري أن يزيد عليه ندامته وغمه على فوت تلك الساعة لأن العمر رأس مال العبد، وعليه تجارته وبه

---

(١) انظر: حلية الأولياء: ٣٤٣/٩، جامع العلوم والحكم: ١١٦/١، الرسالة المغنية: ٦٢/١، التمهيد: ٢٠٠/٩.

(٢) انظر: مختار الصحاح: ٩٥/١.

(٣) انظر: مختار الصحاح: ٧٢/١.

obeikandl.com

وصوله إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى، فمهما صرفه إلى غير ما خلق له فقد ضيع رأس ماله ومن ضيعه فقد حق عليه زيادة الحسرة والندامة على تضيعه.

واعلم أن الندامة على ما ذكر في الروضة أربعة أقسام الأول: ندامة اليوم ندامة من خرج من منزله وقت الصبح قبل الأكل شيئا وذهب إلى السفر وهذا الرجل يتأسف ويندم على ترك الأكل وقت الخروج إلى ذلك اليوم.

والثاني: ندامة السنة وهو ندامة من لم يزرع وقت الزرع ما يحتاج إليه من بر أو شعير ونحوهما وهذا الرجل يتلهف ويتحسر على ترك الزرع في وقته إلى قابل السنة؛ لأن غيره من المزارعين في وقته إذا وصل إلى حبة المنية لا يبلغ هذا الرجل البغية ولا يجد في مزرعة قوت يوم وليلة.

والثالث: ندامة العمر وهو ندامة من تزوج امرأة كريهة المنظر ويدخل بها وهذا الرجل يتحسر ويندم على تزوج هذه المرأة إلى آخر عمره، لأنها تحرق في وجوه وتشرب به كأس السم إلى أن يغسل يده من ينبوع الحياة أو إلى أن تموت نعم ما قيل: بيت زن نوكن، أي: دولت هرنوبها كه تقويم يارين نيايديكاره.

والرابع: ندامة الأبد وهو ندامة من لم يمتثل بأوامر الله تعالى و لم يجتنب عن نواهيه بل بذل جميع عمره في الفسق والفجور ولهذا صار مردودا ومغضوبا سرمديا ولا مخلص لمثل هذا الرجل من التأسف والندامة في جميع الأوقات والأزمان نعوذ بالله تعالى من بذل عمره في الفسق والفجور.

وإذا تنقش في لوح ذهنك هذه الأقسام الأربعة فاعلم أن المراد من الحسرة والندامة في هذا الحديث الشريف ندامة العمر.

(**من جاوز الأربعين**) أي: من جاوز أربعين سنة من عمره.

(**ولم يغلب**) الواو للحال.

(**خيره على شره فليجتهد للنار**) أي: فليتهيأ يقال: تجهز لكذا تهيأ له كذا في مختار الصحاح[١].

---

(١) انظر: مختار الصحاح: ١/٦٣.

obeikandi.com

قوله عليه السلام: «فليتجهز». أمر بمعنى الخبر أو بمعنى التحذير أو التهكم أو الدعاء عليه، أي: هيأ الله له النار واحتمال كونه أمرا حقيقة وإنما أمر النبي عليه السلام بالتهيئ له للنار لأن في عنفوان الشباب إلى أربعين قوة في الأعضاء لأداء الطاعات ومن لا يسعى إلى الأعمال الصالحة في أيام حداثته إلى أربعين فكيف يمكنه بعده أن يجتهد إليها ويقطع مراتب العظمى ويصعد إلى درجة العليا بسببها لأن أعضائه صارت ضعيفا بعده فلم يقدر على أدائها أو يقدر عليه لكن لا يقدر على أحسن الوجه ولهذا أمر النبي بالتهيئ للنار.

واعلم أن طبقاتها سبع أولها جنهم ثم لظى، ثم الحطمى، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية فالعصاة من الموحدين يدخلون الطبقة الأولى والنصارى الثانية واليهود الثالثة والصابئون الرابعة والمجوس الخامسة وأهل الشرك السادسة والمنافقون السابعة كما قال: الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] نعوذ بالله من كلها.

ثم اعلم أيها الأخ العزيز أسعدك الله وإيانا: أن عمرك وأنفاسك وأوقاتك رأس بضاعتك فلا تضيعها في غير ما خلقت له، ولا تتكلم بما لا ينفعك فإن ذلك ينقص عقلك وربما يصير ثقيلا، وحملا عليك يوم القيامة كما قال: أبو ذر رضي الله عنه قال: لي رسول الله عليه السلام: «**ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان، قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك**» [(١)]. تم الحديث.

وحد ما لا يعني هو أن يتكلم العبد بما لو سكت عنه لم يأثم ولم يتضرر في مآل أو حال ومثاله ما مر وهو إن كان جائزا ومباحا إذا خلا عن الكذب أو الغيبة والرياء ونحوها من المحرمات لكن يستحب تركه لما أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**»[(٢)] يعني أن إسلام المرء إنما يحسن ويكمل إذا ترك من الأقوال والأفعال ما لا ضرورة فيه ولا منفعة له منه كذا في شرح المصابيح فلا جرم كأنه ترك مستحبا.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٣٦٩/١٠، رقم ٧٦٤١).

(٢) لم يخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، إنما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (٥٥٨/٤، رقم ٢٣١٧) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم إلا من هذا الوجه.

ولما أخرجه الترمذي أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: توفي رجل فقال رجل آخر ورسول عليه السلام يسمع: أبشر أيها الميت بالجنة لما رأى من حسن علمه فقال رسول الله عليه السلام: «**ما يدريك لعله كان تكلم فيما لا يعنيه، أو بَخِلَ بما لا يُغْنيه، من أين لك الدراية حتى قطعت بدخول الجنة؟ لعل الميت كان يتكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا يغنيه**»[1] أي: لا يفيد تركه.

ولما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه أنه قال: استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه فقالت هنيئا لك الجنة إنما نلت عيشا طيبا واسعا يا بني فقال النبي عليه السلام:«**ما يدريك لعله كان تكلم بما لا يعنيه وَيَمْنَعُ ما لاَ يَضُرُّهُ** »[2]. يعني من أين لك الدراية حتى قطعت أنه من أهل الجنة لعل الشهيد كان تكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره لكن هذان الحديثان لا يصلحان لعدم الدخول رأسا بل يصلحان له من غير حساب فإن من تكلم فيما لا يعنيه يحاسب، وإن كان كلامه مباحا فلا يتهيأ له الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوعا من العذاب، ولا يخفى عليك دلالة هذه الأحاديث الثلاثة الشريفة على أن تركه مما يستحب.

قال الشيخ الإمام في الإحياء: «وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل

=

وأخرجه أيضا من طريق علي بن الحسين مرسلا: (٥٥٨/٤، رقم ٢٣١٨) وقال: قال أبو عيسى وهكذا روى غير واحد من أصحاب الزهري عن الزهري عن علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث مالك مرسلا وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة و علي بن حسين لم يدرك علي ابن أبي طالب.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٢٨٥/١٣، رقم ١٠٣٤٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ٩٢/١، رقم ١٠٩).

فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا»[١].

وفي هذه النصيحة التي نصح بها رسول الله عليه السلام على أمته كفاية لأهل العلم للذين يعلمون ويعملون بموجب العلم ومقتضاه لا للذين لا يعملون به بل لا يكفي لهم ما في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان من النصائح والمواعظ.

(١) انظر: إحياء علوم الدين: (٣/١١٤).

obeikandl.com

النصيحة الثانية

في سبب تقديم النصيحة

• أيها الولد..!!

النصيحة سهلة، والمشكل قبولها؛ لأنها في مذاق متبعي الهوى مُـرّة، إذ المعاصـي محبوبة في قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي[١]، ومشـتغلا بفضـائل النفس ومناقب الدنيا؛ فإنه يحسب أن العلم المجرد له وسيلة، وستكون نجاته وخلاصـه فيه، وأنه مستغن عن العمل، وهذا من اعتقاد الفلاسفة – أي: العلم بلا عمل –.

سبحان الله العظيم!! إنه لا يعلم هذا القدر أنه حين حصّل العلم إذا لم يعمـل بـه تكون الحجة عليه آكد، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أشد النـاس عذابًا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه»[٢].

ورُوي: أن الجنيد – قدس الله روحه – رُئِيَ في المنام بعد وفاته، فقيل له: ما الخبر يا أبا القاسم؟ قال: طَاحَتْ الْعِبَارَاتُ، وَفَنِيَتْ الإشَارَاتُ، ومَا نَفَعَنَا إلا ركيعات رَكَعْنَاها فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.

(**أيها الولد النصيحة**) سهل بالفارسية كن وبالتركي آسان لأنه يقدر على النصـيحة كل من أفراد الإنسان لإنها فعل اللسان وحده وهو غير صعب على الإنسان.

---

(١) العلم الرسمي تعبير صوفي.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٨٢-١٨٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٨٤-٢٨٥)، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٣\١١: رواه الطبراني في "الصغير"، والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. وأخرجه أيضا الآجري في أخلاق العلمـاء (١/ ٧١-٧٢، ١٢٨-١٢٩)، وابن عساكر في ذم من لا يعمل بعلمه (١/ ٣٣-٣٦، ٤-٥-٦)، وأخرجه أيضا في تـاريخ دمشق، كما في كنز العمال (٢٩٠٩٩)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٤٣)، وفي سـنده: عثمـان البري: قال الدارقطني والنسائي: متروك. واتهمه ابن معين والجوزقاني بالوضع والكذب. انظر الميـزان (٢/ ٥٦-٥٧).

(والمشكل قبولها) أي: قبول النصيحة.

(والعمل بها لأنها) أي: النصيحة.

(في مذاق متبعي الهوي) أي: في محل ذوق المتبعين إلى الهوي.

(مر) وهو ضد الحلو يقال: هذا الشيء مر، أي: ضد الحلو.

قوله: **(متبعي)** أصله متبعين سقطت النون للإضافة إلى الهوى وهو بالقصر ميلان النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع.

وقوله: **(مذاق)** اسم مكان كما أشرنا إليه من ذاق يذوق وهو قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية في الفم بالمطعوم ووصولها إلى العصب فعلم من هذا أن محل الذوق هو العصب المفروش على جرم اللسان لكن المراد به هنا الدماغ.

(لذا المناهي) أي: المنهيات.

(محبوبة في قلوبهم) أي: في قلوب المتبعين إلى الهوى على الخصوص معناه بالتركي باخصوص.

(النصيحة مر في دماغ من كان طالب العلم الرسمي) أي: المنسوب إلى الرسم والعادة المسمى بالعلوم العقلية مثل علم الصرف والنحو والكلام الفارسي والعروض والخلاف والنجوم لأن القلوب محلوة بحلاوة المراء والجدال الذي هو نتيجة هذه العلوم وثمرتها فإذا نصحوا بإن يقال لهم إنها لا تنفعكم غدا بل تكون سببا لأشد العذاب ما تركوها واشتغلوا بالعلم النافع لكم يوم الجزاء وهو علم التوحيد والفقه تكون تلك النصيحة مرا في دماغهم لما عرفت آنفا أن القلوب محلوة بحلاوة المراء الذي هو نتيجة هذه العلوم وثمرتها أو لأنهم يحسبون أن العلم المجرد لهم وسيلة وسبب للنجاة يوم القيامة ويعرضون عن العمل وهذا الظن اعتقاد والفلاسفة نعوذ بالله من اعتقادهم كما سنذكره بعيد هذا.

(ومشتغل فضل النفس) أي: مزية النفس.

(وغلبتها على الغير من الأقران والأمثال في العلم ومناقب الدنيا) أي: مفاخر الدنيا ومحاسنها المناقب جمع منقبة بفتحتي الميم والقاف مثل مصالح ومصلحة وهي الفعل الحسن.

والفاء في قوله: **(فإنه)** أي: لأن الطالب المشتغل.

(عند اشتغال بحسب) أي: يظن ويعتقد.

(أن العلم المحرم عن العمل له) أي: للطالب المشتغل وسيلة وهي ما يتقرب به إلى الغير، وقيل: هي عبارة عما يتوصل به إلى المقصود.

(وسيكون نجاته) أي: خلاص ذلك الطالب المشتغل وخلاصة عطف تفسيري لقوله: **(نجاته فيه)** أي: ذلك العلم المجرد.

(وأنه) أي: الحال أن ذلك الطالب المشتغل مع ذلك الظن والاعتقاد.

(مستغن) أي: فارغ ومحتاج يقال استغنى عنه، أي: لم يبق احتياجه إليه عن العمل بذلك العلم.

(وهذا) أي: ذلك الظن والاعتقاد والفلاسفة وهم قوم ينكرون حقيقة الأشياء وبيان معتقداتهم الفاسدة وأقاويل الباطلة مذكورة في علم الكلام فمن كان اعتقاده هكذا العياذ بالله تعالى فالنصيحة في دماغه وتكون مرا.

(سبحان الله) أي: أنزه الله تعالى تنزيها بليغا وأقدسه من كل صفة للحديث واعترف بإن القدس الحقيقي له تعالى.

(العظيم) أي: الذي جاوز قدره عن حدود العقل حتى لا يتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته.

واعلم أن الشيخ رحمه الله أورد هذا اللفظ أعني سبحان الله للتعجب عن جهل مثل هذا العالم بأنه لا يعلم.

(هذا القدر) أي: المقدار.

(وهو أنه) أي: مثل هذا الطالب المشتغل حين حصل من التحصيل للعلم.

(وحين لم يعمل به) أي: ذلك العلم.

obeikandl.com

(**يكون الحجة**) أي: حجة الله تعالى التي يلزم بها عباده يوم القيامة بأن يقول: لمثل هذا العالم ماذا عملت بما علمت وكيف قضيت شكر الله.

(**فيسكته إسكاتا صريحا ويوقعه فيما أراد عليه آكد أوثق وأحكم وأقوى في الالتزام من سائر حجج الله تعالى على عباده**) فقوله: آكد اسم تفضيل من آكد يأكد أصله اءكد قلبت الهمزة ألفا فصار آكد قال في القاموس: آكد الحنطة داسها آكدة تأكيد والأكيد الوثيق انتهى[١]. وقال في مختار الصحاح الأكد التأكيد وقد آكد الشيء ووكده والواو أفصح انتهى[٢].

ولما كان حجة الله تعالى على مثل هذا العالم أوثق وأحكم فيكون عذابه أشد كما أخرج الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:«**أشد الناس عذابا**»، أي: من جهة العذاب «**يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[٣] لأنه يشترك وسائر العصاة في التحريق بالنيران وشرب الحميم وجر الزبانية وغير ذلك من العذاب الجسماني، وكذا يشترك وإياهم في العذاب الروحاني والتحسر على التفريط في جنب الله، ويختص هو بالعذاب روحاني لا يذوقه غيره وهو التألم بمعرفة طرق الهدى وسبل الضلال بما آتاه الله من العلم فترك طرق الهدى الموصلة إلى الجحيم مع علمه بذلك، وأن الله تعالى يخصه بنوع من العذاب لا يذيقه غيره من العصاة جزاء على إتيانه محارم الله تعالى مع علمه بها.

وكما أخرج أحمد بن حنبل والبيهقي عن منصور بن ذاذن أنه قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار ليتأذى أهلها بريحه فيقال له ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك و نتن رائحتك قال: فيقول: إني كنت عالما فلم أنتفع بعلمي[٤].

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروذبادي: ٣٣٩/١.

(٢) انظر: مختار الصحاح: ٩٩/١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: حلية الأولياء: (٥٩/٣)، وشعب الإيمان: (٣٠٩/٢).

وهذان الحديثان حريصان في أن الله تعالى يزيد مثل هذا العالم على جهلة العصاة نوعا مما يشاء من العذاب.

(وروى أن جنيدا) بضم الجيم وفتح النون وسكون الياء هو أبو القاسم الجنيدي بن محمد البغدادي[1] سيد الطائفة الصوفية وإمام الطريقة والحقيقة الجامع بين علمي الظاهر والباطن العارف الرباني أصله من نهاوند ومولده بالعراق وكان أبوه يبيع الزجاج ولهذا يقال له: قواريري وهو لقبه وكنيته أبو القاسم كان فقيها على مذهب ثور أخذ الطريق والتصوف عن خاله السري السقطي وهو عن معروف الكرخي وهو عن داود الطائي وهو عن حبيب العجمي وهو عن الحسن البصري وهو عن علي بن أبي طالب وهو عن النبي عليه السلام ومات رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين كذا ذكره القشيري في الرسالة وقيل: مات سنة ثمان وتسعين ومائتين وقيل تسع وتسعين ومائتين والله أعلم بالصواب.

ودفن ببغداد في جوار مرقد الشيخ معروف الكرخي عليه رحمة الله الغني وله رحمة الله كرامات كثيرة فاطلبها من كتب التواريخ.

ومن جملتها ما نقل أنه رحمه الله تعالى رأى في منامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال عليه السلام: «**يا جنيد؛ عظ أمتي بعد اليوم وأر طريق الحق إليهم واحفظهم من الجهل**» فإذا أصبح رحمه الله جمع علماء عصره ومشايخه وأخبرهم بما رأى في منامه فرضوا وانقادوا بأسرهم فجلس على منبر للوعظ فإذا جاء كافر على صورة مسلم وقام في حذائه فقال أيها الشيخ ما معنى حديث النبي عليه السلام وهو: « **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ**

---

(١) هو: الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم النهاوندى الأصل البغدادى القواريرى الخزاز سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعلم الأولياء فى زمانه وبهلوان العارفين. له رسائل منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والالوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله دواء الارواح رسالة صغيرة. توفي رحمه الله سنة: ٢٩٧ هـ).

انظر ترجمته في: الأنساب: ١٠ / ٣٧) وسير أعلام النبلاء: ٢٧٢/٢٠) والوافي بالوفيات: ٢٠٣/١١، ٢٠٤)، وطبقات السبكي: ٧ / ٥٤ – ٥٦)، وطبقات الأسنوي: ١ / ٣٦٥)

يَنْظُرُ بنورِ اللَّهِ »[١] فقال الشيخ رحمه الله بعد تأمل يسير وسكوت قليل: يا أيها الرجل قل لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأنه جاء أوان إسلامك فلما سمع الكافر هذا الكلام منه وقع في قلبه نور الإسلام، وقال: بلا توقف: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال: الشيخ له هذا معنى حديث النبي عليه السلام: الذي سئلتني عنه.

واعلم أن الشيخ رحمه الله أظهر في هذه المادة كرامتين أحدهما إطلاعه على الكافر والأخرى علمه دنو آوان إسلامه اللهم حسن إلينا شفاعته يوم القيامة.

(قدس الله) أي: طهر الله.

(روحه) أي: روح الجنيد البغدادي وهو جسم لطيف سار في البدن سريان ماء الورد في الورد.

(العزيز) أي: القليل لا يكاد يوجد مثله.

(رُئِيَ) بالنباء للمفعول من الرؤية، أي: رأي الجنيد واحد من مشايخ الكرام وهو الكناني كما صرح به الشيخ في الإحياء.

(في المنام) أي: في النوم وهو حالة طبيعية يتعطل معها القوى بسبب ترقي البخارات في الدماغ.

(بعد موته) أي: بعد موت الجنيد وهو صفة وجودية خلقت ضد الحياة وقال أهل الحق: هو قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيي بهداه.

(فقيل له) أي: فقال للجنيد الكناني رحمه الله.

(ما الخبر يا أبا القاسم) أي: كيف كان حالك بعد انقطاع روحك عن البدن.

(هل نفعك أعمالك الصالحة أم لا؟ قال: الجنيد: طاحت العبادات) أي: هلك العبادات وسقطت يقال: طاح يطوح ويطيح هلك وسقط بابه قال وباع كذا في مختار الصحاح[٢].

---

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير: (٣٥٤/٧)، والترمذى: (٢٩٨/٥، رقم ٣١٢٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم فى الحلية: (٢٨١/١٠).

(٢) انظر: مختار الصحاح: ٤٠٣/١.

(**العبارات**) جمع عبارة والمراد هنا العلم الظاهر الذي تعلمه الجنيد رحمه الله من مشايخ الكرام وعلمه إلى الطالبين في حال حياته.

(**وفنيت الإشارات**) أي: عدمت الإشارات وذهبت إلى الفناء وهي جمع إشارة وهو إظهار ما في الصدور بالأفعال لا بالأقوال، والمراد بها هنا: العلم الباطن الذي أخذه الجنيد عن خاله السري السقطي يعني أن هذين العلمين كأنهما تركا في الدنيا و لم ينتفع بهما في الآخرة و لم نصل إلى المقصود كما أشار إليه بقوله: (**ما نفعنا**) بفتح العين، أي: ما أعطانا نفعا وفائدة واحد منهما.

(**إلا الركعات التي ركعناها**) أي: صليناها.

(**في جوف الليل**) أي: في ثلث الليل الأخير وهو الجزء الخامس من أسداس الليل على ما في النهار.

وروي أن زبيدة امرأة هارون الرشيد رؤيت في المنام بعد موتها فقيل لها: يا زبيدة إنك كنت تعلمين عملا صالحا وتعطين صدقة كثيرة وتحسنين في طريق الحج هل نفعك واحد منها أم لا قالت إن كلا منها كان هباء منثورا ما نفعني واحد منهما إلا الركعات اللتان صليتهما في جوف الليل.

واعلم أن الصلاة فيه إنما كانت مقبولة ومنتفعة لأن هذا وقت شريف لأن الله تعالى ينادي فيه عباده فيقول: من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « **يَنْزِلُ الله تعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ؟** »[1]. تم الحديث ولهذا كانت الصلاة فيه مقبولة.

---

(١) أخرجه البخارى: (٣٨٤/١، رقم ١٠٩٤)، ومسلم: ٥٢١/١، رقم ٧٥٨). وأخرجه أيضا: أحمد: (٤٨٧/٢، رقم ١٠٣١٨)، وأبو داود: (٣٤/٢، رقم ١٣١٥).

النصيحة الثالثة

لا تكن من الأعمال مفلسًا[١]

• أيها الولد..!!

لا تكن من الأعمال مُفلسًا، ولا من الأحوال خاليًا، وتيقّن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد[٢].

---

(١) هذه من بداية التوجيهات والتوصيات التي وصى بها الإمام تلميذه النجيب.

لقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته عن المفلس فأجابوه: بأنه من لا درهم له ولا دينار.. فصحّح لهم أفكارهم ونقلهم إلى الهداية التامة وأخبرهم بأن المفلس يوم القيامة من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج ونافلة.. ثم تفتح صحائفه فتجده قد اغتاب هذا وسفك دم هذا وهضم حق هذا واعتدى على هذا.. فأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى استنفذت.. وما قضيت الحقوق فجعل الملائكة يطرحون عليه من أوزار أصحاب الحقوق ثم طرح في النار..

ذهبت أعمال ذلك المفلس ولو كان له أعمال ثابتة يبقى أثرها بعد موته لانفتح له باب رجاء إذ كل عمل ينقطع بالموت لا ينفع.. فالعمل يجب أن يتوجه لما بعد الموت.. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).

ضع نفسك دائماً موضع التهمة.. حاسبها ولُمها وعاقبها وإياك أن ترخي لها القياد.. فإنك إن فعلت جمحت بك إلى دروب الهوى واستعصت على الانقياد والأعمال التي تبقى لما بعد الموت هي التي يشقّ على النفس فعلها في الدنيا.. فكلما ثقل عمل نفسك فاعلم أنك ستجده يوم القيامة عظيماً وكبيراً.. فالله تعالى يتعاهد هذا العمل الخالص لوجهه فيربيه وينمّيه كما يربي أحدنا مُهره.. حتى تصبح الحبة من القمح مثل جبل أحد هكذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

(٢) الأعمال تنقسم إلى أعمال جوارح وأعمال قلوب.. كلاهما حين يتحدان يثمران حالة إيمانية أقرب إلى السكينة وصفاءً يخالط النفس الجافية فيهذبها ويطفئ حدتها.. فترق وتلين وتأنس وتحلق مع الروح التي تنشط حين تخف وطأة النفس عليها فتحلقان في سديم علويّ منسجم ليس فيه صخب ولا سغب ولا عُقد ولا مشكلات..

وتصبح الحياة عند ذلك الإنسان مجرد جسر متين يعبره بثقة نحو الآخرة التي تنسّم بعض حلاوتها في تلك الأحوال التي أنعم بها الله عليه في دنياه..

مثاله: لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى، وكان الرجل شُجاعًا وأهل حرب، فحمل عليه أسد [عظيم] مهيب، فما ظنّك؟ هل تدفع الأسلحة شرّهُ عنه بلا استعمالها وضربها؟!

ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب، فكذا لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علميّة علّمها وتعلّمها، ولم يعمل بها، لا تفيده إلا بالعمل.

ومثاله [أيضا]: لو كان لرجلٍ حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه بالسكنجين والكشكاب[(١)] فلا يصل البرء إلا باستعمالهما. بيت[(٢)]:

=

يلحّ الغزالي على تلميذه أن لا تخلو أعماله من أحوال ترفد عزيمته وتمدّه بمعان من الإيمان العميق تطيب عندها الحياة وتزكو ويتعزز بها الإقبال على الله عز وجل.. والتماس الأعمال التي ترضيه من صلاة وصدقة وتكافل وقولة حق وذكر وقرآن ودعوة إلى الله بالتي هي أحسن.. هذه كلها أعمال جوارح وقد تنفرد أعمال القلوب عن أعمال الجوارح وقد تشاركها وتخالطها.. فالإخلاص والتواضع ومحبة الله ورسوله ومحبة المسلمين والزهد في الدنيا وحسن الظن بالله والتنزه عن الحق والحسد والضغينة والنفاق والرياء والغش.. لا ينفي عنك ذلك إلا قيام بحق العبودية لله عز وجلّ وسلوك عند رب خبير يخلصك من تلك العلل بحاله وقاله ثم يستنبت في قلبك خصال الكمال فيجعله مهبطاً لواردات الخير والبشائر وموئلا للطيبات الصالحات من النيات والعقائد إلى أن يدخلك عالم المعرفة الحقيقة ثم يقول لك: (ها أنت وربّك) (عرفت فالزم.. عرفت فالزم)..

قم بحق العبودية لله سبحانه وضمّ عمل القلب إلى عمل الظاهر تنضج لك ثمرة عملك وترى أثر ذلك في عبادتك ويتغيّر (الحال) الذي أنت فيه فيصبح مقاماً تنتقل به إلى مقام ثان فثالث فرابع.. مقام العبودية يرتقي بك إلى مقام المراقبة إلى مقام الإخلاص إلى مقام الشوق إلى مقام المحبة إلى مقام الرضا..

الأعمال ترفدك بأحوال والأحوال توصلك إلى مقامات والمقامات تنتهي بك إلى تسليم كامل لله عز وجل وشهود أن لا فاعل ولا محرّك في هذا الوجود إلا الله عز وجلّ، عندها تكون قد وصلت إلى الإيمان الكامل الذي قال فيه سيدنا عليّ رضي الله عنه (لو كشف القناع ما ازددت يقيناً)..

(١) السكنجين والكشكاب: دواءان لعلاج الحمى الصفراء.

(٢) ترجم هذا البيت من الفارسية الشيخ محمد أمين الكردي فقال: إذا كلت الخمر ألفي مرة و لم تشربها لم تحس بالنشوة.

كَرْمَى دوُ هَزَار رطـــل بيمـــائي تَامْى نَخُوري نَبَاشَـــدَتُ شَـــيُدَابي

(أيها الولد لا تكن أنت من الأعمال) أي: من الأعمال الصالحة.

(مفلسا) من أفلس الرجل إذا صار مفلسا يعني لا تكن من الأعمال الصالحة ذا قلـــة لأن الصعود إلى المقامات العالية في الجنة إنما هو بقدر الأعمال.

(فتشمر) لتكثير العمل حتى تصعد به إلى منازلها العليا.

(ولا تكن في الأحوال) وهي الصفات الغير الراسخة في الموصوف والمراد بالأحوال هنا أحوال العارفين بالله تعالى والواصلين إلى الله.

(خاليا) أي: بريئا.

(بل داوم على أحوالهم) وتعريف الحال عندهم قد مر فيما سبق فارجع إليه.

(وتيقن) أمر من التيقن، أي: اعلم بيقين وهو العلم وزوال الشك يقال منـــه يقنـــت الأمر من باب ضرب وأيقنت واستيقنت وتيقنت كلمة بمعنى كذا في مختار الصحاح[1].

(أن العلم المجرد عن العمل لا يأخذ اليد) أي: يد صاحبه يعني لا يخلص صاحبه من العقاب في الآخرة بل هو سبب لأشد العذاب كما مر

ولما كان قوله رحمه الله أن العلم المجرد لا يأخذ اليد أمرا معنويا أراد أن يمثلـــه بـــأمور محسوسة للإيضاح فقال: **(مثاله)** أي: مثال العلم المجرد الذي لا يخلص صاحبه من النيران.

(لو كان على رجل كائن في برية) بتشديد الـــراء الصـــحراء والجمـــع الـــبراري وبالتخفيف الناس وتشديد رائها غلط إذ هي بالتخفيف فعيلة من الله.

(بخلق) أي: خلقهم والجمع البرايا والبريات وإنما قال: في برية ولم يقل في بلدة أو في قرينة إشارة إلى أن يوم القيامة كالبرية في عدم النفع من أحد كما نطق به قوله تعالى ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾ [الشعراء:٨٨].

(عشرة أسياف) جمع سيف قال: ابن دريد اشتقاق السيف من قولهم ساف مالـــه، أي: هلك لأن السيف سبب للهلاك قيل: لولا السيف لكثر الحيف[2].

---

(١) انظر: مختار الصحاح: ١/٤٠٣.

(٢) انظر: جمهرة اللغة: ٢/٨٥٠.

وقال ابن الرومي[1]: [السريع]

لم أر شيئا حاضرا نفعه ... للمرء كالدرهم والسيف

يقضي له الدرهمُ حاجاتِه ... والسيفُ يحميه من الحَيْفِ

(**هندية**) أي: منسوب إلى هند، وهو اسم بلدة من الأقليم الأول وإنما قيد الأسياف بقوله: هندية إشارة إلى أن السيف المتخذ من حديد الهند مجذر كثير القطع وأنفس الأسياف ورمزا إلى أن العلم المجرد وإن كان من أنفس العلوم وأجملها كعلم التفسير والحديث والفقه لا ينفع صاحبه يوم القيامة ما لم يعمل بموجبه يعني لو كان على رجل مستقر في الصحراء عشرة أسياف متخذه من حديد الهند حال كون تلك الأسياف مقرونة مصاحبة مع أسلحة جمع سلاح وهو آلة الحرب.

(**أخرى**) أي: غير تلك الأسياف كالدرع والرمح والجنة والسهم وغيرها من الآت الحرب.

والحاصل أن ذلك الرجل لو كان محاطا بتلك الآت ومستورا بها.

(**وكان الرجل**) والواو للحال.

(**شجاعا**) بالضم، أي: تشجيعا وأهل حرب أيضا.

(**فحمل**) أي: هجم وأتى بالمفأجاة.

(**عليه**) أي: على الرجل.

(**أسد مهيب**) بفتح الميم، أي: ذو هيبة وهي الإجلال والمخافة.

(**ما ظنك**) أي: شيء ظنك في حق هذا الرجل فما للاستفهام الإنكاري.

(**هل تدفع الأسلحة التي كانت عليه شره**) أي: شر الأسد.

(**منه**) أي: منه، أي: من ذلك الرجل بلا استعمال لها بالمخافة.

(**ما ظنك**) أي: شيء ظنك في حق هذا الرجل فما للاستفهام الإنكاري، هل تدفع الأسلحة التي كانت عليه شره؟ أي: شر الأسد منه، أي: منه، أي: من ذلك الرجل بلا استعمال لها بغير استعمال الرجل تلك الأسلحة.

---

(١) انظر: الديوان ٩٦/١.

ولما ضربها يعني لا تظن ولا تشك في عدم دفع الأسلحة بلا استعمال وضرب بل هو ثابت يقينا كما بينه رحمه الله بقوله: (**ومن المعلوم**) أي: والحال أن من المعلوم لكل أحد من ذوي العقول والعلوم.

(**أنها**) أي: تلك الأسلحة.

(**لا تدفع شر الأسد منه إلا بالتحريك**) أي: سبب تحريكه إياها لكي يخاف الأسد حين رأيها وإن لم يخف في نفس الأمر والضرب.

(**فكذا**) أي: مثل الرجل الذي كان عليه عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى في عدم نفعها شر الأسد منه بغير استعمالها وضربها.

(**لو قرأ رجل مائة ألف**) بالإضافة إلى المميز.

(**وهو مسألة علمية**) أي: دينية،

(**دينية علمها من الناس ولم يعمل بها**) أي: والحال إنه لم يعمل بتلك المسألة الدنية.

(**علمها**) أي: علم ذلك الرجل تلك المسألة الدينية إلى الطالبين وتعلمها من الأستاذ.

(**ولم يعمل بها**) أي: والحال أنه لم يعمل بتلك المسألة الدينية.

(**لا تفيده**) أي: لا تعطي تلك المسألة نفعا وفائدة لذلك الرجل في الآخرة، ولا تمنع عنه شر الزبانية الذين هم أشر ضررا من الأسد إذا حملوا عليه يوم القيامة نعوذ بالله من هجومهم علينا.

(**فيه إلا بالعمل**) أي: إلا بسبب العمل.

(**ومثاله العلم المجرد لو كان لرجل حرارة**) وهي ضد البرودة.

(**ومرض**) وهو مطلقا ما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص.

(**صفراوي**) أي: منسوب إلى الصفراء وهي أحد أخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

(**يكون علاجه**) أي: إزالة كل واحد من الحرارة والمرض الصفراوي، يقال: علاج للشيء معالجة وعلاجا.

obeikandl.com

(إزالة بالسكنجين) بكسر السين المهملة وضم الجيم وهو خل وعسل وماء وهو أعني السكنجين معرب يقال بالفارسية سركنلبين.

(والكشكاف) وهو عصير الشعير يختلط بالسكر ويشرب إذا كان كذلك.

(فلا يحصل البراء) بالضم وبالهمزة في آخره، أي: الالتئام والشفاء.

(إلا باستعمالهما) أي: إلا بسبب استعمال ذلك الرجل السكنجين والكشكاف يعني لا يحصل الشفاء له إلا بشربها، فكما أنه لا يحصل لهذا الرجل البراء إلا بشربها كذلك العالم المجرد من العمل لا يخلص من مرض التألم بالندامة يوم القيامة مالم يأكل معجون العمل في الدنيا وما لم يشرب دواء الإخلاص فيها ومثال العلم المجرد أيضا هذا البيت:

كَرْمَى دوُ هَزَار رطل بيمائي تَامْى نَخُوري نَبَاشَدَتُ شَيُدَابي

في الإصغاء في معاني مفردات هذا البيت بحره بحر الهزج أصله مفاعلين ست مرات وأنه في الاستعمال مجزوء مربع في الأبيات العربية وأما في الفارسية كما هنا فمر يستعمل مثمنا وأخرى مسدسا وله عروض واحد سالمة وضربان كما بين كل منهما في موضعه وهذا البيت من المسدس الأضرب المقبوض بيانه أن صدره وابتدائه محزوبان في اصطلاح أهل العروض إسقاط الميم من أول مفاعلين والنون من آخره فيبقى فاعيل فينتقل إلى مفعول وجزؤه الثاني والخامس المسميات بالحشو مقبوضان القبض في اصطلاحهم حذف الخامس الساكن كحذف ياء مفاعلين فيبقى مفاعلن وجزؤه الأخير في المصراع الأول من البيت المسمى بالعروض وجزؤه الأخير من البيت سمي بالضرب سالمان تقطيعه كرميد مفعول خراراظ مفاعلن ليبمائي مفاعلين سماسين مفعول خري مفاعلن وحاصل معنى هذا البيت إن أكلت ألفي رطل خمرا يعني إن أخرجتها من ظرفها أو أدخلتها في ظرف آخر مرارا لا تكون سكرانا ومجنونا مالم تكن تشربها.

(هذا ولا تنس الحقير من صالح دعائك كذا لو قرئت أنت العلم ألف سنة) بمعنى لو صرفت جميع عمرك على تحصيل العلوم الظاهرة وتكميل الفنون الباهرة وجمعت أنت ألف كتاب وهو اسم لما كتب.

النصيحة الرابعة

لو قرأت العلم مائة سنة

• أيها الولد..!!

ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدًا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩]، [فمن قال أن هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام: « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ[١].. الحديث». فالمنسوخ هو هذا القائل، ولئن كانت منسوخة فما تقول في قوله تعالى]: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا﴾ [الكهف: ١٠٧ ــ ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا﴾ [الفرقان:٧٠].

وما تقول في هذا الحديث: « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا » رواه البخاري ومسلم[٢].

والإيمان: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى، وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه، ولكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته، لأن رحمة الله قريب من المحسنين.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢٥٥، رقم ١٦٣٤).

(٢) أخرجه البخارى (١/١٢، رقم ٨)، ومسلم (١/٤٥، رقم ١٦)، والترمذى (٥/٥، رقم ٢٦٠٩) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٨/١٠٧، رقم ٥٠٠١)، وابن حبان (١/٣٧٤، رقم ١٥٨). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (١٠/١٦٤، رقم ٥٧٨٨)، وابن خزيمة (١/١٥٩، رقم ٣٠٩)، والطبرانى (١٢/٣٠٩، رقم ١٣٢٠٣)، والبيهقى (٤/٨١، رقم ٧٠١٣).

ولو قيل: يبلغ الجنة أيضا بمجرد الإيمان!!.

قلنا: نعم؛ لكن متى يبلغ؟ وكم من عقبة كؤدة تستقبله الى أن يصل الجنة؟!

وأول تلك العقبات: عقبة الإيمان، أنه هل يسلم من السلب أم لا؟ وإذا وصل يكون خائبًا مُفلسًا.

وقال الحسن البصري رحمة الله تعالى عليه[1]: **(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَاقْتَسِمُوهَا بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ).**

(لا تكون أنت مستندا) أي: مستحقا.

(لرحمة الله) أي: لرضاء الله.

(إلا بالعمل) أي: بسبب العمل.

ولما أدعى الشيخ رحمه الله أن الاستعداد لرحمة الله لا يكون إلا بالعمل أراد أن يثبت مدعاة بالدلائل القطعية من الكتاب والسنة فبدء بالكتاب فقال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، أي: سعيه وهذه الآية الكريمة بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره بل بعمل نفسه وقال الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف:١١٠]، أي: أستمر واستدام على رجاء كرامته تعالى لتحصل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الله تعالى ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]، أي: يجزون جزاء بما كسبوا.

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، أي: آمنوا بآيات ربهم ولقائه.

﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ من الأعمال.

﴿**كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ**﴾، أي: كانت ثمار جنات الفردوس.

﴿**نُزُلا**﴾، أي: ما يهيأ للنازل أو جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الإكرام وفيه إيذان بأنها عندنا أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله: « **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي**

(١) انظر: البريقة المحمودية ١٤٣/٢.

الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] بمنزلة النزل بالنسبة إلى الضيافة وأن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر كذا في تفسير أبي السعود عليه رحمة الله الودود.

وقال الله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ [مريم: ٥٩]، أي: فجاء بعد هؤلاء المفضلين وهم الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى من أول سورة مريم إلى هذه الآية.

﴿**خَلْفٌ**﴾ بسكون اللام أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير، وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود.

﴿**أَضَاعُوا الصَّلاةَ**﴾ أي: تركوا الصلوات المفروضة.

﴿**وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**﴾ واتبعوا الشهوات، أي: لذات النفوس من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت والانهماك في فنون المعاصي.

﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ أي: شرا فإن كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد.

وعن ابن عباس رضي الله وابن مسعود رضي الله عنهم: هو واد في جهنم أعد للمصر على الزنا وشرب الخمر وأكل الربا والعاق وشاهد الزور.

﴿**إلا مَنْ تَابَ**﴾ أي: رجع عن كفره.

﴿**وَآمَنَ**﴾ أي: أقر بوحدانيته الله وصدق.

﴿**وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ وعمل صالحا بعد إيمانه ﴿**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾.

ولما فرغ الشيخ رحمه الله من إثبات مدعاة بالآيات الكريمة شرع في إثباته بحديث النبوة فقال:(وما تقول) أي: أي تقول.

(أيها الولد في حق هذا الحديث الذي خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله عليه السلام: بني الإسلام) أي:

---

(١) أخرجه البخارى: (١١٨٥/٣، رقم ٣٠٧٢)، ومسلم: (٢١٧٤/٤، رقم ٢٨٢٤)، والترمذى: (٣٤٦/٥، رقم ٣١٩٧) وقال: حسن صحيح.

الإيمان لأنهما واحد في الشرع عند أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] خلافا للحنابلة الظاهرية.

(على خمس) أي: على خمس خصال أو على خمس عبادات يعني جعلت هذه الأركان الخمسة الآتية من أحكام الشرعية فرعا للإسلام ومثاله كالقصر وهذه الأركان الخمسة كالأسطوانة لذلك القصر وما بقي من أحكام الشريعة كجدار سطح ذلك القصر فمن حفظهما وسائر أحكام الشريعة تكون قصر الإسلام تاما كاملا.

(شهادة أن لا إله الله) أي: لا معبود بالحق موجود إلا الله تعالى.

(وأن محمدا رسول الله) وهذه الشهادة إحدى الخصال الخمس، وهي أقواها لأنها شرط لصحة الإيمان عند التمكن بل قيل: إنها ركن لكن في الحديث إشارة إلى رجحانه الأول إذ مفهومه أن هذه الخصال الخمس خارجة عن حقيقة الإيمان لأن المبني غير المبني عليه وهو مذهب المحققين إذ الإيمان هو التصديق والأعمال خارجة عن حقيقة كما سيجيء.

واعلم أيها الأخ: أن في فضيلة كلمتي الشهادة أخبار لطيفة وأحاديث شريفة منها ماروى أنس عن رسول الله عليه السلام أنه قال: « **ما مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلى النَّارِ** »[(١)]

ومنها ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي عليه السلام وعليه ثوب أبيض وهو نائم وأتيته وقد استيقظ فقال: « **ما مَنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إِلهَ إِلاّ اللهُ، ثُمَّ ماتَ عَلى ذَلِكَ إِلاّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** »[(٢)]. الحديث.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط: (١٣٦/٢ رقم ١٤٩٦). قال الهيثمى: (٤٢/١): فيه على بن مسعدة الباهلى، وثقه يحيى بن معين، وغيره وضعفه النسائى وغيره. وقال أيضا: (٤٩/١): فى إسناده إسحاق بن إبراهيم الصواف، وهو متروك الحديث.

(٢) أخرجه البخارى: (٢١٩٣/٥، رقم ٥٤٨٩)، ومسلم: (٩٥/١، رقم ٩٤)، وأحمد: (١٦٦/٥، رقم ٢١٥٠٤).

ومنها ما روى أنس أيضا عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله خرج من فيه طيرا أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت فيفرج إلى السماء ويسمع له دوي كدوي النحل فيقال له: أسكن، فيقول لصاحبه إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يأخذ بيده صاحبه حتى يكون قائده ودليله إلى الجنة**».

ومنها ما روي عن أنس عن النبي عليه السلام «**أنه قيل له: يا رسول الله؛ هل للجنة ثمن؟ فقال عليه السلام: نعم، لا إله إلا الله محمد رسول الله ثمن الجنة**» والأخبار في حق فضيلتها خارجة عن الحصر فلنقتصر منها على هذا القدر.

(**وأقام الصلاة**) أي: إقامة الصلاة والمراد بها أدائها عبر عن الأداء بالإقامة إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين؛ ولأن إقامة بمعنى أدام وفيه إشارة إلى مواظبة لها ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ [البقرة: ٣] كذا قال: الجوهري[(١)] ولأنه كنى بها عن تعديل أركانها وحفظ سننها وآدابها مأخوذ من أقام العود إذا قومه.

كذا واعلم أيها الأخ: أن في حق فضيلتها أخبار كثيرة منها ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: « **الصَّلاةُ عِمادُ الدِّينِ، فمَنْ أَقَامَها فَقدْ أَقَامَ الدِّينَ، ومن تركها فَقَد هَدَمَ الدِّينَ** »[(٢)].

ومنها ما روى عن النبي عليه السلام أنه قال: «**عماد الدين فمن أقامها أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين**».

ومنها ما روى عن النبي عليه السلام أنه قال::«**وجه دينكم الصلاة فلا تشينهوها**»، أي: لا تعيبوها.

---

(١) انظر: الصحاح: ٢٠١٧/٥.

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان: (٣٩/٣، رقم ٢٨٠٧)، وقال: قال أبو عبد الله: عكرمة لم يسمع من عمر وأظنه أراد عن ابن عمر. قال العجلونى: (٣٩/٢): رواه البيهقى فى شعب الإيمان بسند ضعيف.

ومنها ما روي أنه عليه السلام قال: «**الصلاة مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحة في البدن، وسلاح على الأعداء، وكراهة للشيطان، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبيه، وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس في قبره إلى القيامة، فإذا كان يوم القيامة كانت ظلا فوقه، وتاجًا على رأسه، ولباسًا على بدنه، ونورًا يسعى بين يديه، وشرًا بينه وبين النار، وحجة له بين يدي الرب، وثقلا في ميزانه، وجواز على الصراط كالبرق الخاطف، ومفتاحًا للجنة** » تم الحديث.

لأن الصلاة تسبيح وتقديس وقراءة ودعاء وتهليل وتمجيد، ومنها ما قال: عبد الله بن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه السلام، أي: الأعمال أفضل فقال عليه السلام: «**الصَّلاة لِمَوَاقِيتِهَا** »[1]. تم الحديث لأن الخصال المحمودة فيها كما قال الشاعر:

إن الصلاة عماد في شريعتنا فيها جميع خصال الخير مجتمعة

حافظ عليها إذا رمت مغفرة ورتبة في جنان الخلد مرتفعة

ومنها ما روى أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله عليه السلام فقال: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه على قال: الرواي ولم يسئله عنه وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى النبي عليه السلام الصلاة قام الرجل فقال يا رسول إني أصبت حدا فأقم في كتاب الله قال: عليه السلام: « **أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟** » قال: نعم، قال عليه السلام: « **إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ أو حَدَّكَ** »[2].

---

(١) أخرجه البخارى: (١/١٩٧، رقم ٥٠٤)، ومسلم: (١/٨٩، رقم ٨٥)، والنسائى: (١/٢٩٢، رقم ٦١٠)، وأحمد: (١/٤٢١، رقم ٣٩٩٨)، وابن حبان: (٤/٣٤١، رقم ١٤٧٧). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى: (٩/١٨٨، رقم ٥٢٨٦)، والبغوى فى الجعديات: (١/٨٤، رقم ٤٧٠)، والطبرانى: (١٠/١٩، رقم ٩٨٠٥)، والبيهقى: (٢/٢١٥، رقم ٢٩٨٤).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط: (٧/٣٠١، رقم ٧٥٦٠)، والصغير: (٢/١٣٥، رقم ٩١٥).

(**وإيتاء الزكاة**) أي: إعطاء الزكاة وهي في اللغة النماء والطهارة وفي الشريعة تمليك جزء من مال عينه الشرع أو قيمته في نصاب لفقير مسلم غير هاشمي ولا مولاه مع قطع المنفعة عن المالك من كل وجه لله تعالى.

واعلم أيها الأخ في الدين والإسلام: أن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣] وشدد الوعيد على المقفرين فيها فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤] ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة.

ثم اعلم أن فضيلتها كثيرة ومن جملتها أنها حافظة للمال كما قال: النبي عليه السلام: « **حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بالزَّكاةِ** »(١).

وذكر في الروضة روى النبي عليه السلام: كان يحدث هذا الحديث لأصحابه فمر نصراني عليه وسمع هذه المقالة منه فذهب وأدى زكاة ماله وقال: إن صدق يظهر ويصير مالي مع شريكي محصنا وكان له شريك تاجر قد خرج للتجارة فإن صدق في مقالته أسلمت وآمنت به وإن ظهر كذبه خرجت عليه بالسيف وقتلته فإذا ورد عن القافلة كتاب أن قد قطع اللصوص علينا الطريق وسلبوا الأموال والإبل وكل شيء معنا فسمع النصراني وقال: إنه كاذب فيما قال: « **حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بالزَّكاةِ** » فخرج ومعه سيف مسلول يسعى إلى النبي عليه السلام على نية القتل إذا ورد كتاب شريكه أن لا تهتم فإني كنت أمام الركب فاشتكى قدم أبلي فبقيت في رباط كذا ومضى الركب فقطع عليهم الطريق وأنا في سلامة وما كان معي من جميع الأموال فلما قرأ النصراني كتاب شريكه قال: صدق الرجل

---

(١) أخرجه البخارى: (٢/٥١٢، رقم ١٣٤٥)، ومسلم: (٢/٧٠٠، رقم ١٠١١)، والنسائى فى الكبرى: (٢/٤٠، رقم ٢٣٣٦)، والطيالسى: (ص ١٧٤، رقم ١٢٣٩)، وأحمد: (٤/٣٠٦، رقم ١٨٧٤٨)، وابن حبان: (١٥/٧٠، رقم ٦٦٧٨)، والطبرانى: (٣/٢٣٦، رقم ٣٢٥٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة: (٢/٣٥١، رقم ٩٨١١)، وعبد بن حميد: (ص ١٧٤، رقم ٤٧٨)، وأبو يعلى: (٣/٥٢، رقم ١٤٧٥).

إنه نبي فجاءه وقال: يا محمد عليه السلام أعرض علي الإسلام فعرض عليه الإسلام فأسلم وأحسن إسلامه.

(وصوم شهر رمضان) أي: صوم في شهر رمضان وهو في اللغة عبارة عن الإمساك عن أي شيء كان في أي وقت كان، وفي الشريعة هو ترك الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى الغروب بنية من أهله كذا في الزيلعي.

ورمضان مصدر رمض، أي: احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للتصريف والألف والنون وإنما سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش ولارتمارض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه في أيام رمض الحر عند نقل أسماء الشهور عن اللغة القديمة.

واعلم أيها الأخ: أن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله عليه السلام: «**الصوم نصف الإيمان**»[(١)].

ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله عز وجل من بين سائر الأركان إذا قال: سبحانه وتعالى فيما أخبر عنه نبيه عليه السلام: « **كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** »[(٢)].

وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب فاستكثر منه ما استطعت ولا تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس فتتحسر إذا نظرت إلى الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدري وهم أعلى

---

(١) أخرجه أحمد: (٣٦٥/٥، رقم ٢٣١٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢٩١/٣، رقم ٣٥٧٥). وأخرجه أيضًا: الدارمي: (١٧٤/١، رقم ٦٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود: (٢٦١/٤، رقم ٤٨٤١)، والبيهقي: (٢٠٩/٣، رقم ٥٥٦٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة: (٣٣٩/٥، رقم ٢٦٦٨١)، وأحمد: (٣٠٢/٢، رقم ٨٠٠٥)، والبخاري في التاريخ: (٢٢٩/٧)، والترمذي: (٤١٤/٣، رقم ١١٠٦)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن حبان: (٣٦/٧، رقم ٢٧٩٦).

عليين ثم لا تظنن إذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع، فقد قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:« **كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ والعطش**»[(١)].

بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما كره الله عز وجل فينبغي أن نحفظ العين من النظر إلى المكاره واللسان من النطق بما لا يعنيك والأذن من السماع إلى ما رحم الله فإن المستمع شريك القائل.

وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج ففي الخبر: « **خَمْس يُفَطِّرْنَ الصَّائِم: الْكَذِب، وَالْغِيبَة، وَالنَّمِيمَة، وَالْيَمِين الْكَاذِبَة، وَالنَّظَر بِشَهْوَةٍ** »[(٢)].

وقال النبي عليه السلام: « **الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ فَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ** »[(٣)].

ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكل كل ليلة فلا فرق إذا استوفيت ما تعتاد أن تأكل دفعة أو دفعتين فإنما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك ليقوى النفس على التقوى، فإذا أكلت عشية ما تداركت به فاتك فأي فائدة في صومك وقد ثقلت عليك معدتك وما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٥٣٩/١، رقم ١٦٩٠)، قال البوصيرى (٦٩/٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: النسائى فى الكبرى: (٢٣٩/٢، رقم ٣٢٤٩).

(٢) أخرجه الديلمى: (١٩٧/٢، رقم ٢٩٧٩)، قال ابن أبى حاتم فى العلل: (٢٥٨/١، رقم ٧٦٦) سمعت أبى يقول: هذا حديث كذب وميسرة بن عبد ربه كان يفتعل الحديث. وقال الزيلعى فى نصب الراية (٤٨٣/٢): رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال: هذا حديث موضوع. والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغمارى فى المغير: ص ٤٤).

(٣) أخرجه البخارى: (٦٧٣/٢، رقم ١٨٠٥)، ومسلم: (٨٠٦/٢، رقم ١١٥١) وأبو داود: (٣٠٧/٢، رقم ٢٣٦٣)، وابن ماجه: (٥٣٩/١، رقم ١٦٩١) ومالك: (٣١٠/١، رقم ٦٨٢)، وابن حبان: (٢٥٨/٨، رقم ٣٤٨٢).

(وحج البيت) أي: الكعبة المكرمة الحج في اللغة عبارة عن مطلق القصد وفي الشريعة: عبارة عن قصد المسلم العاقل البيت محرما لعبادة مركبة من طواف بالبيت في وقته ووقوف بعرفة في وقته، والبيت علم للكعبة المشرفة بغلبة الاستعمال وإضافة الحج إليه من إضافة المصدر إلى المفعول ومن قوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾ [آل عمران: ٩٧] مرفوع المحل على أنه فاعل المصدر إلى المفعول، أعني: الحج يعني أن الحج إنما يجب على من يملك وقت خروج الحجاج من المال سوى كفافه وقضاء ديونه ونفقة عياله وخدمه من وقت رواحه إلى انصرافه ما يبلغه إلى بيت الله تعالى ذاهبا وجائيا لا ماشيا بنفقة وسط لا إسراف فيها ولا تقتير مع أمن الطريق بحيث يكون الغالب فيه السلامة هذا هو معنى الاستطاعة كذافي شرح الشرعة ليعقوب بن سيدنا علي.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن في فضائل الحج أخبارا كثيرة منها ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «**حجوا البيت فإن الحج يغسل الإثم كما يغسل الماء الدرن**».

ومنها ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «**من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(١).

ومنها ما قال: صلى الله عليه وسلم: «**ما رؤي الشيطان في يوم هو أصغر وأدحر ولا أحقر وأغيظ منه يوم عرفة وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام إذ يقال: إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة**»(٢).

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له: ما لذي أبكى عينيك قال: خروج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال: فما الذي أنحل جسمك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كان في سبيلي لكان أحب

---

(١) أخرجه الترمذى: (١٧٦/٣، رقم ٨١١) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مالك: (٤٢٢/١، رقم ٩٤٤).

إلي قال: فما الذي غير لونك؟ قال: تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعانوا على المعصية كان أحب إلي قال: فما الذي قصف ظهرك؟ أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن كذا في الإحياء[1].

ولما فرغ الشيخ رحمه الله من إثبات مدعاة هو عدم الاستعداد لرحمة الله إلا بالعمل بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة شرع في إثباته أيضا بتعريف الإيمان فقال: **(والإيمان)** أي ماهية الإيمان.

(وحقيقة قول اللسان) أي: حكم اللسان، يعني: أن يقرأ العبد بلسان جميع ما جاء به الرسول عليه السلام من عند الله من التوحيد والقرآن وسائر الأحكام تفصيلا بأن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى وإجمالا بأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله كما مر.

(وتصديق بالجنان) بفتح الجيم، أي: القلب يعني أن يصدق العبد النبي عليه السلام في جميع ما جاء به من عند الله، وأن يقبل إياه بالجنان فإنه قيل: لم أقدم الحكم باللسان للإشعار بأنه الأول في مقام الإظهار وإن كان الثاني المبدوء به في حال الاعتبار.

(وعمل بالأركان) أي: بالجوارح والأعضاء وفيه تصريح بأن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان ورمز إلى لزوم العمل.

واعلم أنه دخول الأعمال في حقيقته إنما هو على مذهب الشافعي رحمه الله حيث قال: الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان وهو مذهب الأشعري عن مالك وأحمد وهو مذهب أهل الحديث والمعتزلة لكن الأعمال عند الشافعي أجزاء الكمال وعند المعتزلة أجزاء الحقيقة حتى ينتفي الإيمان بانتفائها.

وروي عن علي رضي الله مثل قول الشافعي وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فالأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان حيث قال: الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الشيخ الغزالي عرف الإيمان بتعريف الشافعي لما عرفت أن مذهبه مذهب الشافعي عليه رحمة الله الخالق الباري.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ١/٢٤٠.

ثم اعلم أن أركان الإيمان عند المحققين من الحنفية هو التصديق وليس الإقرار ركن منه بل شرط الإجزاء أحكام الإسلام بدليل أنه قد يسقط بعذر الإكراه فلو كان ركنا انتفى الإيمان بانتفائه لأن الكل ينتفي بانتفاء الجزء.

وقال السرخسي وفخر الإسلام: إنه ركن قد يسقط بعذر الإكراه والتصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلا وعلى هذا لا يتصور الزيادة والنقصان في الإيمان وأما الآيات والأحاديث الدالة عليه محمولة على زمن النبي صلى الله عليه وسلم من حيث كان بزيادة ما يجب الإيمان به شيئا فشيئا وهذا لا يتصور في غير ذلك من الأزمنة أو على زيادة نوره وضيائه.

(هذا ولا تنس الحقير من صالح دعائك ودليل الأعمال) أي: دليل لزوم العمل بالكتاب والسنة وبتعريف الإيمان كأن سائلا سأل وقال: ما فائدة العمل إذ دخول الجنة إنما هو بفضل الله وبرحمته لا بالعمل لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال عليه السلام: «**لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة ولا يجيزه من النار ولا أنا إلا برحمة الله**»[1]. فما الفائدة في العمل فأجاب بقوله: **(وإن كان العبد)** أي: لو كان العبد.

(يبلغ الجنة) بفضل الله لما مر آنفا من حديث جابر.

(الجنة) المرة من الجن وهو مصدر إذا سره سمى بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه ستر ما تحته واحدة ثم سمى البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظلة ثم دار الثواب لما فيه من الجنان وقيل: سميت بذلك لأنه ستره في الدنيا ما أعد فيها للبشر من النعم.

(ولكن يبلغ العبد الجنة بعد أن يستعد بطاعته وعبادته) أي: بعد أن يستحق العبد بسبب طاعته وعبادته.

(لفضل الله ولرحمته) يعني أن العبد ما لم يحصل استعدادا واستحقاقا لفضل الله.

(بالأعمال الصالحة لا ينال إليه) فلا يبلغ الجنة ولا يصل إلى مراتبها العليا.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢١٧١، رقم ٢٨١٧).

(لأن رحمة الله قريب من المحسنين) أي: قريب إلى المحسنين في كل شيء ولو قيل: يبلغ الجنة أيضا، أي: كوصول العبد بعد استحقاقه بالطاعة والعبادة لفضل الله بمجرد الإيمان يعني بغير العمل حاصل السؤال أن العبد كما يصل إليها بعد استعداده بسبب طاعته كذلك يصل إليها بمجرد الإيمان وينال إلى مقامه فيها بعناية الله؛ لأن الإيمان باعث المغفرة والإحسان.

قلنا: يعني يبلغ العبد الجنة بمجرد والإيمان، وهي أعني: كلمة نعم كلمة يصدق بها الرجل قول القائل.

(لكن متى يبلغ كم) أي: كثير.

(في عقبة) بفتح العين والقاف وهي الجبل وقد يقال هي طريق في الجبل.

(كؤد) بفتح الكاف وضم الهمزة، أي: شاق المصعد وصعبة الطريق يقال عقبة كؤد، أي: شاقة المصعد والمراد من العقبة هنا منزلة الآخرة وما فيها من المشاق والأهوال كهول الموقف والحساب ووزن الأعمال ومجاوزة الصراط وغير ذلك.

(تستقبله) أي: تجيء تلك العقبة قدام ذلك الرجل في الآخرة.

(إلى أن يصل) أي: العبد إليها إلى الجنة.

والحاصل أن بينه وبين الجنة مشقة عظيمة وخطرات كثيرة.

(أو تلك العقبات) بفتحات جمع عقبة بفتحات.

(عقبة الإيمان أنه) أي: الإيمان.

(هل يسلم) أي: هل يخلص وقت النزع.

(من السلب) بفتح السين وسكون اللام، أي: من سلب الشيطان يقال بالفارسية: ربودن أم لا، أي: لا يخلص الإيمان من السلب اللهم احفظ إيماننا من الشيطان الرجيم في جميع عمرنا سيما من سلبه وقت النزع ببركة القرآن العظيم وبحرمة رسولك الكريم.

واعلم أيها الأخ: أن الشيطان لك عدو مبين لأنه يعرضك ويمنعك عن متابعة أوامر الله، وسنن رسوله بأقصى جهد متين إلى آخر عمرك فإذا أحضرك الموت يجيء عند رأسك ومعه قدح فيه ماء فيحركه لك فتقول أعطني من الماء ولا تدري أنه الشيطان فيقول: اترك

هذا الدين فقل آلهين اثنين حتى أعطيك منه فإن لم تجبه عند قدميك فيحركه أيضا فتقول أعطني من الماء كذب الرسل حتى أعطيك منه؛ فإن أدركتك السعادة لا تجبه وترد كلامه الباطل؛ فيخرج من الدنيا مؤمنا، وإن أدركتك الشقاوة العياذ بالله تجبه فيصب الماء ويضرب القدح على الأرض ويرقص من فرحه وسروره وأنت ناظر إليه ويأخذ إيمانك فتخرج من الدنيا كافرا فتكون معه في النار مؤبدا نعود بالله.

وروى عنه: «**أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمنيه على صفة أبيه، يقول له: يا بني إني كنت عليك شفيقا ولك محبا ولكن مت على دين النصارى، وهو خير الأديان، والذي عن شماله أمه تقول له: يا بني إنه كان بطني لك وعاء وثدي سقاء لك وفخذي لك وطاء ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان**» نعوذ بالله منهما.

وإذا كان خطر الخاتمة شديدا فعليك أيها الأخ بالبكاء والتضرع والأعمال الصالحة حتى تنجو من شر الشيطان فيها.

حكي أن الحسن البصري قدس الله سره العزيز تكلم يوما من الأيام مع رابعة عدوية رضي الله عنها وطيب آخريها كما أحسن أوليها من العلم اللدني والأحوال الماضية والآتية فإذا ملاء عيناها بالدم وبكت بكاء كثيرا غير متناه فرأى الحسن البصري قدس سره أحوالها وبكائها فقال: يا رابعة ما هذا البكاء مع أنك صالحة وعابدة وزاهدة وسيما أنت أحق إلى الفردوس الأعلى وأحرى، وأن تكوني سيدة للحور العين، قالت: أبكي لخوف عدم قبول الإيمان في آخر عمري؛ لأني لم أعلم بعد أن إيماني فيه مقبولا أم لا؟ ولم أعلم بعد أن الأعمال فيه تكون مقبولة أم لا؟ ولذا بكيت بكاء غير متناه.

والحاصل أن الإيمان المجرد لا يكون وسيلة إلى المرام بل يكون سببا بانضمام الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة، ومن كان عارفا بالله وواصلا إلى الله لا يكون مغرورا بإيمانه.

(**وإذ وصل العبد الجنة بإن تجاوز تلك العقبات بالسلامة يكون**) أي: العبد.

(**جنيا**) بفتح الجيم المعجمة وتشديد النون المكسورة وبياء النسبة إلى الجنة، وبياء النسبة، أي: منسوبا إلى الجنة.

(مفلسا من المقامات العليا والدرجات العظمى) لأن الدخول في الجنة إنما هو بفضل الله والصعود إلى مراتبها العليا إنما بقدر الأعمال.

(كما قال الحسن البصري) بفتح الموحدة وكسرها إمام أهل البصرة وحبر زمانه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وسمع خطبة عثمان رضي الله عنه وشهد يوم الدار.

قال: ابن سعد في الطبقات: كان جامعا عالما رقيقا فقيها حجة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما توفي رحمه الله سنة عشر و مائة أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري وأمه خيرة مولاه أم سلمة زوجة النبي عليه السلام وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء فدر عليها ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك[1].

قال القشيري: لما كان الليلة التي توفي فيها الحسن رأي بعض أصحابه في النوم كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن مناديا ينادي إلا أن الحسن قد قدم على الله وهو عنه راض وله رحمة الله مناقب كثيرة فاطلبها من تذكرة الأولياء للشيخ العطار عليه رحمة الغفار.

(يقول الله تبارك تعالى لعباده يوم القيامة يا عبادي بياء المتكلم: « ادخلوا الجنة برحمتي») أي: بفضلي وكرمي.

(واقتسموها) أي: مقامات الجنة ودرجاتها.

(بقدر أعمالكم) أي: بمقدار أعمالكم

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ١١٥/٧.

النصيحة الخامسة

ما لم تعمل لم تجد الأجر

• أيها الولد..!!

ما لم تعمل لم تجد الأجر.

وحُكي أن رجلا من بني إسرائيل عَبَدَ الله تعالى سبعين سنة، فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة، فأرسل الله إليه ملكًا يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق به [دخول الجنة]، فلما بلغه، قال العابد: نحن خلقنا للعبادة، فينبغي لنا أن نعبده. فلما رجع الملك قال الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ قال: إلهي [وسيدي]؛ أنت أعلم بما قال، فقال الله تعالى: إذا هو لم يعرض عن عبادتنا، فنحن – مع الكرم – لا نعرض عنه، أشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا»[(١)].

وقال علي رضي الله عنه[(٢)]: (مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِدُونِ الْجَهْدِ يَصِلُ فَهُوَ مُتَمَنٍّ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِبَذْلِ الْجَهْدِ يَصِلُ فَهُوَ مُتَعَنٍّ).

وقال الحسن رحمة الله تعالى عليه: (طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب).

وقال بعض العلماء: (عالم الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، والأحمق مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تعالى»[(١)].

---

(١) يروى هذا الحديث موقوفا عن ابن عمر رضي الله عنه بألفاظ مشابهة، أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٠٣/١، رقم ٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٩٦/٧، رقم ٣٤٤٥٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥٢/١)، وابن عساكر (٣١٤/٤٤).

(٢) انظر: البريقة المحمودية ١٤٢/٢.

(**أيها الولد: ما لم تعمل**) أي: مدة عدم عملك في الدنيا فما مصدرية ومعناها التوقيت.

(**لم تجد الأجر**) أي: الجزاء في الآخرة يعني الجزاء إنما يكون بمقابلة العمل.

ولما قال رحمه الله: (**ما لم تعمل لم تجد الأجر**) شرع في حكاية يعلم منها كون الجزاء بمقابلة العمل فقال: (**حكاية**) أي: حكى حكاية.

(**أن رجلا كائنا في بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه**) من الجلاء بالكسر والمد بالفارسية دوش يعني أراد الله تعالى أن يوضح هذا العابد ويظهره على الملائكة وهي أجسام لطيفة قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة منقسمة إلى القسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الإشعار بغيره كما نعتهم الله تعالى عز وجل بقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] وهم العلويون المقربون، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض جسما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية.

(**فأرسل الله تعالى إليه**) أي: إلى الرجل العابد.

(**ملكا من الملائكة يخبره**) أي: يخبر الملك الرجل العابد.

(**أنه**) أي: العابد مع تلك العبادات في تلك السنين.

(**لا يليق**) أي: العابد.

(**به**) أي: بفضل الله يعني لما وصل الملك إلى العابد قال: أيها العابد لا تليق الجنة بهذه العبادة ولا تستحق المغفرة من ربك.

=

(١) أخرجه الترمذى (٦٣٨/٤، رقم ٢٤٥٩) وقال: حسن. وابن ماجه (١٤٢٣/٢، رقم ٤٢٦٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٦٧/١)، والبيهقى (٣٦٩/٣، رقم ٦٣٠٦)، والطبرانى (٢٨١/٧، رقم ٧١٤١)، والحاكم (١٢٥/١، رقم ١٩١) وقال: صحيح على شرط البخارى. وأخرجه أيضًا: أخرجه البزار (٤١٧/٨ رقم ٣٤٨٩)، والقضاعى (١٤٠/١، رقم ١٨٥)، وابن أبى عاصم فى الزهد (٣٨/١)، والديلمى (٣١٠/٣، رقم ٤٩٣٠).

(**فلما بلغه**) أي: وقت تبليغ الملك هذا الخبر إلى العابد.

(**قال: العابد للملك**) في مقابلة هذا الخبر.

(**نحن خلقنا**) بالبناء للمفعول.

(**للعبادة**) أي: لأجل العبادة، يعني إنما خلقنا الله تعالى لأجل العبادة له كما قال في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون**﴾.

(وإذا كان كذلك فينبغي) أي: يجب.

(**لنا أن نعبده**) أي: عبادتنا له تعالى.

(إلى آخر عمرنا سواء قبل عبادتنا فأدخلنا الجنة بفضله ووعده أو لم يقبل فأدخلنا النيران بنقمته ووعيده).

فلما رجع الملك من العابد إلى الملك الغفار بعد سماع هذا الكلام من العابد (**قال**) أي: الملك.

(**آلهي**) أي: معبودي.

(**أنت أعلم مني بما**) أي: بالكلام الذي قال العابد.

(**وإذا قال الملك هكذا فقال الله تعالى: إذا بالتدين**) لأنه ظرف زمان، أي حين بلوغ الخبر إلى العابد بعدم استحقاقه لفضل الله تعالى بتلك العبادة والطاعة.

(**هو**) أي: العابد.

(**لم يعرض**) من الإعراض.

(**عن عبادتنا فنحن مع الكرم**) وهو إفادة ما ينبغي لا لغرض.

(لا نعرض عنه) يعني: لا نمنع رحمتنا وفضلنا عن هذا العابد.

(**أشهدوا**) أمر من باب علم، أي: كونوا شاهدين.

(**يا ملائكتي أني قد غفرت له**) أي: سترت ذنوبه وجعلت مقامه ثابتا في الجنة.

فعلم من تلك الحكاية أن الأجر إنما هو بمقابلة العمل وأن الواجب على العبد أن يعبد لمولاه وأن اللائق بلطف المولى وكرمه بمقابلة العمل وأن يغفر له إذا كان عبادته تعالى عن

إخلاص كما قال عليه السلام: «**يا معاذ بن جبل؛ هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، يا معاذ؛ هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم**»[1] كذا في المشارق.

ولما كان محاسبة النفس واجبة على العبد بعد العمل لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨] شرع في إثبات وجوبها بالحديث فقال قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (**حاسبوا**) أمر من المحاسبة، أي: حاسبوا أنفسكم.

(**قبل أن تحاسبوا في الآخرة، وزنوا أعمالكم غدا**) لأن من تفكر في أفعال نفسه وحاسبها وزن أعمالها بميزان الشرع المحمدي يظهر له أعماله ويتدارك بالإتمام وقت التقصير.

حكي أن واحدا من أصحاب الطريقة كان يعلق الخريطة على عنقه، وكان يلقي حجرا أبيض إذا أتى بخير يلقيها حجرا أسود إذا أتى بمعصية فإذا أوى إلى فراشه وقت نومه كان يعد الأحجار ويحاسب نفسه؛ فإن وجد خيره أكثر من شره كان يحمد الله ويثني عليه وإن وجد شره أكثر من خيره كان يعبد الله ويسبحه إلى أن يغلبه النوم لإتمام النقصان في العمل.

قال ابن العربي: كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به ويفعلونه يقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم وأحضروا دفاتيرهم ونظروا فيما صدر منهم من قول أو عمل، وقابلوا كلا بما يستحق إن استحق استغفارا استغفروا أو توبة تابوا

---

(١) أخرجه البخارى: (٥/٢٢٢٤، رقم ٥٦٢٢)، ومسلم: (١/٥٨، رقم ٣٠)، والترمذى: (٥/٢٦، رقم ٢٦٤٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (٢/١٤٣٥، رقم ٤٢٩٦)، وأحمد: (٥/٢٤٢، رقم ٢٢١٤٩)، وابن حبان: (٢/٨٢، رقم ٣٦٢). وأخرجه أيضًا: النسائى فى الكبرى: (٦/٥٥، رقم ١٠٠١٤).

أو شكرا شكروا ثم ينامون فزدنا عليهم في هذا الباب الخواطر فكنا نقيد ما تحدث به نفوسنا ونهتم به ونحاسبها عليه.

واعلم أيها الأخ العزيز يسر الله حسابنا يوم الدين: أن الواجب علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب إذا لم نخلق عبثا ولا سدى قال: الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] وقال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] يعني: أن يترك مهملا ولا يؤمر ولا يُنهى كذا في تفسير أبي الليث.

وطريقة المحاسبة أن ننظر في أحوالنا منذ كوننا مكلفين إلى زمان المحاسبة هل أدينا ما علينا من حقوق الله، وحقوق العباد أم فات عنا بعضها؟ فما أدينا منهما فمن توفيق الله ولطفه بنا فنشكر الله تعالى على ذلك، وما فات عنهما فننظر أهو من حقوق الله أم من حقوق العباد؟ فنعمل فيهما بفتوى فقهاء مذهبنا حتى نتخلص من إثمها فلنبدأ منهما بحقوق الله، ولننظر أولا في الصلاة فإن عرفنا عدد الفائتة فنقضيها على هذا العدد، وإن لم نعلم فلنقدرها قدرا نعلم أنها ليست أكثر منه فنقضيه، ثم ننظر إلى الزكاة وصدقة الفطر والنذر والضحايا فنقضي ما فات عنها، ثم ننظر إلى الصوم هل وجب علينا قضاؤه وحده فنفعله على مقتضى الشرع، ثم ننظر إلى الحج هل وجب علينا أم لا فإن وجب فنؤديه وإلا فلا، ثم ننظر إلى المعاصي مثل الزنا واللواطة والكذب وشرب الخمر فنتوب منها توبة صحيحة بأن نندم عليها ونعزم على أن لا نفعلها أبدا خوفا من الله تعالى.

فإذا فرغنا من حقوق الله فننظر في حقوق العباد وهي نوعان: أحدهما مالي مثل الغضب، والسرقة وأكل مال الغير بغير إذنه فما علمنا منها مالكه فنستحله منه، وإن مات المالك فنستحله من الورثة وإن وجدت، وإن لم توجد أو لم نعلم المالك فنعطيه إن كان باقيا أو قيمته إن كان هالكا للفقراء بنية أن يكون وديعة عند الله يوصله إلى صاحبه يوم القيامة.

والآخر غير مالي وهو أيضا نوعان بدني مثل الجرح والضرب والاستخدام بغير حق، وقلبي مثل الشتم والاستهزاء ونحوها وطريق الخلاص منها أيضا الاستحلال إن أمكن وإلا فالتضرع إلى الله والتصدق لمن له الحق فلعل الله يرضيه يوم القيامة.

وأما إذا كان الحق للبهائم بأن نضرب بها بغير ذنب أو نضرب وجهها بذنب أو نحملها فوق طاقاتها، أو لم نتعاهد علفها، أو ماءها فالأمر مشكل جدا، وكذلك إذا كان الحق لكافر و لم نستحله منه في الدنيا فإن خصومتهما يوم القيامة مشكلة إذ لا طريق لإرضائهما لا لإعطاء ثواب المؤمن إياهما ولا تحميل إثم الكافر على المؤمن، فإذا فرغنا وتخلصنا من الحقين معا فعند ذلك نشكر الله على التوفيق، والإحسان ثم نجتهد في توفيته الحقين إلى الموت فإن صدرت منازلة فنتبادر إلى التوبة والتدارك ونسأل الله التوفيق.

ثم اعلم أنه ينبغي لنا أن نحاسب أنفسنا أيضا على جميع عمرنا يوما فيوما ساعة فساعة في جميع الأعضاء الظاهرة و الباطنة كما نقل عن توبة بن الصمت وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وستمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى الله بأحد وعشرين ألف ذنب وستمائة ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة الآف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول:: يالك ركضت إلى الفردوس الأعلى، فهكذا ينبغي أن نحاسب أنفسنا على الأنفاس واللحظات والأيام والساعات.

وقال أنيس النبي عليه السلام علي السخي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي وهو المرتضى زوج فاطمة الزهراء، وابن عم مصطفى عليه السلام قال: بعض المؤرخين كان إماما رابعا عالما فائقا جميلا سخيا بحيث لو أراد العوام والخواص بيان سخائه رضي الله عنه ليكون كل منهم عاجزا نعم قيل: بيت كتاب وصف تراب بحر كافي نسيت ركتم من الكشت وصفحة بلشمارم، وكان لقبه الشريف أسد الله وكنيته اللطيفة أبا الحسن والحسين وكان مدة خلافته رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر انتهى.

وقيل: مدة خلافته خمس سنين وثمانية أشهر إلا أياما وله من العمر ثلاث وستون وقيل: خمس وستون ذكره الأختري في "تاريخه"، ومات رضي الله عنه في شهر رمضان المبارك سنة أربعين من الهجرة النبوية مقتولا بالسيف كرم الله، أي: ليكرم الله تعالى وجهه، أي: ذاته من ظن أنه بدون الجهد بفتح الجيم، أي: بغير مشقة في العمل الجهد بالفتح

المشقة يقال: جهد دابته وأجهدها إذا عمل عليها في السير فوق طاقتها وبالضم ويجوز الفتح فيه أيضا وقد قرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] يصل إلى الجنة ويصعد إلى منازلها العليا فهو، أي: ذلك المرء الظان متمن بصيغة اسم الفاعل من التمني وهو طلب المسبب بلا تحصيل أسبابه العادية ومباشرتها وهذا طلب المحال فمعنى قوله: متمن بالتركي محال أو لأن نسئه أيستجي وراء الرجاء فهو بخلافه ولذا قال: متمن ولم يقل مرح وسنذكر الفرق بينهما تفصيلا إن شاء الله تعالى يعني لا يصل إلى ما يتمنه وهو الجنة ومن ظن أنه يبذل الجهد، أي: بصرف الطاقة والقوة يصل إليها فهو متمن بصيغة اسم الفاعل أيضا من العناء بالفتح التعب والمشقة فمعنى قوله: متمن بالتركي زحمت ومشقت حكيجدر.

والحاصل أن العبد كما يصل إلى الجنة بغير مشقة في العمل كذلك لا يصل إليها بصرف طاقته وإنما يصل بفضل الله لما مر من حديث جابر رضي الله.

واعلم أن مراد الشيخ الإمام من إيراد هذا الكلام نفي هذين الظنين والاعتقادين لا نفي العمل لما عرفت أن العبد لا يبلغ الجنة إلا بعد أن يستعد بسبب طاعته.

فقال الحسن البصري قدس الله روحه العزيز طلب الجنة بلا عمل، أي: من غير عمل ذنب من الذنوب لأن الله تعالى أجرى العادة بربط المسببات بأسبابها وجعل الأعمال الصالحة سببا لدخول الجنة كما قال الله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]، أي: أعطيتموها بسبب أعمالكم كذا في تفسير القاضي فمن طلب بغير عمل فقد صار آثما.

فإن قيل: هذه الآية تعارض الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال: رسول الله عليه السلام: «**لا يدخل أحد منكم الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة الله**»[1] كما مر قلنا لا تعارض بين هذه الآية وبين هذا الحديث لأنها تدل على سببية العمل والمنفي في الحديث عليته وإيجابه.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢١٧١، رقم ٢٨١٧).

واعلم أنه ليس المراد من هذا الحديث توهين أمر العمل بل نفي الاغترار به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله تعالى وبرحمته.

والحاصل أن طلب الجنة بغير عمل ذنب ولا يرضى به مجانين فضلا عن ذوي العقول، كما حكي أن رجلا دخل في مسجد عند إصفرار الشمس يعني عند غروبها فصلى العصر بلا خشوع ولا خضوع ولا ركوع ولا سجود يعني بلا طمأنينة فيهما ولا استواء في القومة من الركوع والجلسة بين السجدتين فلما فرغ من الصلاة رفع يديه وسأل الفردوس الأعلى من الله وكان في المسجد مجنون ينظر إليه فلما طالت مسألته قال: له المجنون ويل لك يا أحمق أحشفة وسوء كيله والله لو صليت هذه الصلاة المختلطة ثم سألتني شربة من غسالة الحمام ما سقيتك يا أحمق.

ثم اعلم أيها الأخ العليل -شفى الله قلوبنا عن الأمراض- الجليل: أن الصلوات الخمس لله سبحانه وتعالى كيل فمن وفى وفي له ومن نقص فجزاؤه الويل كما أن نقص الكيل فجزاؤه الويل، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا﴾ [المطففين:١، ٢]

ثم اعلم: أن طلب الجنة بالعمل أيضا ذنب عند العارفين بالله تعالى لما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «**الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على الدنيا، وهما حرامان على أهل الله**»[1] تم الحديث.

ومقصودهم رضاء الله فقط (**وقال عالم من العارفين بالله والواصلين إلى الله**) وفي بعض النسخ لم يوجد لفظ عالم فيكون فاعل ضميرا مستترا فيه راجعا إلى أبي الحسن البصري.

(**الحقيقة**) أي: الحقيقة التي في اصطلاحهم.

(**ترك ملاحظة العمل**) أي: ترك النظر إلى العمل والتفكر فيه.

---

(١) أخرجه الديلمى: (٢/٢٣٠، رقم ٣١١٠). قال المناوى (٣/٥٤٤): فيه جبلة بن سليمان أورده الذهبى فى الضعفاء، وقال ابن معين: ليس بثقة.

(لأنه يورث العجب والكبر) وهما من الأخلاق الذميمة.

لا تترك العمل لما مر أن الله تعالى جعل الأعمال الصالحة سببا لدخول الجنة روي أنه سئل واحد من المريدين عن الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد الشهروروزي قدس الله سره وقال يا سيدنا أهل الطريق إن لي مسألة مشكلة فأرجوا منك فقال الشيخ: ما هي؟ قال: إن كنت فارغا من الأعمال فأكون معطلا وهو أسوء الأحوال وإن كنت مشغولا بها فأشاهد في معجبا وكبرا وهما من الأخلاق الذميمة ورياء. أيضا وهو شرك خفي فبأي شيء أشتغل فقال الشيخ لا تكون من الأعمال فارغا لحظة ولا تنظر إليها بأن هذه الأعمال قد ظهرت مني واستعذ بالله تعالى دائما من العجب والكبر والرياء دفعا فببركة الاستعاذة تكون بعيدا منها وتدخل في دائرة الصلحاء إن شاء الله تعالى.

واعلم أيها الأخ: أن الواجب عليك أن لا تترك العمل ولا تقصر فإن قصرت في العمل فإليك يرجع وباله وإن تشمرت فإليك يعود ثمرته والله عز وجل غني عنك وعن عملك، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة، وإياك أن تقول: إن الله كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة؛ فإن هذه الكلمة حق أريد بها باطل؛ لإن قائلها يريد في أغلب الأحوال أن يقضي عن الطاعة وينهمك في المعاصي ويغم ويغر الناس بها ويستمر في الغفلة ويغفل الناس ويلقيهم في الكسل وقلة المبالاة في الدين ويترتب عليها مفاسد عظيمة في تخريب البلاد وتسليط الظلمة والأشرار عليهم وسفك الدماء ونهب الأموال وغير ذلك.

ثم اعلم: أن قولك هذا –أعني: أن الله الكريم رحيم يغفر ذنوب العصاة– يضاهي قول من يريد أن يصير فقيها في علوم الدين فاشتغل بالبطالة وقال: إن الله كريم رحيم قادر على أن يقبض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه من غير جهد وتكرار وتعليق، وهو كقول من يريد مالا فترك التجارة والخزانة والكسب وتعطل وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السماوات والأرض وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز واستغنى به عن الكسب وقد فعل ذلك ببعض عباده فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتها وسخرت بهما وأن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا وكذلك عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعي لها فالله عز وجل يقول

لك: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] ويقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦].

وإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه عز وجل فكذلك تزود للآخرة ولا تغتر؛ فإن رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم رحيم ليس يزيد له كرم وبموتك وإنما كرمه أن ييسر لك طريق الوصول الملك المقيم المخلد بالبصر على ترك الشهوات أياما قائلا وهذا نهاية الكرم فلا تحدث نفسك بهوسات البطالين واقتد بأولى الحزم والنهي من الأنبياء والصالحين ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع.

ثم اعلم أن تكليف الله تعالى عباده الأعمال لا يضاهي تكليف الإنسان عبده الأعمال التي يرتبط بها غرضه ومنافعة الذي لا حظ له فيه ولا يحتاج إليه لا بأمره ولا يكلف بل تكليف الله تعالى لعباده ويجري مجري تكليف الطبيب مخالفة المريض ولا ينفعه، ولكن الضرر والنفع يرجعان إلى المريض وإنما الطبيب هاد ومرشد فقط، فإن كان المريض موفقا حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وإن لم يكن موفقا حتى خالف الطبيب لا يتخلص من المرض وهلك وخلاصه وهلاكه عند الطبيب سيان فإنه مستغن عن هلاكه وبقائه فكما أن الله تعالى خلق للشفاء سببا يعرفه الأطباء كذلك خلق للسعادة سببا يعرفه الأنبياء ثم العلماء بالله تعالى وهو العمل بالإخلاص فاحفظ هذا هدية مني إليك وأرسل إلى مقابلتها خيرا ودعاء وتحفة منك إلى لأن جزاء الإحسان ليس إلا الإحسان.

خرج الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: قال النبي عليه السلام: **(الكيس)** بتشديد الياء، أي: العاقل الفطن.

(من دان نفسه) أي: غلبها وقهرها وإذ لها ومنه الديان في أسماء الله تعالى يعني العاقل من جعل نفسه مطيعة ومنقادة لأوامر ربها، وقيل: قال العلماء: معنى دان نفسه حاسبها في الدنيا أنه عمل خيرا أم شرا فإن كان خيرا حمد الله وإن كان شرا تاب واستغفر وندم.

(قبل أن يحاسب في الآخرة وعمل لما بعد الموت» أي: عمل للجنة التي وقفت بعد الموت قبل نزوله والمعمول لتلك الجنة العمل الصالح.

(**والأحمق**) أي: الضعيف العقل هكذا في نسخ هذه الرسالة لكن لفـــظ الحـــديث في الجامع الصغير هكذا والعاجز مكان الأحمق.

(**من أتبع**) من باب الأفعال.

(**نفسه**) أي: جعل نفسه تابعة.

(**هواها**) أي: مشهياتها يعني أعطى نفسه ما أرادت من المحرمات.

(**وتمنى على الله**) أي: منازل الأبرار مع عمله عمل الفجار يعني مع تقصيره في طاعة ربه اتباع شهوات نفسه لا يتعتذر ولا يرجع بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الإصـــرار وترك التوبة والاستغفار فهذه محال لأن الله تعالى وعدها لمن يخالف هواها ويطلب رضـــاء مولاه كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ثم الفرق بين الرجاء والتمني هو أن طلب المسبب بعد تحصيل أســـبابه. ومباشـــرتها والثاني طلبه بلا تحصي أسبابه العادية ومباشرتها فنظير الأول طلب المزارع في المزارعة بعـــد طرح بذره، ونظير الثاني طلب من لم يزرع، واعتمد على القدرة الإلهية على إنبات الحبوب من غير زرع وهذا الرجل لا يصل إلى البغية ولا يجد في مزرعه قوت يومه وليلتـــه لأن الله تعالى أجرى العادة بربط المسببات بأسبابها، فكما أن شأنه تعالى في الدنيا هكذا فكذلك في الآخرة؛ لأن ربهما ليس إلا هو.

النصيحة السادسة

كم من ليال أحييتها بتكرار العلم

• أيها الولد..!!

كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب[١]، وحرّمت على نفسك النوم؛ لا أعلم ما كان الباعث فيه؟!

إن كانت نيتك عرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال، فويل لك ثم ويل لك[٢].

---

(١) هذا هو الغزالي كما عهدنا طريقته.. يخاطب المريض أو المريد أو التلميذ واضعاً يده على موطن الداء ليختصر المسافة ويصل إلى الهدف بسرعة.. وهنا إشارة إلى أن طالب العلم ينبغي له أن يخصص وقتاً لمن ليله لمدارسة العلم فمدارسة العلم تسبيح.. ولأن يعود أحدنا إلى بيته بعد حضوره محاضرة علمية أو درساً شرعياً فيمضي ساعة في بيته يراجع ما استمع إليه وما دوّنه في كراسته ذلك ذكرٌ وتسبيح.. فخصّص من ليلك ساعة تتدارس فيها علماً كما تجعل فيه صلاة وقراءة قرآن.. بمدارسة العلم تحيا الأمم على حسن تقتصر العبادات الأخرى على صاحبها بالنفع.. وبذلك كان العلماء ورثة الأنبياء..

(٢) تلك دعوة الغزالي رحمه الله إلى تحرير النية وإخلاص العمل.. ينبه طالب العلم لعله في غيابة عن أمره.. هل تطلب مرضاة الله في سهرك ذاك؟ أم تطلب مزاحمة أهل المناصب في مناصبهم حتى إذا قرعت بابهم قبلوك.. هل تريد الزواج من ابنتهم.. أم تبتغي لك محلة في قلوبهم فينالك قسم من أموالهم أو يغمرك نعيمهم.. ويل لك وألف ويل.. حذار أن يأتيك الناس يلتمسون منك الآخرة فتطلب منهم الدنيا.. فيعرض ربك عنك لأنك بعت آخرتك بدنيا زائلة.. وكذب عملك قولك.. تدعو الناس إلى إخراج حبّ الدنيا من قلوبهم وتمفو عيناك إلى ما بأيديهم من دنيا..

أما إذا كنت تجمع مسائل الفقه وتمعن في حفظ الغرائب والمشكلات لتبرز في المحافل وتتصور المجالس وتشير إليك الأصابع بأنك الحافظ الجامع الذي لا يقف أمامه أحد ولا يجاريه أحد.. وتنهال عليك المدائح ويتردد اسمك في الشرق والغرب.. فهل ظفرت؟ هل نلت ما تبغي.. لا والله فجهنم توقد بعالم ومنفق وشهيد.. يُسأل أحدهم لماذا فعلت ما فعلت.. فالعالم يقول: يا ربّ تعلمت العلم وعلمته أبتغي وجهك فيُقال له: كذبت لقد تعلمت ليقال: عالم وقد قيل: (خذوه فألقوه في سواء الجحيم) وكذلك

وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمّارة بالسوء، فطوبى لك، ثم طوبى لك، ولقد صدق من قال شعرا[(١)]:

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير فقدك باطل

(**أيها الولد أي كثير من ليال أحييها**) بصيغة الخطاب، أي: أحييت تلك الليالي.

(**بتكرار علم ومطالعة**) أي: ينظر كتب. يقال: طالعت الكتاب، أي: نظرته (**وحرمت**) بصيغة المعلوم الماضي من التحريم، أي: جعلت حراما.

(**على نفسك النوم**) قد مر تعريفه يعني شبهت نفسك بقائم الليل في جعلك النوم حراما على نفسك، لتحصيل العلوم الظاهرة وتكميل الفنون الباهرة.

(**لا أعلم**) بصيغة المتكلم وحده.

(**ما**) أي: شيء.

(**كان الباعث**) أي: تسبب.

(**فيه**) في إحياء تلك الليالي في استفهامية مبتدأ وكان مع خبره والمبتدأ مع خبره ساد مسد مفعولي قوله لا أعلم.

(**إن كان نيتك**) أي: قصدك في إحياء تلك الليالي بتكرار علم ونظر كتب.

(**نيل عرض الدنيا**) أي: وصول أحوال الدنيا من النقود وغيرها.

(العرض) بفتح العين والراء المهملتين يتناول صنوف الأموال من النقود وغيرها وقيل: العرض بفتح العين المهملة وسكون الراء المهملة متاع، يقال كل شيء عرض بسكون الراء إلا الدراهم والدنانير فإنهما عين وفي بعض النسخ بالغين المعجمة أعني غرض الدنيا فالمعنى ظاهر.

=

يفعل المنفق والشهيد — لقد أرادوا بفعلهم الشهرة والرياء — ظفروا بحمد الناس وأخطأهم رضا الله عنهم وقبوله عملهم لأنه لم يكن خالصا لوجهه الكريم.

(١) انظر: المدهش ٣٧٦/١، والكشكول ١٣٦/٢.

(وحزت حطامها) بضم الحاء المهملة، أي: جر فوائد الدنيا يقال حطام الدنيا فوائدها وتحصيل مناصبها جمع منصب على وزن مجلس وهو الأصل.

(والمرتبة) أي: تحصيل مراتب الدنيا الحقيرة.

(والمباهاة) بالنصب عطف على المضاف لا على المضاف إليه، أي: كان نيتك الافتخار، يقال: فلان يباهي بأهله وماله، أي: يفتخر على غيره.

(على الأقران) جمع قرن بالتحريك وهو مصدر بمعنى المقارنة، أي: على رفقائك الذين يتعلمون معك العلم.

(والأمثال) جمع مثل وهو النظير، أي: على نظائرك وأكفائك في العلم.

(فويل لك ثم ويل لك) أي: الشدة والعذاب.

وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم لو أرسلت فيها الجبال لماعت من حره نعوذ بالله منه.

وإنما كرر الشيخ رحمه الله هذه الكلمة لمبالغة التهديد والتخويف للولد وللترقي من الأدني إلى الأعلى؛ لأن الثانية أبلغ من الأولى لأن ثم هنا لمجرد الارتقاء والتدرج تنزيلا لبعد المرتبة فنزله بعد الزمان.

(وإن كان قصدك فيه) أي: في إحياء تلك الليالي.

(إحياء شريعة النبي[1] عليه السلام) أي: إحياء دين النبي عليه السلام، يقال: شريعة محمد، أي: دين محمد عليه السلام.

(وتهذيب أخلاقك) أي: تصفية أخلاقك[2].

---

(١) إنه – جزاه الله خيراً- يعلمنا نيات طلب العلم أو إحياء الليل في طلب العلم.. إذ علينا أولا أن ننوي إحياء شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أما كيف يتم إحياء تلك الشريعة فبإحياء كل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فعندما أتناول مسألة أنوي بها إحياء سنة رسول الله أكون نائباً لرسول الله في هداية الأمة مما يقربني إلى حضرة رسول الله وإلى ذاته الشريفة..

(٢) والنية الثانية: هي أن ننوي بها تهذيب أخلاقنا.. وبخاصة أخلاقيات القلوب وأخلاقيات التعامل مع الحق سبحانه وتعالى.. وأخلاقيات التعامل مع الحبيب صلى الله عليه وسلم وأخلاقيات التعامل مع الناس..

openkanal.com

(من الكدورات النفسانية والأخلاق الذميمة) الأخلاق جمع خلق بضمتين ويسكن الثاني تخفيفا وهو ملكة قصد منها الأفعال النفسانية بسهولة من غير روية.

وقيل: هو مجموع القوى والسجايا المدركة بالبصيرة لا بالبص.

(وسر نفسك[1] الأمارة) من صنيع المبالغة لاسم الفاعل، أي: وكسر نفسك الأمارة بالشر المائلة الشهوات والمستعملة للقوى والآلآت في تحصيلها.

=

نقص تلك الأخلاقيات سبب رئيس لحجاب يقوم بين العبد وربه أو بين قارئ القرآن وبين فهمه أو فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لابد أن أدقق النظر فيما أنا فيه.. أبحث عما ينقصني وأنظر في العلة التي تخيم في قلبي.. وأبحث عن طبيب ذي خبرة وتجربة (سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد) ألزمه وأتبع مشورته ونصحه وإن كان فيها ما يؤلم.. لأن أنفع الدواء المرّ.. ولا تدع للشيطان ثغرة بينك وبينه.. فإنه سيحرص على أن يوقع بينكما.. اتخذه مرآة لك تصقل عليها طباعك وتحكم تصرفاتك فقد تكون غارقاً في مرض عضال وأنت لا تدري.. إن قال لك: (أنت مريض) فتقبل ذلك منه واطلب العلاج بسرعة خشية أن يسبقك الأجل ويختطفك الموت فتلقى الله بقلب مريض فلا ينفعك مال ولا بنون ولا قلب.

يقولون: (إن نصف العلاج بيد المريض) فإن كانت معنويات المريض عالية وهمته سامية.. يؤمن بأن الشفاء من عند الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ويؤمن بأن طبيبه ماهر مدرّب مجرّب مجاز من جامعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزميل لكلية أطباء القلوب تأتيه منها آخر الأبحاث والتجارب ويتواصل معه أساطين ذلك العلم المتوارث شيخاً عن شيخ إلى رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله. إذا رسخ لديه هذا الاعتقاد فإن شفاءه سهل لأنه جمع علماً إلى تجربة.. أما إذا لم يكن مؤمناً بطبيبه فأنصحه أن لا يعذب نفسه.. فالإنسان يعطى على قدر ما يطلب والطبيب لن يجدي علمه شيئاً مادام مريضه غير مقتنع به..

(١) والنية الثالثة أن يبقى في حالة تواضع وفقر علمي يسأل الله تعالى أن يزيد في علمه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ومتابعة التفكير في الأمور يورث الرويّة والحكمة الاتقان.

الإمام الشافعي رحمه الله يعتبر من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل.. هذا الأستاذ زار تلميذه مرة فأصرّ التلميذ على استضافة شيخه وأمر ابنته أن تعد لهما عشاء ففعلت.. ثم ذهبت لتنظر إلى الإمام الشافعي وهو يأكل تريد أن تتعلم منه أيضاً.. فرأت الإمام يأكل بنهم وإفراط وهو أمرٌ مستهجن من مسلم

(فطوبى لك ثم طوبى لك) أي: خصلة طيبة لك والخير أقصى الأمنية لأن المراد الثناء على قيل: وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل: اسم شجرة فيها وكرر الشيخ رحمه الله تعالى هذه الكلمات لمبالغة التبشير والتحريض والترقي من الأدنى إلى الأعلى فافهم، ولما

=

عادي فما بالك من مثل الإمام الشافعي.. ثم رأته يتكئ بعد العشاء ويخلد إلى النوم على حين قام أبوها إلى قيام الليل.. حتى انبلج الصباح.. فذكرت لأبيها ما رأت من الإمام الشافعي فأذن لها أن تسأل الإمام الشافعي عن ذلك.. فسألته بأدب: لقد رأيت منك عجباً يا سيدي الإمام.. تبسّم الإمام لها وقال: ما رأيت يا بنية؟ قالت: رأيتك تأكل فتفرط ورسول الله ما شبع من طعام قط.. ثم إنك بعد الطعام اتكأت ثم نمت.. ما قمت من ليل ولا في سحر.. أعجب الإمام بفطنة الفتاة وأجابها: يا بنية.. لقد علمت أن أباك لا يدخل إلى بيته إلا الحلال الطيب.. ولقد أحببت أن أكثر من أكل الحلال لأستعين به على طاعة الله.. أما ما رأيت من اضطجاعي ونومي فلقد كنت أفكر في مسألة أخدم بها المسلمين حتى طلع الفجر.. تلك المسألة كانت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخي انس بن مالك حين وجده يبكي لأن عصفوره طار من يده مخلفاً ساقه في يد الصغير.. فجعل الصغير ينظر إلى الساق مرة وإلى السماء مرة ثم يبكي.. فاقترب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترضيه وهو يضحك قائلا: (يا أبا عمير ما فعل النغير؟) حتى هدأ الطفل وابتسم..

اهتدى الشافعي رحمه الله بهذه القصة إلى سبعين مسألة فقهية كان منها أنه يجوز مناداة الصغير بكنية (أبا عمير) (ذا الأذنين) وهي كنية أنس بن مالك رضي الله عنه ومنها أنه يجوز مشاركة الطفل في أفراحه وأحزانه ولو كانت ساذجة بسيطة لأن ما نراه ساذجاً بسيطاً يكون عند الطفل بالغ الأهمية.. ومنها أنه يستحب جبر خاطر الطفل واسترضاؤه حتى يسكت وأن نتنزل إلى مستواه في التفكير.. ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من ترضّى طفلا حتى يرضى ترضاه الله تعالى يوم القيامة حتى يرضيه..

لقد أحيا الشافعي ليلته تلك يُعمل الفكر في حادثة وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستنبط منها أحكاماً وعلماً وفهماً وسلوكاً وأخلاقاً.. وحري بنا أن نحاول اعمال الفكر في هذه الحادثة أيضاً لعلنا نهتدي إلى أمور ونستنبط معرفة وعلماً..

هكذا يرتقي أولو العلم درجات ويقطعون المسافات ليصلوا إلى مرضاة ربهم سبحانه ويكسرون نفسهم الأمارة بالسوء.. فطوبى لهم وحسن مآب..

قال: وإن كان نيتك إلى آخره أيد هذا الكلام بقول الشاعر فقال: (**ولقد صدق**) أي: والله قد صدق فاللام فيه لتوطئة القسم.

(**قول من بيت سهر العيون**) جمع عين يقال له بالفارسية جشم، والسهر بفتحتين السين والهاء ترك النوم بالفارسية بيدارشن يعني ترك العيون النوم.

(**لغير وجهك**) أي: لغير مشاهدة جمالك ولغير تحصيل رضاك.

(**ضايع**) هي هالك يقال ضاع الشيء يضيع ضياعا بكسر الضاد وفتحها، أي: هلك.

واعلم أيها الأخ: أن السهر يجلو القلب ويصفيه وينوره، فيصير الكواكب الدري والمرآة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة، وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم رغبته به عن الدنيا وإقبال على الآخرة، والسهر نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن؛ لأن المعدة إذا كانت مملؤة بالطعام يجيء النوم.

قال إبراهيم الخواص: اجتمع رأئي ورائي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء وكثرة الشرب من كثرة الأكل.

فإذا كان للسهر هذه الفضيلة فالزمه واترك النوم لأنه يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الحاجة والضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب.

(**وبكاءهن**) أي: بكاء العيون.

(**لغير فقدك**) أي: لغير طلبك عند غيبتك، يقال: فقده فقدانا بكسر الفاء وضمها وتفقده طلبه عند غيبته يعني بكاء العيون لغير وصلك.

(**باطلا**) أي: غير حق يقال: الباطل ضد الحق والجمع أباطيل على غير القياس كأنهم جمعوا أبطيلا ثم أباطيل كذا في مختار الصحاح[١].

واعلم أن هذا البيت من البحر الكامل أصله متفاعلن ست مرات وله ثلاث أعاريض وتسعة أضرب كما بين كل منهما في علم العروض وهذا البيت من قبيل أن عروضه وضربه سالما وكذا سائر أجزائه تقطعيه العيون متفاعلن نلفيروح متفاعلن هكضايعن متفاعلن وبكاءهن متفاعلن نلغيرفق متفاعلن دكبا طلن متفاعلن، ومعنى البيت ظاهر.

---

(١) مختار الصحاح: ٧٣/١.

النصيحة السابعة

عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ

• أيها الولد..!!

عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِق، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ (١).

(**أيها الولد: عش**) أي: عمرك أمر من العيش وهو الحياة.

(**ما شئت**) أي: الذي شبه.

(**في الدنيا فإنك ميت**) بتشديد الياء، أي: ستموت لأن الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد، وبالتخفيف من حل به الموت، قال: الخليل: أنشد أبو عمرو(٢):

يا سَائِلِي تَفْسِيرَ مَيْتٍ ومَيِّتٍ فَدُونك قد فَسَّرْتُ إن كُنْتَ تَعْقِلُ

فمَن كان ذَا رُوحٍ فذالك مَيِّتٌ وما المَيْتُ إلا مَن إلى القَبْرِ يُحْمَلُ

هذا وعظ وزجر وتهديد فليتأهب للموت من غايته الموت بالاستعداد، ولما بعده ومن هو داخل عن الدنيا كيف يطمئن إليها فيخرب آخرته التي هو قادم إليها.

وقال ابن الحاجب: هذا تسمية الشيء بعاقبته نحو ولدوا للموت وابنوا للخراب كذا ذكره بعض الأفاضل.

(**وأحب**) بكسر الحاء وتشديد الباء المفتوحة وبكسرها أمر من باب الأفعال وفي بعض النسخ وأحبب بالإظهار.

---

(١) عن سهل بن محمد رضي الله عنهما قال: جاء جبريل الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال:" يا محمد: عِشْ ما شئتَ فإنك مَيِّت وأحببْ من شئت فإنك مُفَارِقُه واعمل ما شئتَ فإنك مُجْزَى به واعلم أن شرفَ المؤمن قيامُه بالليل وعِزُّه استغناؤه عن الناس ".

أخرجه الحاكم (٣٦٠/٤، رقم ٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٩/٧، رقم ١٠٥٤١)، والخطيب (١٠/٤)، وابن عساكر (٢١٦/٢٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٤٠٧/٢ رقم ٩٨٢). وأخرجه أيضًا: أبو نعيم فى الحلية (٢٥٣/٣).

(٢) انظر: دليل الفالحين ١٨٥/٦، وتاج العروس (مات) ١٠٠/٥.

(ما شئت فإنك مفارق عن محبوبك) والمفارقة عنه أمر شديد يعني تأمل من يصاحبك من الإخوان عالما بإنه لابد من مفارقته فلا تمل إليه بقلبك ولا تطعه فيما تعصي ربك، فإنه لا بد من فرقة الأخلاء كلهم، فينبغي لك إلا تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب من يفارقك وهو الدنيا من الأخلاء والأموال والمناصب، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما تكره وفراقك على ما تحبه.

(واعمل) أمر من باب علم.

(ما شئت فإنك مجزي) من الجزاء على وزن مرمي، أي: بذلك الشيء من العمل هذا مبالغة في التهديد من قبيل قوله: فإن كان العمل حسنا سرك جزاؤه وإن كان شيئا سارك لقاؤه.

واعلم أن هذه الكلمات أمور صراحة لكنها متضمنة للنهي، والزجر والتهديد، وأن هذه كلام روح القدس يعني جبرائيل لمحمد عليه السلام لكن عبارته هكذا يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه، لما روى البيهقي عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال: رسول الله عليه السلام: « **أتاني جبريل فقال لي: يا محمد؛ عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه**»[1]. ذكره في الجامع الصغير.

فانظر أيها الأخ كيف ذكر أولا سبب التفرقة الذي هو الموت، ثم مفارقة الأحباب بعضهم من بعض وإن طالت مواصلتهم، ثم ملاقاة العمل من الخير والشر، وفيه إشارة إلى أن ما سوى الله تعالى لا يجوز الأنس به والوحشة لفراقه.

---

(١) أخرجه الحاكم: (٣٦٠/٤، رقم ٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٤٩/٧، رقم ١٠٥٤١)، والخطيب: (١٠/٤)، وابن عساكر: (٢١٦/٢٣).

النصيحة الثامنة

تحصيل العلم

• أيها الولد..!!

أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطب والدواوين والأشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف: غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال.

إني رأيت في «الإنجيل»: [أن] عيسى عليه السلام قال: من ساعة ما يوضع الميت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالا؛ أوّلها: يقول: « عبدي؛ طهّرت منظر الخلق سنين وما طهّرت منظري ساعة»، وكل يوم ينظر في قلبك يقول الله تعالى: « ما تصنع لغيري وأنت محفوف بخيري!! أما أنت أصمّ لا تسمع؟!! ».

[وفي هذا المعنى شعرًا[(١)]: [البسيط]

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلم تَسْلُك مَسَالكها إنّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى اليَبس

مال نفسك ترضى أن تدنسها وثوب نفسك مَغسولٌ من الدَّنَسِ]

(**أيها الولد: أي شيء حاصلك من تحصيل علم الكلام**) وهو علم بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الكلام، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة كذا في تعريفات السيد.

---

(١) من شعر أبي العتاهية، وهو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم، ولد ونشأ بالكوفة سنة ١٣٠هـ، وكان شعره سهل اللفظ كثير المعاني قليل التكلف وأكثر شعره في الزهد والأمثال، توفى سنة ٢١١هـ. ورواية البيت الثاني:

ما بالُ دينكَ تَرْضَى أن تُدَنِّسَهُ وثوبُك الدهر مَغسولٌ من الدَّنَسِ

انظر: روضة العقلاء و نزهة الفضلاء (١/ ١٠٧)، وزهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٣٤٣)، والعقد الفريد (١/ ٢٩٨).

openkanari.com

(وعلم الخلاف) وهو علم يبحث عن الوجوه المستنبطة والمختلفة تؤخذ من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، وقيل: هو معرفة الاختلاف الواقع بين المجتهدين مع التمكن على إقامة الدليل لحفظ أحد القولين ولهدم الآخر كالشافعي خالف أبا حنيفة رحمهما الله تعالى في عدم اشتراط النية في الوضوء فمثل هذا يسمى خلافا، لأن قول أحدهما يخالف قول الآخر.

(وعلم الطب) هو علم يعرف به أحوال البدن في الصحة والفساد.

(وعلم الدواوين) جمع ديوان.

(وعلم الأشعار) جمع شعر وهو كلام مقفى موزون على سبيل القصد.

(وعلم النجوم) أي: علم أحكام النجوم وهو استدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها وأوضاع الكواكب من المقابلة والتثليث والتسديس والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان.

(وعلم العروض) وهو علم يبحث عن أحوال الأوزان التي تعتبر في الشعر.

(وعلم النحو) وهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم من حيث الإعراب والبناء.

(وعلم الصرف) هو علم يعرف به أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب.

(غير تضيع العمر) أي: غير تضييعك العمر،

(الذي هو رأس بضاعتك) يعني ليس لك نفع وفائدة من تحصيل العلوم الظاهرة وتكميل الفنون الباهرة من الكلام، والخلاف والطب وغيرها من العلوم المذكورة آنفا سوى تضييعك العمر الذي هو رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى.

(واعلم أن هذه العلوم بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما) لأن العلم الحقيقي هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة لا معرفة غيرها، وهذا العلم يورث التواضع والخشية وتلك العلوم تورث التكبر والمجادلة، اللهم احفظنا منهما.

(بجلال ذي الجلال) أي: أقسم بحق جلال ذي الجلال، وإنما أتى رحمه الله القسم بصيغة الجلال التي تتعلق بالقهر و الغضب ليزيد دهشة الولد وحيرته وليمتد خشيته من الله تعالى.

(**إني رأيت**) بصيغة المتكلم وحده، أي: أبصرت.

(**في إنجيل عيسى عليه السلام**) اسم أعجمي سرياني ويعضده القراءة بفتح الهمزة، لأن أفعيلا ليس من أبنية العرب كذا قيل.

(**من ساعة**) بالإضافة إلى أن.

(**يوضع الميت**) بتخفيف الياء وهو من حل به الموت، وبالتشديد من كان ذا روح كما عرفت في ما سبق وقد يطلقان على من مات يقال: مات يموت فهو ميت ضد حي كذا في القاموس[1].

(**على الجنازة**) وهي بالكسر: السرير، وبالفتح الميت، وهو معنى قولهم الأعلى للأعلى والأسفل للأسفل، وقيل: هي لغتان، وعن الأصمعي أنه لا يقال: بالفتح كذا في المغرب.

(**إلى أن يوضع**) أي: الميت على.

(**شفير**) بفتح المعجمة وكسر الفاء وسكون التحتية آخره راء، أي: طرف القبر وجانبه.

(**يسأل الله تعالى بعظمته**) يعني: بلا واسطة الملك.

(**منه**) أي: من الميت.

(**أربعين سؤالا أوله**) أي: أول سؤال يقول: الله تعالى عز وجل للميت.

(**عبدي**) وهو منادى مضاف إلى ياء المتكلم حذف حرف النداء تقديره يا عبدي.

(**طهرت**) من التطهير.

(**منظر الخلق**) أي: المخلوق.

(**سنين**) أي: في سنين كثيرة بأن تريهم علمك وعملك ومعرفتك.

(**وما طهرت**) ما للنفي.

(**منظري**) بياء المتكلم.

(**ساعة**) أي: في زمان قليل من الليل والنهار بإخلاص عملك وتطهير قلبك.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/١٦٠.

obeikandl.com

(وكل يوم) الواو للحال.

(ننظر في قلبك) كما روى مسلم، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله تعالى، أنه قال: قال عليه السلام: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]. وسيجيء في آخر هذه الرسالة.

فيقول: حين نظرنا في قلبك ورأيناه مملوءا بمحبة الدنيا وما فيها وبألفة ما سواي.

(ما تصنع) أي: أي شيء تصنع لغيري يعني لم تتأمل مع غيري و لم تعبده.

(وأنت) أي: والحال أنت.

(محقوق) بالحاء المهملة، أي: مشتملة ومحاط بإحاطة تامة.

(بخيري) أي: بكرمي يعني لا تصنع لغيري ولا تعامل معه ولا تعبده، فالاستفهام أعني: ما للإنكار، ويجوز أن يكون للتنبيه على الضلال كقولك: لمن يترك جادة الطريق أين تذهب.

(أما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم حرف تنبيه، واستفتاح.

(أنت أصم) لا تسمع هذا النداء ولا تترك سواي ولا تعمل بموجبه ومقتضاه والمراد بهذا النداء الرياء وسيجيء تعريفه لغة وعرفا إن شاء الله تعالى.

---

(١)أخرجه مسلم: (١٩٨٧/٤ رقم ٢٥٦٤)، وابن ماجه: (١٣٨٨/٢، رقم ٤١٤٣)، وأحمد: (٢٨٤/٢ رقم ٧٨١٤). وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه: (٣٦٩/١، رقم ٣٧٩)، وابن حبان: (١١٩/٢، رقم ٣٩٤)، والبيهقى فى شعب الإيمان: (٣٢٨/٧، رقم ١٠٤٧٧)، والديلمى: (١٦٦/١، رقم ٦١٤).

النصيحة التاسعة

العلم بلا عملٍ جنون

• أيها الولد..!!

العلم بلا عملٍ جنون، والعمل بغير علمٍ لا يكون.

واعلم أن العلم الذي لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غدا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل بعلمك اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية تقول غدا يوم القيامة: فارجعنا نعمل صالحا، فيقال: يا أحمق؛ أنت من هناك تجيء[1].

(**أيها الولد: العلم بلا عمل جنون كجنون**) هذا من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كقولك زيد أسد ووجه الشبه المضرة والبحث فيه طويل فليطلب من علم المعاني كذا في الذيل لا يلزم علينا إليه الميل فمن أراد فليطلب من علم المعاني حتى يمكن له النيل.

إذا كان العلم بلا عمل جنونا فيكون العالم الغير العامل مجنونا لأن المجنون إذا رأى شيئا يدركه لكن لا يستعمله في موضعه ولا يسلك إلى الطريق موصل إلى مطلوبه، فكما أن المجنون هكذا كذلك العالم الغير العامل لأنه يعلم أوامر الله تعالى ونواهيه بسبب ما أعطى له من العلم، ولكن لا يتمثل بأوامره ولا يجتنب عن نواهيه ولا يسلك إلى طريق مستقيم، فيكون مجنونا العمل بلا علم.

(**لا يكون**) أي: لا يوجد يعني لا يكون منتفعا به لأن العمل والعلم قرينان كمقارنة الروح والجسد ولا ينتفع بأحدها إلا بالآخر، مثلا: الصلاة عمل من الأعمال التي هي فرائض تعالى، ولا يتهيأ للمسلم أداؤها إلا بمعرفة شرائطها وأركانها مثلا؛ لأن الصلاة موقوفة عليها من حيث الصحة والفساد، وأما الأعمال التي يؤديها المسلم بدون معرفة

---

(١) قال تعالى:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

مسائلها فهي غير منتفع بها فالعمل المنتفع به لا يكون بلا علم، نعم ما قيل: عبادة جاهل من غير علم كقرطاس تراه بلا كتاب.

(**اعلم أيها الولد أن علما من العلوم لا يبعد**) من التبعيد هذه الجملة صفة لقوله (**علما اليوم**) أي: في الدنيا.

(**عن المعاصي**) جمع معصية وهي ترك طريق الصواب، وقال عالم: هي ترك المأمور والإقدام علي ما حرم عليه.

(**ولا يحملك**) من الحمل من باب ضرب يعني لا يحثك ولا يحرضك.

(**على الطاعة لن يبعدك**) أي: لا يجعلك هذا العلم بعيدا البتة وهذه بجملة خبر إن.

(**غدا في يوم القيامة عن نار جهنم**) وهو اسم من أسماء طبقات النار التي يعذب الله تعالى بها عباده، قيل: هو فارسي معرب أصله جهنان حذفت ألفه وشددت نونه، وإنما عبر الشيخ رحمه الله تعالى عن يوم القيامة بالغد تنبيها على دنوه وعلى سرعة زوال الدنيا، أو على أن الدنيا كيوم واحد والآخرة عنده.

(**إذا لم تعمل أنت اليوم ولم تدرك**) بصيغة الخطاب من التدارك أصله لم تتدارك حذفت أحدى التائين التدارك في المصلحة.

(**التفكر فيها كيف كانت وكيف تكون الأيام الماضية**) أي: الأيام التي مضت من عمرك في غير ما خلقت له تقول أنت غدا عنه رؤيتك أشد العذاب للعالم الغير العامل فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا، أي: نعمل عملا صالحا هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ [السجدة:١٢] الآية فيقال في جواب قولك هذا يا أحمق، أي: الضعيف العقل أنت من هناك بضم الهاء وتخفيف النون، أي: من ذلك المكان الذي تطلب الرجعة إليه تجيء فلم تعمل فيه وتبقى الرجعة إليه الآن وهو محال.

obeikandi.com

النصيحة العاشرة

اجعل الهمة في الروح

• أيها الولد..!!

اجعل الهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في البدن، لأن مترلك القبر، وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى تصل إليهم، إياك إياك؛ أن تصل إليهم بلا زاد!.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هذه الأجساد قفص الطيور، أو إصطبل الدواب، فتفكّر في نفسك من أيهما أنت؟ إن كنت من الطيور العلوية، فحين تسمع طنين طبل: إرجعي إلى ربك، تطير صاعدًا إلى أن تقعد في أعالي بروح الجنان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه البخاري ومسلم(١).

والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال تعالى ﴿أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار إلى هاوية النار.

ورُوي: أن الحسن البصري رحمه الله تعالى أعطي شربة ماء بارد، فلما أخذ القدح غشي عليه وسقط من يده، فلما أفاق قيل له: مالك يا أبا سعيد؟ قال: (ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]).

(**أيها الولد: اجعل الهمة**) بكسر الهاء وتشديد الميم، وهي في اللغة القصد والإرادة، وفي الاصطلاح هي: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية على جناب الحق لحصول الكمال له أو لغيره.

---

(١) أخرجه البخارى (١٣٨٤/٣، رقم ٣٥٩٢)، ومسلم (١٩١٥/٤، رقم ٢٤٦٦)، وأخرجه أيضا: الترمذى (٦٨٩/٥، رقم ٣٨٤٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٥٦/١، رقم ١٥٨)، وابن حبان (٥٠٤/١٥، رقم ٧٠٣١)، والحاكم (٢٢٩/٣، رقم ٤٩٢٨) وقال: صحيح الإسناد.

والمراد باهتزاز العرش فرحه بمقدمه.

(في الروح) يعني اجعل توجه قلبك وقصده في روحك.

(واغلبه على نفسك) لأن تحصيل الكمالات الإلهية والتجليات الربانية لا يكون إلا بروحك فلا بد لك من تقويته وغلبته على نفسك.

(واجعل الهزيمة) بالفارسية شكين.

(في النفس) يعني: اجعل نفسك منهزمة، وهي مغلوبة بأن لا تعطيها ما تشتهيه من المحرمات؛ لأنها أمارة بالأعمال التي هي سبب للنار، فلا بد بذلك من أن تجعلها ضعيفة ومقلوبة حتى لا تجد قوة لأعمال الشر، وتعريف الروح قد مر فيما سبق.

(واجعل الموت في البدن لأن منزلك) أي: محل نزولك ومأوك.

(القبر وأهل المقابر) أي: والحال أن أهل المقابر ينتظرون إليك.

(في كل لحظة) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة: في كل ساعة.

(متى تصل أنت إليهم) أي: إلى المقابر.

(إياك ثم إياك) وهذان الكلمتان للتحذير وكرره للتأكيد، أي: احذر وابعد نفسك من أن تصل إليهم.

(بلا زاد) أي: بلا عمل لأنه سراج في ظلمة قبرك، وفراش تحت جنبيك وجواب منكر ونكير، ومؤنس إليك إلى يوم البعث، فإذا كان يوم القيامة كان ظلا فوقك وتاجا على رأسك وجوازا على الصراط كالبرق الخاطف ومفتاحا للجنة.

واعلم أيها الأخ: أن القبر يتكلم للميت حين يوضع فيه كما قال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**القبر يتكلم للميت حين يوضع فيه فيقول: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟! ألم تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذا كنت تمر بي فَدَّادًا؟! فإن كان مصلحًا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقول القبر: إِنِّي إِذًا أَعُودُ عَلَيْكَ خَضِرًا، ويعود جسده نورا، ويصعد روحه إلى الله تعالى**»[1] والفداد: هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى كذلك فسره الراوي.

---

(١) أخرجه أبو يعلى: (٢٨٥/١٢، رقم ٦٨٧٠)، والطبراني: (٣٧٧/٢٢، رقم ٩٤٢)، قال الهيثمي (٤٦/٣): فيه أبو بكر بن أبي مريم وفيه ضعف لاختلاطه. وأبو نعيم في الحلية: (٩٠/٦).

وقال عبيد بن عمير الليثي: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها، فيقول: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد؛ فإن كنت في حياتك لله مطيعا، كنت عليك اليوم الرحمة وإن كنت عاصيا فأنا عليك اليوم نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا فرح مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا كذا في الإحياء[١].

ثم اعلم أن من سنة الإسلام زيارة مقابر المسلمين والمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار، والانتفاع بدعائه والاعتبار أن يصور الزائر في قلبه الميت كيف تفرقت أجزائه، كما ذكر عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخلفية بكثرة الجهد والعبادة، فقال عمر للفقيه: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاثة أيام وقد أدخلت في قبري وقد خرجت الحدقان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الإنسان وخرج الصديد من الفم ونتأ البطن فعلى على الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصدر من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

قال حاتم الأصم: من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه و لم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم.

وكان عثمان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي هكذا قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى وسلم يقول: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر، وإن لم ينج فما بعده أشد منه**»[٢].

قال سفيان رحمه الله تعالى: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران كذا في شرح الخطب.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ٤/٤٩٨.

(٢) أخرجه هناد فى الزهد: (١/٢١١، رقم ٣٤٤)، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند: (١/٦٣، رقم ٤٥٤)، والترمذى: (٤/٥٥٣، رقم ٢٣٠٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه: (٢/١٤٢٦، رقم ٤٢٦٧)، والحاكم: (١/٥٢٦، رقم ١٣٧٣)، والبيهقى: (٤/٥٦، رقم ٦٨٥٦).

(قال الرفيق في الطريق أبو بكر الصديق): بكسر أوليه المهملتين، وتشديد ثانيهـا، أي: الملازم للصدق، هذا كنيته أما اسمه الشريف: فعبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عـامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمـي، ومدة خلافته رضي الله تعالى عنه سنتان وثلاثة أشهر، وقيل: سنتان وأربعة أشهر وأيـام: وله من العمر ثلاث وستون سنة ومات رضي الله تعالى عنه في جمادى الآخرة سنة ثـلاث عشرة من هجرة النبوة على فراشه، ودفن في الروضة المطهرة.

حكى أنه رضي الله عنه لما مات وحملت جنازته إلى قبر النبي عليه السـلام نـودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فأتا هاتف يهتف من القبر أدخلـوا علـي الحبيب فإن الحبيب مشتاق إلى الحبيب.

(هذه الأجساد ولا تخلوا من أن تكون قفص الطيور أو لا تخلوا مـن أن تكـون اصطبل الدواب) أي: موقف الدواب بالتركي طوار آخوري قال: في القاموس الاصطبل كجردحل موقف الدواب شامية انتهى[1].

وقال أبو عمرو: الاصطبل ليس من كلام العرب، والدواب جمع دابة وهي كل مـا يدب في الأرض من الحيوانات إذا كانت الأجساد منقسمة إلى قسمين.

(فتفكر) أمر من التفكر، أي: تأمل.

(في نفسك) وذاتك هل كان جسدك.

(من قفص الطيور العلوي) بكسر العين ومنها، أي: المنسوب إلى العلو والارتفاع.

(فحين تسمع أنت طنين) بفتح الطاء المهملة وهو الصوت بالفارسية آو آو.

(طبل ارجعي إلى ربك راضية مرضية تطير) أي: فأنت تطير يعني تطير روحك.

(صاعدا) الصعود بالفتح الهبوط.

(إلى أن تقعد في أعالي بروح الجنان) أي: إلى قعود في المقامات العاليـة في الجنـان وهي بكسر الجيم جمع جنة والروح وهو الحصن وواحد من بروح السماء والمراد بها هنـا:

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/٣٨.

مقامات الجنة ومنازلها، يعني: إن كان جسدك قفصا للطير الذي يصعد إلى أعلى المنازل فأنت تطير وقت سماعك صوت طبل ارجعي إلى ربك راضية مرضية صاعدا إلى قعودك في المقامات العالية في الجنان.

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧]، أي: يقول الله تعالى بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر وقيل: عند البعث وقيل: عند الموت انتهى.وكلام الشيخ مبني على الوجه الأخير.

روي: أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى لما قبض روحه الشريف سمعوا هذا النداء قبل قيام جنازته.

(كما روي عن أنس وعن جابر رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا: قال النبي عليه السلام: اهتز) - بتشديد الزاء، أي: تحرك -.

(عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) — يعني: ارتاج عرش الرحمن، وفرح بوصول روح سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه إليه واستبشر لكرامته عند ربه، فعلم من هذان أن روح المؤمن الصالح يصل إلى المقامات العالية اللهم اجعلنا في زمرة الصالحين وصعد روحنا إلى مقامات العليين.

قال ابن مالك في شرح هذا الحديث على المشارق: يحتمل أن يراد من اهتزاز تحركه فرحا بقدوم سعد كما اهتز جبل أحد وعليه النبي عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وعثمان رضي الله تعالى عنهم، وأن يراد به بشارات أهله وإقبالهم إليه، وقيل: هو كناية عن تعظيم موته؛ لأن العرب تنسب المعظم إلى أعظم الأشياء كما يقال: أظلمت الأرض لموت فلان انتهى.

وإنما فسرنا الحديث بالاحتمال الأول، لأنه هو اعتبار من ظاهر الحديث ولذا قدم ابن مالك رحمه الله تعالى هذا الاحتمال على الثاني.

(العرش) الجسم المحيط بجميع الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضائه قدرة منه، ولا صورة ولا جسم ثمة كذا في تعريفات السيد.

(والعياذ) بكسر المهملة وتخفيف التحتية الاعتصام بالله تعالى.

(من أن كنت من الدواب السفلية) يعني استعذ بالله من كون جسدك اصطبلا للدواب التي تنتقل، لأنك لا تطير ولا تسمع صوت طبل ارجعي صاعدا إلى أعلى المنازل بل تنتقل فتكون أضل من الحيوانات.

(قال الله تعالى: أولئك) أي: الموصوفون بالأوصاف المذكورة في سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(كالأنعام) جمع نعم بفتحتين وهو ذو القوائم الأربعة في انتفاع الشعور على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أفضل من الأنعام؛ فإنها تدرك ما من شأنها أن تدرك من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية مع كونها بمعزل من الخلود، وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد الأليم.

وقيل: إنما كانوا أضل من الأنعام لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتعطيه، وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر: «**كل شيء أطوع لله تعالى من آدم**»[(١)].

(وإذا كان جسدك اصطبلا للدواب السفلية فلا تأمن) نهي حاضر من الأمن، أي: لا تكن أمينا.

(من انتقالك من زاوية الدار إلى هاوية النار) الزاوية بالفارسية كوشة، والمراد بالدار الدنيا يعني لا تكن أمينا من انتقالك من زاوية الدنيا إلى الهاوية، وهي: اسم من أسماء طبقات النار، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها. روي أن أهل النار يهوي فيها سبعين خريفا وقيل: اسم للباب الأسفل منها.

(وروي أن الحسن البصري قدس الله روحه العزيز أعطى) بالبناء للمفعول.

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير: (١٣١/٢، رقم ٩٠٨، ٩٠٩). قال الهيثمي (٥٢/١): رواه الطبراني في الصغير بإسنادين، وفيه أبو عبيدة بن الأشجعي، ولم أجد من سماه، ولا ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: الديلمي: (٤٨/٤، رقم ٦١٤٩).

(**شربة**) هي من الماء وما يشرب.

(**من ماء بارد**) صفة الماء.

(**فلما أخذ**) أي: الحسن البصري.

(**القدح**) بفتحتين وهو معروف.

(**غشي**) بضم الغين المعجمة، أي: ذهب عقله وتحير، يقال: غشي عليه فهو مغشي عليه إذا ذهب عقله وتحير.

(**وسقط**) أي: القدح.

(**من يده**) أي: من يد الحسن البصري.

(**فلما أفاق**) أي: وقت مجيء عقله.

(**قيل له: مالك**) أي: أي شيء وقع لك حتى ذهب عقلك وتتحير وسقط القدح من يدك يا أبا سعيد؟.

(**قال**) أي: الحسن البصري.

(**ذكرت**) بالبناء للمتكلم وحده.

(**أمنية**) بضم الهمزة وسكون الميم وفتح الياء المشددة يقال بالتركي: أدزوا.

(**أهل النار**) ومشتهياتها.

(**حين يقولون لأهل الجنة**) أي: حين يخاطب أهل النار وهم فيها لأهل الجنة وهم فيها.

(**أفيضوا**) أمر من الإفاضة، أي: صبوا علينا من الماء البارد أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة، وفيه دلالة على أن الجنة فوق النار، فيقول أهل الجنة لأهل النار: إن الله حرمهما على الكافرين، وما جاء في حق أبي لهب أنه يسقى من نقرة إبهامه ماءً باردا كل ليلة اثنين لفرحه بظهور النبي عليه السلام فليس في الخبر أن ذلك الماء من الجنة.

النصيحة الحادية عشر

لو كان العلم المجرّد كافيا لك

• أيها الولد..!!

لو كان العلم المجرّد كافيا لك، ولا تحتاج الى عملٍ سواه، لكان نداء الله تعالى: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ..؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ..؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ..؟ »[١] ضائعًا بلا فائدة.

ورُوي أن جماعة من الصحابة رضي الله عليهم أجمعين ذكروا عبد الله بن عمر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « نِعْمَ الرَّجُلُ هو لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ »[٢]. رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه: « يا فلان؛ لا تكثر النوم بالليل؛ فإن كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيرًا يوم القيامة»[٣].

(أيها الولد: لو كان العلم المجرد عن العمل كافيا لك ولا تحتاج) أي: لو كنت غير محتاج.

(إلى عمل سواه) بالكسر غير العلم.

(لكان نداء هل من سائل) أي: لكان نداء الله تعالى هل من سائل، فالمصدر مضاف إلى المفعول، وذكر الفاعل متروك، يعني هل من عبد سائل من عبادي يسأل مقصوده مني فأعطيه مرامه.

(وهل من مستغفر) يعني هل من عبد مستغفر يطلب المغفرة مني فأغفر له.

---

(١) جزء من حديث قدسي أخرجه مسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٥٨)، وأبو يعلى (٤٠٠/٢، رقم ١١٨٠)، وابن خزيمة (١٨٢/٢، رقم ١١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧/٣، رقم ٣٥٣٠)، ومسلم (١٩٢٧/٤، رقم ٢٤٧٩). وأخرجه أيضًا: الدارمى (١٧١/٢، رقم ٢١٥٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢/١، رقم ١٣٣٢)، والبيهقي في الشعب (١٨٣/٤، رقم ٤٧٤٦). وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١\٤٤٦. وفي إسناده احتمال للتحسين.

obeikandl.com

(**وهل من تائب**) يعني هل من عبد تائب منهم يتوب من ذنوبه فأقبل توبته.

(**ضائعا**) أي: تلفا وهلاكا منصوب لفظا على أنه خبر لقوله: لكان.

قوله: (**بلا فائدة**) من قبيل عطف التفسير، وفي هذا النداء توبيخ لهم على غفلتهم في السؤال عن الله تعالى.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن وقت هذا النداء إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه فاجتهد بالانتباه قبل هذا الوقت وسل مقصودك من الله تعالى، واستغفر منه وتب توبة نصوحا حتى يصل إلى مرادك في الدنيا والآخرة.

(**وروي أن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين**) قال البخاري: من أئمة المخرجين: الصحابة من صحب النبي عليه السلام، أو رآه من المسلمين، وقيل: كل من روى حديثا منه أو كلمة فهو صحابي، والظاهر أن من طالت صحبته مع رسول الله عليه السلام، وكثرت مجالسته على طريق التبع والأخذ منه عليه السلام فهو صحابي.

(**ذكروا عبد الله بن عمر**) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدي بن كعب القرشي العدوي وهو الفاروق كان مدة خلافة عمر رضي الله تعالى عنه عشر سنين، وقيل: عشر سنين ونصف إلا تسعة أيام وله من العمر ثمان وثمانون سنة، وقيل: ثمان وتسعون كذا ذكره البخاري في تاريخه، وقيل ست وستون والله أعلم بحقيقة الحال، ومات في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة النبوية مقتولا، ودفن في الروضة المطهرة اللهم أحشرنا معه في جوار حبيبك.

واعلم أن عبد الله رضي الله تعالى من أئمة الرواة قيل: أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وكان من أهل العلم والورع حتى أعتق ألف عبد، ما رواه عن النبي عليه السلام ألفان وستمائة وثلاثون حديثا كذا في شرح المشارق لابن مالك.

(**عند رسول الله**) عليه السلام يعني ذكر الأصحاب من أعماله الصالحة عند رسول الله عليه السلام.

فقال عليه السلام في حق عبد الله: (**نعم الرجل – هو**) أي: عبد الله –.

(**لو كان يصلي من الليل**) فمن فيه للتبعيض قال: سالم: كان عبد الله بعد ذلك لا ينام إلا قليلا.

واعلم أن راوي هذا الحديث حفصة رضي الله عنها، وسبب وروده أنها قالت: قص عبد الله علي، فقال: رأيت في منامي كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار قلت: أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك فقال لي: لا روع عليك فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**نعم الرجل**» إلى آخر الحديث. كذا قال ابن مالك في شرحه على المشارق. وأما الشيخ الإمام فقد بين سبب وروده بقوله وروى إلخ، والله أعلم بالصواب.

(**وقال عليه السلام لرجل من أصحابه: يا فلان –**) بالضم وهو كناية عن أسماء العقلاء.

(**لا تكثر**) نهي حاضر.

(**من الإكثار النوم بالليل**) أي: في الليل.

(**فإن كثرة النوم بالليل تدع**) أي: تترك (**صاحبه فقيرا يوم القيامة**).

واعلم أيها الأخ: أن كثرة النوم كما تترك صاحبه فقيرا يوم القيامة كذلك تكون سببا لفقره في الدنيا من جهة المال لكونه غافلا في وقت اكتساب المال تكون أيضا سببا لفقره من جهة العلم، لأن تحصيل العلم وجمعه في ترك النوم والنعاس كما قال قائل:

سرور الناس في لبس اللباس وجمع العلم في ترك النعاس

فعليك الاجتناب عن كثرة النوم، لأن وصلة الواصلين إلى المقاصد لا تكون إلا بقلة النوم.

obeikandi.com

النصيحة الثانية عشر

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾

• أيها الولد..!!

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء:٧٩] أمر؛ ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨] شكر؛ [وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] ذكر.

قال عليه الصلاة والسلام: « ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار»[(١)].

وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه: (إن الله تبارك تعالى خلق ريحا تهب بالأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار).

وقال أيضا[(٢)]: (إذا كان أول الليل ينادي مناد من تحت العرش: ألا ليقم العابدون، فيقومون ويصلون ما شاء الله، ثم ينادي مناد في شطر الله: ألا ليقم القانتون، فيقومون ويصلون إلى السحر، فإذا كان السحر ينادي مناد: ألا ليقم المستغفرون، فيقومون ويستغفرون، فإذا طلع الفجر نادى مناد: ألا ليقم الغافلون، فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم).

(**أيها الولد: قوله:** ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾) أي: قم يا محمد بعض الليل.

(**فتجهد به**) أي: فضل في ذلك البعض على أن يجعل قوله تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ [الإسراء: ٧٩] بمعنى فصل ويجعل الضمير المجرور للبعض.

---

(١) أخرجه الديلمى عن أم سعد بنت زيد بن ثابت (١٠١/٢، رقم ٢٥٣٨).

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل باب الاستغفار بالأسحار والصلاة فيها (١٠٧/١).

opelkanal.com

(نافلة لك) أي: فريضه زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون أمتك لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال: رسول الله عليه السلام: « **ثَلاَثَةٌ عَلَيَّ فَرِيضَةٌ وَهُنَّ سُنَّةٌ لَكُمُ: الْوِتْرُ، وَالسِّوَاكُ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، أو طوعا**»(١).

لكن لا لكونها زيادة على الفرائض، بل لكونها زيادة له عليه السلام في الدرجات على ما قاله مجاهد والسدي فإنه عليه السلام مغفور ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فيكون تطوعه عليه السلام زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الأمة، فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم كذا في تفسير أبي السعود عليه رحمة الودود أمر من الله تعالى إلى رسوله عليه السلام.

واعلم أيها الأخ: أن الله تعالى أمر بقيام الليل وصلواته مع كونه عليه السلام مغفورا ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما بالنا أن لا نقوم ولا نصلي مع كوننا غريقين في بحار العصيان اللهم نبهنا قبل الموت ولا تشوشنا ولا تعطلنا بآخر الموت وأقمنا للصلاة قبل الفوت.

وقوله: **(وبالأسحار)** أي: في الأسحار هم المتقون مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم.

(ويستغفرون) أي: يداومون على الاستغفار شكرا من الله تعالى لا أمر يعني أن قوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨] مدح من الله للمستغفرين فيها، وتحريض لعباده إلى الاستغفار فيها،

وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ [آل عمران:١٧] أي: المصلين في الأسحار قاله مجاهد وقتادة والكلبي، وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة.

وقال الحسن: هدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا.

---

(١) أخرجه البيهقي: (٣٩/٧، رقم ١٣٠٥١) وقال: موسى بن عبد الرحمن هذا ضعيف جدًّا و لم يثبت فى هذا إسناد. وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط: (٣١٥/٣، رقم ٣٢٦٦)، قال الهيثمى (٢٦٤/٨): فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعانى وهو كذاب.

وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: يحيى الليلة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا، فأقول: لا فيعاود الصلاة؛ فإذا قلت: نعم فقد يستغفر الله تعالى حتى الصبح.

وعن الحسن: كانوا يصلون في الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة في هذا الوقت أشق والنفس أصفى والروح أجمع ذكر من الله تعالى لعباده الذين يصلون ويستغفرون بالأسحار فعلم أن العامل وغير العامل لا يستويان إذ لو كانا متساوين لما مدح الله تعالى وذكر عباده الذين يتهجدون بالليل ويستغفرون بالأسحار في كتابه الكريم.

واعلم أيها الأخ: أنه ينبغي أن يوجد للمستغفرين وقت استغفارهم سبع حالات:

الحالة الأولى: الحسرة والندامة على عصيانهم.

والثانية: الامتثال بأوامر الله تعالى من بعد.

والثالثة: الاجتناب عن نواهيه.

والرابعة: التدارك فيما فاتوا من الطاعات بأنواع التضرع وأصناف الالتجاء إلى الله تعالى.

والخامسة: المسارعة إلى أداء حقوق العباد وإلى نجاة النفس عن وقر الأثم.

والسادسة: تأديب النفس بالطاعات والعبادات.

السابعة: إذافة النفس حلاوة العبادة كما أذاقها المعصية فمن كان متصفا بهذه الحالات من العصاة وقال في وقت السحر بالصدق مرة استغفر الله يكون مغفورا ومأجورا ويكون حيويته وحبوبا ومرضيا عند الله تعالى.

(كما قال: النبي عليه السلام: ثلاثة أصوات) جمع صوت.

(يحبها الله تعالى) أن يرضى الله تعالى عنها.

أحدها: (صوت الديك) بالفارسية خروس؛ لأن صوته يؤذن ويعلم وقت الصلاة كما قال عليه السلام: « **لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ** »[1] وفي رواية: «**فإنه يدل على مواقيت الصلاة**».

---

(١) أخرجه الطبراني: (٥/٢٤٠، رقم ٥٢١١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤/٢٩٩، رقم ٥١٧٣).

والثاني: (صوت الذي) أي: صوت الشخص الذي.

(يقرأ القرآن) وهو كلام الله المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه عليه السلام.. متواترا بلا شبهة.

واعلم أن فضيلة أهل القرآن أحاديث كثيرة، ويكفيك حديث واحد رواه معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو أنه قال عليه السلام: «**يدعى يوم القيامة بأهل القرآن فيتوج كل إنسان بتاج لكل تاج سبعون ألف ركن، ما من ركن إلا وفيه ياقوتة حمراء تضيء من مسيرة كذا مسيرة الأيام والليالي، ثم يقال له: أرضيت؟ قال: نعم، فيقول له الملكان اللذان كانا عليه -يعني الكرام الكاتبين-: زده يارب، فيقول الرب عز وجل: « أكسوه حلة الكرامة فلبس حلة الكرامة، ثم يقال: أرضيت؟ قال: نعم، فيقول ملكاه: زده يارب، فيقول الله تعالى لأهل القرآن: ابسط يمينك فتملأ من رضوان الله، ويقال له: ابسط شمالك فتملأ من الخلد، ثم يقال له: أرضيت؟ فيقول: نعم يارب، فيقول ملكاه: زده يارب، فيقول الله تعالى: إني قد أعطيته رضواني وخلدي، ثم يعطى من النور مثل الشمس، ويشيعه سبعون ألف ملك ملك إلى الجنة، فيقول الرب سبحانه وتعالى: انطلقوا فأعطوه بكل حرف حسنة وبكل حسنة درجة ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام، ثم يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها، فيقرأ ويرتقي حتى ينتهي به القرآن إلى غرفة من لؤلؤة لها سبعون ألف باب من ذهب متدانية ثمارها، متطردة أنهارها، فيها سكانها وأزواجها وخدامها، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويدخل عليه من الباب الأول سبعون ألف ملك أحسن وجوها ما رأوها قط، وأطيب ريحا، مع كل ملك منهم هدية أهديها إليه الرب جل جلاله فيقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، هذه هدية أهداها إليك الرب تعالى وهو يقرؤك السلام، ثم يدخل عليه من الباب الثاني مائة ألف وأربعون ألف ملك مع كل ملك هدية من الرب تعالى فيقول مثل ما قال الأول، ثم يدخل عليه من الباب مائتا**

ألف وثمانون ألف ملك، ولا يزالون كذلك يدخلون عليه من كل باب في الجنة مثل ذلك، ثم يجاء بأبويه فيفعل بهما ما فعل بولدهما تكرمة لصاحب القرآن» انتهى إلى هنا ما رواه معاذ رضي الله تعالى عنه كذا ما قاله العلماء.

والثالث: (صوت المستغفرين بالأسحار) أي: صوت الذين يستغفرون في الأسحار من الملك الغفار.

فإن اختلج في فؤادك أيها السائل أن تقول: يفهم من هذا أن الله تعالى يحب صوت المستغفرين بالأسحار فقط لا في أوقات أخر، يقول الفقير إلى ربه الغني المدعو بصبري: إن الله تعالى يحب صوت المستغفرين مطلقا سواء كان في الأسحار أو في أوقات أخر، لكن تخصيص النبي عليه السلام صوت المستعفرين في الأسحار بمحبة الله تعالى لكون وقت السحر أفضل من سائر الأوقات، وأقرب من الإجابة ولتحريض آفته على الاستغفار فقيه.

ولما كان صوت المستغفرين في الأسحار محبوبا ومرضيا عند الله تعالى فلا شك أنه يصل إلى الملك الغفار كما **(قال سفيان الثوري)** وهو الإمام العالم أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي الفقيه سيد أهل زمانه علما وعملا، من تابعي التابعين وهو أحد أصحاب المذاهب المتبوعة.

قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان.

وقال شعبة ويحيى بن معين وغيرهما سفيان أمير المؤمنين في الحديث.

وكان يدعو على المنصور لظلمه فهم به وأراد قتله، فما أمهله الله تعالى.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لما مات سفيان أخرجنا بالليل من أجل السلطان فحملناه فما أنكرنا الليل من النهار.

وقال يحيى بن سعيد: رأيت فيما يرى النائم فنظرت إلى صدره فإذا في صدره مكتوب في موضعين: فسيكفيكهم الله.

وقال عبد الرحمن بن مهدي لما غسلت سفيان الثوري وجدت في جسده مكتوبا فسيكفيكهم الله.

وعن عثمان بن زائدة قال: رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فإذا سفيان يطير من شجرة إلى شجرة وهو يقول: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

ويروى: رؤي في المنام فقيل له: يا شيخ ما فعل الله بك؟ قال: نظرت إلى ربي فقال لي: هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد فقد كنت قواما إذا أظلم الدجى، بعبرة مشتاق وقلب عميد، فدونك فاختر، أي: قصر أردته وزرني فإني عنك غير بعيد.

وأحوال الثوري رحمه الله تعالى عليه والثناء وأكثر من أن تحصر ولد سنة سبع وتسعين وتوفي سنة ستين ومائة، وهو ابن ثلاث وستون سنة، كذا في شرح الغزنوي المسمى بالضياء المعنوي.

(أن الله تبارك) أي: كثر خيره كثيرا.

(وتعالى خلق ريحا طيبة تهب) بتشديد الباء من الهبوب، يقال له بالتركي: بلاسمك.

(وقت الأسحار وتحمل) أي: الريح.

(الأذكار) جمع ذكر.

(والاستغفار) الكائنين في هذا الوقت.

(إلى الملك الجبار) وهو من أبنية المبالغة أما من الجبر بمعنى الإصلاح، أي: المصلح لأمور الخلائق فإنه جابر كل كسير أو بمعنى الإكراه يقال: جبره السلطان على كذا أو أجبره إذا أكرهه، أي: تجبر خلقه ويحمل على ما يريده فسبحان من أمام العباد فيما إذا ذكره في شرح حصن الحصين لعلي القارئ عليه رحمة البارئ.

يعني أن الأذكار والاستغفار كذا الدعاء في وقت الأسحار مقبولة عند الله تعالى لما عرفت أن هذا الوقت وقت شريف.

(وقال) أي: سفيان الثوري أيضا.

(إذا كان أول الليل) أي: ثلث الليل.

(ينادي مناد من تحت العرش) وهو، أي: هذا المنادى ملك في صورة ديك له جناحان أحدهما من اللؤلؤ والآخر من زبرجد أخضر فإذا كان ثلث الليل يضرب أحد جناحيه بالآخر ويصبح فيقول.

(**ألا**) بفتح الهمزة وتخفيف اللام وهو أداة التنبيه معناه بالفارسية: أكاه شد.

(**ليقم**) أمر غائب من قام يقوم، أصله ليقوم أعل فصار ليقم.

(**العابدون**) أي: الذين يعبدون الله تعالى في هذا الوقت، بمعنى: أيها العابدون تنبهوا ولا تفعلوا أنه قد جاء من وقت طاعتكم وعبادتكم فقوموا اعبدوا الله تعالى فيه ولا تضيعوه بالنوم.

(**فيقومون**) أي: العابدون.

(**ويصلون ما شاء الله تعالى**) أي: بعد مضي ثلث الليل.

(**ينادي مناد من تحت العرش في شطر الليل**) أي: في نصف الليل، يقال: شطر الشيء نصفه، يعني: إذا كان نصف الليل يصبح ذلك الملك بعد قرب أحد جناحيه بالآخر فيقول.

(**ألا ليقم القانتون**) أي: الخاشعون لله تعالى أو الذاكرون لله تعالى في القيام؛ لأن القنوت وهو الذكر فيه، وقيل: هو إكمال الطاعة وإتمامها بغير إخلاله الشيء من أركانها.

(**فيقومون**) أي: القانتون.

(**ويصلون ما شاءوا إلى السحر**) وهو وقت الذي قبيل طلوع الفجر.

(**فإذا كان السحر ينادي مناد من تحت العرش**) يعني: إذا كان وقت السحر يصبح ذلك الملك أيضا بعد الضرب فيقول.

(**إلا ليقم المستغفرون**) أي: الذين يطلبون المغفرة لذنوبهم وإنما نودي المستغفرون في وقت السحر؛ لما مر أنه أفضل الأوقات وأقرب من الإجابة.

(**فيقومون**) أي: المستغفرين.

(**ويستغفرون من الله تعالى لذنوبهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر ينادي مناد من تحت العرش**) يعني إذا كان وقت طلوع الفجر يصبح ذلك الملك أيضا فيقول.

(**إلا ليقم الغافلون**) أي: الذين يغفلون عن الصلاة والاستغفار في هذه الأوقات الثلاثة المذكورة، ولهذا ينادون بالغافلين مع أنهم يصلون الفجر.

obeikandl.com

(**فيقومون**) أي: الغافلون.

(**من فرشهم**) بضم الفاء والراء جمع فراش بكسر الفاء، وهو اسم لما يفرش كاللباس لما يلبس.

(**كالموتى نشروا من قبورهم**) يعني: تفرقوا وانتشروا من فرشهم كانتشار الموتى من قبورهم يوم البعث.

obeikandl.com

النصيحة الثالثة عشر

رُؤي في وصايا لقمان الحكيم

• أيها الولد..!!

رُؤي في وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال: (يا بني؛ لا يكوننّ الديك أكيس منك! ينادي بالأسحار وأنت نائم).

ولقد أحسن من قال شعرا[1]: [الطويل]

لقد هَتَفَتْ في جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ على فننٍ وهنًا، وإني لنائم
كَذبْتُ، وبَيْتِ الله لو كُنْتُ عَاشقًا لَمَا سَبَقَتْنِي بالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ
وأزعم أني هائم ذو صبابة لربي، فلا أبكي وتبكي البهائم!

(**أيها الولد: رؤي**) بالبناء للمفعول من الرؤية لا من الرواية كما قيل، ويدل عليه استعماله بنفي لا بعين.

(**في وصايا لقمان رضي الله عنه**) الوصايا جمع وصية وهو تمليك مضاف إلى بعد الموت، والمراد بالوصية هنا الموعظة والنصيحة لا الوصية المعرفة آنفا، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ [لقمان: ١٣] الآية.

وإنما عبر الشيخ رحمه الله تعالى عن الموعظة بالوصية لإنها كانت في مرض لقمان رضي الله عنه.

(**الحكيم**) أي: ذوي الحكمة، وهو: لقمان بن باعوراء من أولاد آذر بن أخت أيوب عليه السلام أو خالته، وعاش ألف سنة حتى أدرك داود عليه السلام، وأخذ العلم منه، وكان يفتي قبل مبعثه؛ فلما بعث قطع الفتوى، فقيل: له، فقال: إلا إلى عفو المنان.

(**والديك**) ليس له حساب يوم الجزاء لأنه نوع من الحيوانات وهي تكون بعد الحساب ترابا كما قيل: يحشر الله تعالى الحيوانات فيقتص للجماد من القرناء ثم يرده ترابا

---

(١) اختلف في قائل هذا البيت، فقيل: لمجنون ليلى ويوجد في ديوانه (١٠٣/١)، وقيل: لنصيب الأكبر مولى بني مرَوانَ كما في ديوان الحماسة (٩٧/٢).

هذا ولا تنس الفقير من صالح دعائك وكن عاملا بقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

ولما بين الشيخ رحمه الله تعالى قول لقمان الحكيم أيده قول الشاعر فقال: (**أحسن من قال**) أي: والله قد أحسن من قال، فللام في لقد لتوطئة القسم.

(**شعر لقد هتهف**) أي: والله قد صوتت وصاحت يقال هتفت الحمامة صوتت وهتف به هتافة بفتح الهاء، أي: صاح به صياحة يقال له بالفارسية آذكرد.

(**في جنح ليل**) بضم الجيم وكسرها، أي: بعض ليل، يقال له: جنح الليل بالضم والكسر طائفة منه، ويقال: الجنح بالكسر ظلمة الليل، وبالضم طائفة منه.

(**حمامة**) وهي معروفة حال كونه تلك الحمامة قائمة ومستقرة.

(**على فنن**) بفتحتين، أي: على غصن يقال بالتركي بودق، وهنا بسكون الهاء وفتحها لكن لا يجوز الفتح ههنا لضرورة الشعر كما ستقف عليه بعد هذا.

(**وهنا**) ضعيفا وحزينا، والوهن بالفتح والسكون: الضعف، يقال: وهن يهن وهنا ووهن يوهن، أي: ضعف ضعفا ضعيفا.

(**وإني لنائم**) أي: والحال إني نائم في الفراش، فاللام ابتدائية دخلت للتأكيد.

(**كذبت**) أي: كنت كاذبا.

(**وبيت الله**) قسم ببيت الله، لعل هذا القسم لا يحمل على العرف والعادة من غير قصد اليمين والتعظيم؛ لأن الشعراء كثيرا ما يأتون بأمثاله في أثناء أشعارهم من غير قصد اليمين والتعظيم، ويمكن أن يكون لفظ البيت هنا مقحما للتعظيم ولضرورة الشعر فيكون القسم بالله، ومن غفل عما ذكرنا فقد قال ما قال.

(**لو كنت عاشقا لربي لما سبقتني**) أي: لما تتجاوزني السبق بالفارسية ييش رسيدن.

(**بالبكاء الحمائم**) جمع حمامة.

(**وأزعم**) أي: أتفكر في.

(**هائم**) أي: متحير بالعشق، الهائم والهيام كالجنون من العشق.

(**ذو صبابة**) بالفتح وهو رقة الشوق وحرارته.

(لربي ولا أبكي) والحال أني لا أبكي.

(وتبكي البهائم) جمع بهيمة، وهي ذوات القوائم الأربع من الحيوانات.

واعلم أن هذا الشعر من البحر الطويل، أصله فعولن مفاعلين مرتين وله عروض واحدة مقبوضة وثلاثة أضرب كما بين كل منهما في موضعه، وهذا الشعر من قبيل أن عروضه وضربه مقبوضان وصدره ابتدائه أيضا مقبوضان. والقبض: حذف الخامس الساكن كما مر تقطيعه لقد فعول تفت في جن مفاعلين حليلن فعولن حمامتن مفاعلن عليف فعول وهنن مفاعلين وإني فعولن لنائمن مفاعلن كذبت فعول مفاعلين هلوكن فعولن تعاشقن مفاعلن بل مفاعلين فعولن حمائمة مفاعلن واذع فعول مانني ها مفاعلين نمن ذو فعولن صبابتن مفاعلن لربب فعولن ولا أبكي مفاعلين وتبكل فعولن بهائمو مفاعلن.

وحاصل معنى الشعر: أقسم بالله قد صوتت وصاحت في وقت السحر يعني شعرت بفراغ البال، وأثنيت بلسان الحال لله الكبير المتعال في بعض ليل وظلمته حمامة حال كونها قائمة ومستقرة على غصن صوتا ضعيفا وحزينا والحال أن نفسي في الفراش نائمة وطير روحي يجني هبوب الرؤيا والأحلام، وأقسم ببيت الله الحرام وأني كنت كاذبا في دعواي من العشق لله ومحبته لأني لو كنت عاشقا لربي لما تجاوزتني بالتضرع والثناء والشكر الحمامة من البهائم، وأتفكر أني متحيرا بالعشق صاحب رقة الشوق والحرارة لربي والحال أني لا أتضرع ولا أبكي وتبكي البهائم، وإذا كان حالي هكذا فكيف أدعي محبة الرحمن وكيف أصل إلى رحمة المنان.

والحاصل أن في السحر سرا عجيبا لا يصل إليه إلا أهله، هذا ولا تنس الفقير من دعائك الخير، وقل في الدعاء له: اللهم أحسن حسن الخاتمة إلى عبدك عبد الرحمن الغريق في بحار العصيان وأدخله الجنة بلا حساب ولا سؤال ولا عذاب بفضلك يا رءوف يا رحيم يا رحمن.

النصيحة الرابعة عشر

في خلاصة العلم

• أيها الولد..!!

خلاصة العلم: أن تعلم أن الطاعة والعبادة ما هي؟

اعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل، يعني: كل ما تقول وتفعل وتترك قوله وفعله يكون باقتداء الشرع، كما لو صمت في يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصيًا، أو صليت في ثوب مغصوب – وإن كانت صورة عبادة – تأثم.

(**أيها الولد: خلاصه العلم**) أي: خالص العلم، يقال: خلاصة الشيء ما خلص من ثقله.

(**أن تعلم**) أي: علمك.

(**أن الطاعة والعبادة**) وهو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه كذا قيل.

(**ما هي**) أي: ما ما هية الطاعة والعبادة ما هي، كأن الولد قال ماهيتها فأجاب بقوله: (**اعلم أيها الولد أن الطاعة والعبادة متابعة الشرع**) أي: متابعتك الشارع، وهو الله تعالى أو الرسول عليه السلام، فالمصدر بمعنى الفاعل.

(**في الأوامر والنواهي بالقول**) أو بقولك والجاران متعلقان، بقوله متابعة يعني أن كل ما أمر الشرع به من الأقوال كقراءة القرآن وذكر الله تعالى ونحوهما فقله، وإن كل ما نهى عنه منها فالكذب والغيبة ونحوهما فلا تتكلم.

(**والفعل**) أي: بفعلك يعني أن كل ما أمر الشرع به من الأفعال والأعمال كالصلاة والزكاة وغيرهما فافعله، وأن كل ما نهى عنه منها كالزنا واللواطة وغيرها فلا تفعله.

(**يعني**): وهو كلمة يأتي بها المتكلم لبيان مراده وإعلامه مرامه.

(**كل ما**) أي: الذي.

obeikandi.com

(تقول) أنت.

(وتفعل وتترك قوله) أي: قول ذلك الشيء.

(وفعله) أي: فعل ذلك الشيء فقوله قول منصوب لفظا على أنه مفعول به لقول تترك، وقوله وفعله عطف عليه.

(يكون) أي: ذلك الشيء الذي تقوله وتفعله وتترك قوله وفعله.

(باقتداء الشرع) أي: بمتابعة الشرع، والحال أن كل ما كان مطابقا من الأقوال والأفعال فقله أو افعله، وإلا فلا، وإن كان عبادة بحسب الصورة لأنك تعصي وتأثم.

(كما لو صمت) ببناء الخطاب المعلوم الماضي.

(يومي العيد وأيام التشريق) وهي الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر والتشريق جعل اللحم قديدا وإنما سميت هذه الأيام بأيام التشريق لوقوع تقديد اللحوم فيها.

(تكون) أنت.

(عاصيا) وإن كان الصوم عبادة، لأن العلماء اتفقوا على حرمة صوم هذه الأيام الخمسة؛ لأن الناس أضياف الله تعالى في هذه الأيام، فأراد الله تعالى أن يأكل الفقراء من طعام الأضاحي، ومن صدقة الفطر حتى يكون لهم رفاهية وطيب عيش في هذه الأيام، وأراد أيضا أن يوافقهم الأغنياء في ترك الصوم فحرم الصوم فيهما على الفقراء والأغنياء جميعا كذا في شرح الحديث.

أو كما **(لو صليت)** بالبناء للفاعل.

(في ثوب مغصوب) بالغين المعجمة والصاد المهملة من الغصب، وهو في اللغة أخذ الشيء ظلما مالا كان أو غيره يقال: غصبته، أي: أخذته ظلما فهو غاصب، أي: آخذ بالظلم، وفي الشرع أخذ مال متقوم محترم بلا إذن مالكه بلا خفية.

(وإن كانت صورته عبادة) أي: لو كانت صورة الصلاة عبادة.

(تأثم) أي: تكون آثما لأن الغصب حرام لما روي عن سعيد بن زيد أنه قال عليه السلام: « **مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ** »[1].

---

(١) أخرجه الحاكم: (٣٢٩/٤، رقم ٧٨٠٧) وقال: صحيح الإسناد.

ولما روي عن النبي عليه السلام: « **حُرْمَةُ مالِ الُمسْلِمِ كحُرْمَةِ دَمِهِ** »[١] تم الحديث.

فمن صلى بثوب مغصوب فقد يكون آثما، وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة من الغضب فيكون معنى قوله: (**في ثوب مغضوب**) هكذا أو لو صليت في ثوب مغضوب عند رسول الله عليه السلام كالثوب المصبوغ بالعصفر تكون آثما لأنه حرام أيضا لما قال عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: رأى رسول الله عليه السلام عليَّ ثوبين معصفرين، فقال: « **إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا** »[٢] وفي رواية: «**قلت: أغسلها؟ قال: لا بل أحرقها**» كذا في مشكاة المصابيح.

فمن صلى به فقد يكون قولك وفعلك موافقا للشرع إذ العلم وكذا العمل بلا (**اقتداء الشرع**) أي: بلا متابعة الشرع.

---

(١) أخرجه القضاعى: (١/١٣٧، رقم ١٧٧)، وأبو نعيم فى الحلية: (٧/٣٣٤) وقال: غريب. والديلمى: (٢/١٤٣، رقم ٢٧٢٧).

(٢) أخرجه مسلم: (٣/١٦٤٧، رقم ٢٠٧٧)، والنسائى: (٨/٢٠٣، رقم ٥٣١٦)، أحمد: (٢/٢٠٧، رقم ٦٩٣١). وأخرجه أيضًا: الطيالسى: (ص ٣٠١، رقم ٢٢٧٨)، وأبو عوانة: (٥/٢٣٦، رقم ٨٥٣٢)، والحاكم: (٤/٢١١، رقم ٧٣٩٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى: (٣/٢٤٥، رقم ٥٧٦٥).

النصيحة الخامسة عشر

موافقة الشرع

• أيها الولد..!!

ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع؛ إذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة، وينبغي لك ألا تغترّ بشطح الصوفية وطاماتهم[١]؛ لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة، لا بالطامات والترهات[٢].

واعلم أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة، حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة لن تحيي قلبك بأنوار المعرفة.

واعلم أن بعض مسائلك التي سألتني عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول، إن تبلغ تلك الحالة تعرف ما هي؟! وإلا فعلمها من المستحيلات؛ لأنها ذوقية، وكل ما يكون ذوقيا لا يستقيم وصفه بالقول، كحلاوة الحلو ومرارة المر، لا تعرف إلا بالذوق، كما حكي أن عنّينًا[٣] كتب إلى صاحب له: أن عرّفني لذة المجامعة كيف تكون؟

فكتب له في جوابه: يا فلان؛ إني كنت حسبتك عنّينًا فقط، والآن عرفت أنك عنّين وأحمق؛ لأن هذه اللذة ذوقية، إن تصل إليها تعرف، وإلا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة.

(**ضلالة**) وهي سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، وقيل: هي فقدان ما يوصل إلى المطلوب.

(**وينبغي**) لك أيضا.

(**أن لا تغتر**) أنت من الاغترار بمعنى الغرور، أي: لا تصير مغرورا.

---

(١) أي: رياضة النفس ومجاهدتها.

(٢) أي: الأباطيل.

(٣) عنّينا: لا يستطيع إتيان النساء.

(**بشطح**) بالمعجمة المفتوحة وبعدها مهملتان أوليهما ساكنة وهو عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى كقول المنصور للحلاج البيضاوي: أنا الحق كذا في نفحات الأنس.

(**وطامات الصوفية**) أي: كلمات الصوفية واصطلاحاتها التي يقولها صوفي ليقول الناس: إن لهذا الصوفي طامات -جمع طامة- وهي القيمة الداهية العظمى والمراد بها هنا اصطلاحات الصوفية.

واعلم أيها الأخ: أنه ينبغي لك أن لا تغتر بالدعاوى الباطلة لجهلة المتصوفين في زماننا وأن لا تصغي إليهم مثل ادعائهم إذا أنكر عليهم بعض أمورهم المخالفة للشرع أن حرمة ذلك الشيء في العلم الظاهر وإنا أصحاب الباطن وأنه حلال فيه لأن الطريقة لا تكون إلا بمتابعة الشريعة في الأوامر والنواهي، ولهذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى: لو رأيت شخصا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك مما يشبه الكرامات وهو يترك فرضا من فرائض الله أو سنة من سنن رسول الله عليه السلام أو يفعل فعلا حراما فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامات بل هو سحر.

وقال قدس سره أيضا: الشريعة كالسفينة والطريقة والحقيقة كالدار فمن أراد الدار ركب السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدار فمن ترك هذا الترتيب لم يصل إلى الدار انتهى.

ومثل هذا الادعاء إلحاد وضلال نعوذ بالله من شرورهم ومن كيدهم.

(**لأن سلوك هذا الطريق**) أي: طريق التصوف.

(**يكون**) أي: السلوك.

(**بالمجاهدة**) وهي في اللغة المحاربة مطلقا وفي الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ماشق عليها مما هو مطلوب في الشرع.

قال جعفر الصادق: المجاهدة بذل النفس في رضي الحق.

وقال أبو عثمان: هي فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن المناهي والشبهات.

(**وقطع شهوة النفس**) وهي، أي: الشهوة حركة النفس لطلب ما تشتهيه وميلها.

(وقتل هواها) أي: هوى النفس قد مر تعريفها النفس والهوى.

(بسيف الرياضة) أي: بالرياضة التي كالتي كالسيف في القتل، فالإضافة من قبيل لجين الماء، وهي عبارة تهذيب الأخلاق النفسانية فتهذيبها وتمحيصها عن خلطات الطمع ونزعاته بقلة الأكل والشرب والنوم والكلام وبالعزلة.

وقال أهل المعرفة: الرياضة استبدال الحال المذمومة بالحال المحمودة، وقيل: هي قيد القلب والقالب بصفد الاستقامة.

لا يكون سلوك هذا الطريق **(بالطامات)** التي مرت قبيل هذا.

(والترهات) جمع ترهة بضم التاء الفوقانية وتشديد الراء المفتوحة المهملة وهي الباطل، وتجمع على تراريه أيضا والفعل منه ترة الرجل إذا وقع في الباطل.

والحاصل أن سلوك طريق التصوف موقوف على المحاربة بالنفس الأمارة بالسوء والمائلة إلى الشهوات المستعملة للقوى والآلآت في تحصليها؛ بأن يحمل عليها ماشق عليها من العبادات أو على قطع شهوة النفس بأن يحركها إلى ما هو خلاف مطلوبها من الطاعات على قتل هواها بالرياضة التي كالسيف لا على الكلمات الباطلة والاصطلاحات الفاسدة لجهلة الصوفيين في زماننا الذين إذا سئلوا عن حقيقة التصوف يكونون مبهوتين بل إذا سئلوا عن أوامر الوضوء والصلاة يكونون ومع هذا يدعون ولاية وكرامة فمثل هذه المتصوفة ضال ومضل نعوذ بالله من شرورهم اللهم اجعلنا من السالكين الصادقين ولا تجعلنا من السالكين الكاذبين.

(اعلم أيها الولد أن اللسان المطلق) أي: المرسل.

(من قيد الصمت) يعني يتكلم ما شاء من الخير والشر يقال فلان مطلق اللسان إذا تكلم بأي شيء ما شاء ويقال: هذا الفرس مطلق العنان إذا لم يؤخذ عنانه.

(وأن القلب المطبق) المغطي بالغل والغش وغيرهما من الأخلاق الذميمة، يقال: أطبق الشيء غطاه وجعله مطبقا كذا في الصحاح[1]، والقلب لطيفة ربانية

(١) انظر: الصحاح للجوهري: ١٥١٢/٤.

لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان.

(**المملوء**) أي: القلب المملوء.

(**بالغفلة**) هي متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل: هي إبطال الوقت المطبق.

(**شقيا**) وهو من وجبت له النار بموجب الوعيد.

قال شقيق البلخي: الشقاوة خمسة: قسوة القلب واللسان المطلق وجو العين والرغبة في الدنيا وقلة الحياء انتهى.

واعلم أيها الأخ أيدك الله تعالى بتوفيقه وإيانا: أن حفظ اللسان من أهم المهمات وأعظم القربات إذ هو ترجمان القلب الذي هو منظر الرب فلا ينبغي للترجمان أن يتكلم إلا بقدر الحاجة في وقت الاحتياج، وألا يستحق المعاتبة والمعاقبة إذ الإنسان لم يخلق سدى ولا عبثا، والخالق سميع بصير عليم خبير، قال: عليه السلام: « **الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ** »(١) وإذا علم أن جميع ما يتكلم به خيرا أو غيره مكتوب في ديوان الملك لزمه الإمساك عن فضول الكلام.

ثم اعلم أن إصلاح القلب أهم من كل شيء إذ هو ملك مطاع نافذ الحكم والأعضاء رعية وخدم له فلذا قال: عليه السلام: « **أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ** »(٢) تم الحديث.

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان: (٢٤٤/٤، رقم ٤٩٤٩). وأخرجه أيضًا: الخطيب: (٣٨٩/٧)، والديلمى: (٣٥/٢، رقم ٢٢٢١). قال المناوى (٢٢٣/٣: فيه هشام بن عمار قال أبو حاتم: صدوق وقد تغير فكان كلما لقن يتلقن، وقال أبو داود: حدث بأرجح من أربعمائة حديث لا أصل لها وفيه محمد بن عيسى بن سميع الدمشقى.

قال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال الزركشى: لكن يقويه ما رواه الفقيه ابن لال فى المكارم من حديث ابن عباس بلفظ ما من طامة إلا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق.

(٢) أخرجه البخارى: (٢٨/١، رقم ٥٢)، ومسلم: (١٢١٩/٣، رقم ١٥٩٩)، وأبو داود: (٢٤٣/٣، رقم ٣٣٢٩، ورقم ٣٣٣٠)، والترمذى: (٥١١/٣، رقم ١٢٠٥)، وقال: حسن صحيح.

وإصلاحه تخليته عن الأوصاف الذميمة وتحليته بالأوصاف الحميدة ولكل من اللسان والقلب آفات كثيرة فاطلبها من الأحياء والطريقة حتى لا تقتل أنت النفس، أي: نفسك قوله بصدق المجاهدة من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: المجاهدة الصادقة بالشيطان والنفس وإنما قيد الشيخ رحمه الله تعالى بالمجاهدة بالصدق لأنه ربما يكون المجاهدة بالكذب كالرياء والسمعة ولهذا قيدها به لن تحيى قلبك بأنوار المعرفة، أي: لا تجعل قلبك حيا البتة بأنوار معرفة الله تعالى وأذكاره حتى تقتل نفسك بالمجاهدة الصادقة.

obeikandl.com

=

والنسائي: (٧/٢٤١، رقم ٤٤٥٣)، وابن ماجه: (٢/١٣١٨، رقم ٣٩٨٤)، وأحمد: (٤/٢٧٠، رقم ١٨٣٩٨)، وأخرجه أيضًا: الدارمي: (٢/٣١٩، رقم ٢٥٣١)، والبيهقي: (٥/٢٦٤، رقم ١٠١٨٠).

النصيحة السادسة عشر

بعض مسائلك من هذا القبيل

• أيها الولد..!!

بعض مسائلك من هذا القبيل، وأما البعض الذي يستقيم له الجواب فقد ذكرناه في «إحياء العلوم» وغيره، ونذكر ههنا نبذًا منه ونشير إليه فنقول:

قد وجب على السالك أربعة أمور:

أول الأمر: اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة.

والثاني: توبة نصوح لا يرجع بعده إلى الزلة.

والثالث: استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق.

والرابع: تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى. ثم من العلوم الأخرى ما يكون به النجاة.

حُكي أن الشبلي –رحمه الله– خدم أربعمائة أستاذ، وقال: قرأت أربعة آلاف حديث، ثم اخترت منها حديثا واحدًا، وعملت به، وخليت ما سواه؛ لأني تأملته فوجدت خلاصي ونجاتي فيه، وكان علم الأولين، والآخرين كله مندرجًا فيه فاكتفيت به، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: « اعْمَلْ لِدُنْيَاك بِقَدْرِ مَقَامِك فِيهَا، وَاعْمَلْ لآخِرَتِك بِقَدْرِ بَقَائِك فِيهَا، وَاعْمَلْ لِلَّهِ بِقَدْرِ حَاجَتِك إلَيْهِ، وَاعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِك عَلَيْهَا »[1].

(**واعلم أيها الولد أن بعض مسائلك**) التي سألتني.

---

(١) القصة في البريقة المحمودية ٢٨٣/٤.

وأخرجه البيهقي (١٩/٣، رقم ٤٥٢١) بلفظ:" اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا".

والديلمى كما فى المداوى للغمارى (٢٣/٢، رقم ٥٩٣). قال المناوى (١٢/٢): فيه مجهول وضعيف.

(لا يستقيم جوابه، أي: جواب ذلك البعض.

(بالكتابة والقول) يعني أن مسائلك التي سألتني عنها فأجبت بعضها بالكتابة والقول؛ لأنه كان قابلا للجواب بهما وأما بعضها فمما لا يمكن له الجواب بهما لأنه حالة من حالات العارفين بالله تعالى والواصلين إلى الله تعالى.

(بل أن) حرف شرط.

(تبلغ) بالجزم على أنه فعل الشرط.

(تلك الحالة تعرف) بالجزم على أنه جزاء الشرط.

(ما هي) أي: أي شيء تلك الحالة.

(وإلا) أي: وإن لم تبلغ تلك الحالة.

(فعلمها) أي: معرفتها بالكتابة والقول كائن.

(من المستحيلات) أي: من المحالات يقال استحال الكلام، أي: صار محالا.

(لأنها) أي: تلك الحال.

(ذوقيه) أي: منسوبة إلى الذوق، قد مر تعريفه.

(وكل ما كان) أي: الذي يكون ذوقيا.

(لا يستقيم وصفه) أي: بيان ذلك الشيء يقال: وصف الشيء من باب وعد، أي: بينه وأظهر علائمه.

(بالقول والكتابة) بل يكون في بيان بالذوق فبعض مسائلك من هذا القبيل ولما قال الشيخ رحمه الله تعالى وكل ما يكون ذوقيا أمرا معنويا أراد أن يمثله بمثله بأمرين محسوسين ذوقيين للإيضاح، فقال: **(كحلاوة الحلو)** أي: مثال الذوقي مثل حلاوة الحلو.

صورته أن رجلا كان لم ير العسل و لم يأكله في مدة عمره قط فجاءه رجل قد رآه وأكله وقال له: إن العسل ألذ الأشياء وأحليها ووصف كل وصفه هل يعرف الرجل لذة وحلاوته إلا بالذوق ومثاله أيضا.

(مرارة المر) بفتح الميم المر بضم الميم وصورته معلومة من الأولى لا يعرف كل واحد من الحلاوة والمرارة إلا بالذوق.

obeikandl.com

واعلم أن الشيخ الإمام أراد أن يذكر هنا حكاية يفهم عنها كون تلك الحالة ذوقية بعد تمثيلها بالأمرين المحسوسين الذوقيين لزيادة الإيضاح فقال: (**كما حكى أن عِنِّينَا**) بكسر العين المهملة وتشديد النون المكسورة، وهو من لا يقدر على الجماع لمرض وكبر سن أو يصل الثيب دون البكر يقال بالتركي يلوح.

(**كتب**) أي: العنين.

(**إلى صاحب**) أي: للعنين مكتوبا.

(**وقال فيه عرفني**) أمر حاضر من التعريف.

(**لذة المجامعة**) أي: لذة الجماع.

(**كيف تكون**) أي: لذة الجماع.

وإذا وصل مكتوب العنين إلى صاحب له قراءة (**فكتب**) أي: الصاحب.

(**في جوابه**) أي: في جواب سؤال العنين كتابا وقال فيه: (**يا فلان إني كنت حسبتك**) أي: ظننتك.

(**عنينا فقط**) بفتح القاف المثناة وسكون الطاء المهملة بمعنى حسب.

(**والآن في هذا الوقت عرفت**) ببناء المتكلم وحده.

(**أنك عنين وأحمق**) يعني عرفت الآن أنك موصوف بهذين الوصفين؛ لأن هذه اللذة ذوقية.

(**إن**) حرف شرط.

(**تصل**) بالجزم على أنه فعل الشرط.

(**إليها**) أي: إلى هذه اللذة.

(**تعرف**) بالجزم على أنه جزاء الشرط، يعني: إن تصل إلى لذة الجماع تعرف.

(**وإلا**) أي: وإن لم تصل إليها.

(**لا يستقيم وصفها**) أي: بيانها (**بالقول والكتابة**).

(**وأما فالبعض لا يستقيم الذي يستقيم له**) أي: لذلك البعض.

obeikandl.com

(**الجواب بهما فقد ذكرناه**) أي: ذلك البعض.

(**في كتابنا إحياء العلوم وغيره**) من مؤلفاتنا كبداية الهداية ودرة الفاخرة ومنهاج العابدين وغيرهما.

(**ولكن تذكر هنا**) أي: هذه الرسالة.

(**نبذا**) أي: شيئا قليلا يقال له نبذا، أي: شيء قليل منه البعض.

ونشير من الإشارة إليه، أي: ذلك البعض.

ولما بين الشيخ رحمه الله تعالى قبيل هذا أن السلوك إل طريق التصوف لا يكون إلا بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها لا بالطامات والترهات وبين أن بعض مسائل الولد حالة من حالات العارفين بالله تعالى وذوقية لا تعرف إلا بالذوق ولا تدرك إلا بالوصول ساق هذا البيان الشيخ الإمام إلى أن يذكر بعض أحوال السالك وشرط الشيخ له بعض علاماته للولد العزيز.

ثم لما كان للسالك شروط لابد من تقديهما في بداية إرادة السلوك وهي أربعة أشياء أشار الشيخ رحمه الله تعالى إليها أولا بقوله: (**فنقول أول الأمر**) من الأمور الأربعة التي هي شرط للسالك في بداية إرادة السلوك وواجبة على كل مسلم أيضا.

(**اعتقاد صحيح**) وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة، يعني: أن يكون اعتقاد السالك صحيحا لأنه ما لم يكشف حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب والأقاويل الباطلة فيها وأن يصدق معنى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان لم ينكشف له حقيقة السلوك لأن أغلب عليه التعصب، والأقاويل الباطلة لعقدته و لم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا وحجابا للسالك فلا ينكشف له حقيقة الأمر.

واعلم أيها الأخ العزيز إذا أمنا الله على اعتقاد أهل السنة والجماعة وحفظنا من الاعتقادات الباطلة: أن الرجل إنما يكون في اعتقاد أهل السنة والجماعة إذا وجد في نفسه عشرة أشياء كما قال: في كتاب المضمرات في شرح القدري نقلا من كتاب مفاتيح المسائل ومصابيح الدلائل لحجة الدين البلخي أن رسول الله عليه السلام سئل متى يعلم

الرجل أنه من أهل السنة والجماعة قال: عليه السلام: « **إذا وجد في نفسه عشرة أشياء فهو على مذهب أهل السنة والجماعة:**

أحدها: أن يصلي الصلوات الخمس بالجماعة.

والثاني: أن لا يذكر منهم أحدا بمنقصة.

والثالث: أن لا يخرج على السلطان بالسيف.

والرابع: أن لا يشك في إيمانه.

والخامس: أن يؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

والسادس: أن لا يجادل أحدا في دين الله.

والسابع: أن لا يكفر أحدا بذنب من الذنوب.

والثامن: لا يدع الصلاة على منويات أهل القبلة.

والتاسع: أن يرى المسح على الخفين جائزا في السفر والحضر.

والعاشر: أن يصلي خلف كل بر وفاجر». انتهى.

(**لا يكون فيه**) أي: الاعتقاد.

(**بدعة**) وهي في اللغة: ما عمل على غير مثال له سابق، وفي الشرع: ما استحدث بعد النبي عليه السلام وأصحابه هذا بيان للاعتقاد الصحيح.

(**والثاني**) تلك الأمور الأربعة.

(**توبة نصوح**) أي: صادقة لأن السالك ما لم يكن تائبا بتوبة نصوح و لم يهجر المعاصي وأراد أن يقف على أسرار الطريق بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره، وهو لم يتعلم لغة العرب بعد.

وحكي أن نصوحا كان رجلا من بني إسرائيل وكان صاحب الذنوب والخطايا فقد ذهب عمره في معصية الله تعالى فلما كان ذات يوم من الأيام شديد الحر هاربا من ذنوبه تائبا إلى الله تعالى فذهب حتى أصابه الحر الشديد فطلب الماء فلم يجد فغرز عصاه ليستظل بها من حر الشمس فانبع الله تعالى عينا من الموضع الذي غرز فيه عصاه وخرج منه ماء

obeikandi.com

لذيذ فشرب وتوضأ واتخذ على الماء محرابا وقبلة فصلى ماشاء الله، ثم قال: يارب أرزقني رزقا حلالا طيبا في هذا الموضع فأنا عبدك المذنب الخاطئ الضعيف المحتاج إلى عفوك وغفرانك فارحم عبدك نصوحا فقد غرق في بحار الذنوب والخطايا فارزقني رزقا حسنا وأنت خير الرازقين، فعند ذلك نودي من السماء يا نصوح التفت عن يمنيك فالتفت نصوح عن يمنيه، فإذا هي تدور فأخذ نصوح تلك العنزة فوضعت العنزة في تلك السنة ثمانية سخل ستة منها واثنين ذكورا فحلب نصوح تلك العنزة وشرب من لبنها وكثرت منها السخل واتخذ نصوح بيتين بيتا للعبادة وبيتا للضيافة فلا يمر به أحد إلا أنزله ثلاثة أيام ولا يسأله أحد عن شيء إلا أعطاه فعبد الله تعالى على ذلك الماء حتى تم له أربعة وعشرون سنة وصار له إبل وبقر وغنم ودواب ومواش كثيرة فلما كان بعد أربع وعشرين سنة بعث الله تعالى إليه ملكا من الملائكة على صورة شيخ كبير فأنزله نصوح في بيت الضيافة وقدم إليه الطعام فلم يره في أكل الطعام لأن الملائكة لا يشربون ولا يأكلون فيشبعهم الله تعالى بثواب تسبيحهم وتحميدهم وتكبيرهم وتقديسهم رب العالمين فلما كان اليوم الرابع قال نصوح: يا شيخ أين تريد؟ وأي شيء تطلب، فقال الملك لي عنزة وقد غابت عني منذ أربعة وعشرين سنة فأنا في طلبها فقال له نصوح: يا شيخ إن أنت رأيت عزتك تعرفها؟ فقال الملك نعم؟ فأتى نصوح بالعنزة التي كان قد وجدها أول شيء من الأشياء فأوقعها بين يدي الملك فقال له: أهذه عنزتك فقال الملك ردها إلي فإني أحق بها منك فقال نصوح نعم فردها كلها إليه وكان على نصوح مدرعة من صوف وكساء من صوف فقال له الملك: فمن أين لك هذه المدرعة والكساء فقال له نصوح إنما اتخذتها من عنزتك فقال له الملك فردهما إلي فأنا أحق بهما منك فقال له نصوح أمهلني يوما واحدا ثم خذهما مني فأمهله الملك يوما واحدا فدخل نصوح إلى البيت فأخذ مبرزا من خوص ورداء منه فارتدى برداء واتزر بالمئزر وأتي بالملك بالمدرعة والكساء فوضعهما بين يديه فقال له الملك: يا نصوح هل رددت هذه الأشياء على طيبة نفسك أم لا فقال له: نعم من طيبة نفسي رددت إليك والله عليم ما في قلبي وما اغتممت من أجل هذه الأشياء قط فلما علم تعالى صحة نية نصوح أوحى الله تعالى إلى ذلك الملك أن يرد كلها إلى نصوح فرد الملك إليه

كلها ثم نشر الملك أجنحته فكان له أربعة وعشرون جناحا ما بين الجناح إلى الجناح كما بين المشرق والمغرب ثم قال: الملك إني رسول الله أرسلني إليك بإن أبشرك بقبول توبتك وأعطاك الله تعالى هذا المال كله وأعطاك مائة حاجة أخرى في الآخرة وعجل الله تعالى تعالى ثلاثة منها في دار الدنيا فاطلب منها ما تريد يا نصوح: أيها الملك المرسل من ربي أعلم بأن حاجتي إلى تعالى في دار الدنيا أن لا يسألني جائع إلا وأطعمه وأن لا يسألني عار إلا كسوته والثالث فإني أسأله تعالى أن إلا ينزل كتابا من السماء إلا ويذكر فيه اسمي فأنزل التوراة على موسى بن عمران فذكر فيها اسم نصوح وأنزل الزبور على داود بن أوشنا فذكر فيه اسم نصوح وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فذكر فيه اسم نصوح وأنزل الفرقان على نبينا محمد عليه السلام بن عبد الله فذكر فيه اسم نصوح وذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، أي: يأيها الذين توبوا كما قد تاب نصوح فإنه لما تاب فلم يعد إلى معصية بعد ذلك أبدا وقد خرج من الدنيا بتوبة مقبولة اللهم أحسن إلينا توبة نصوحا وأخرجنا من الدنيا بها. قال بعض الفضلاء: هذه الحكاية لا أصل لها ولكن نقلتها كما وجدتها في بعض الكتب والله أعلم بالصواب.

(**لا ترجع أنت بعده**) أي: بعد التوبة وتذكير الضمير باعتبار أن تأنيث المصادر غير معتبر لكونه غير مرتب على التذكير.

(**إلى الزلة**) بفتح الزاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة إلى الخطأ، وفيه رمز إلى تعريف توبة نصوح وهي توثيق الأمر على أن لا يعود بمثل الذنب، وقيل هي أن لا يعود بالذنب ولو جرحا بالسيف أو حرق بالنار.

وقال ذو النون المصري: هي إدعائه البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران إخوان السوء وملازمة أهل الخير.

(**والثالث**) من تلك الأمور الأربعة.

(**استرضاء الخصوم**) أي: طلبك رضاء الخصوم ورد المظالم والخروج منها.

(**حتى لا يبقى**) من باب علم، أي: كي لا يبقى لأحد من عباد الله تعالى.

(**عليك حق**) لأن حق العبد مقدم على حق المولى يوم الذي لا يكون فيه درهم ولا دينار ومانع أيضا عن السلوك لأنه معصية وهي حجاب لانكشاف أسرار الطريق.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الواجب عليك أن ترد المظالم في الدنيا حبة بعد حبة، وتستحل من كل من تتعرض له بلسانك ويديك وإن مت قبل رد المظالم أحاطت بك خصمائك، فهذا يأخذ بيدك وهذا يقبض على ناصيتك وهذا يتعلق بتلبيبك وهذا يقول: ظلمتني وهذا يقول: شتمتني وهذا يقول: استهزأت بي وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري وهذا يقول: عاملتني فغششتني وهذا يقول: بايعتني فغبتني وأخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول: كذبت في سعر متاعك وهذا يقول: رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول: وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عني فقد أعنت الظالم وما أعنتني فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلبيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذا قرع سمعك ناء الجبار اليوم نجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك تنخلع من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٢،٤٣] وما أشد اليوم فرحك بتضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد خسرانك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر أن ترد حرفا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي أتعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم.

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال عليه السلام: «**هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال عليه السلام: المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل أموال هذا**

وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار»[1].

فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذا ليس تسلم حسنة من آفات الرياء ومكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي به حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقبض فيه الجماء من القرناء، فقد روى أبو ذر أن رسول الله عليه السلام رأي شاتين ينتطحان فقال: «**يا أبا ذر، فيم ينتطحان؟ قلت: لا أدري، قال: ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة**». فكيف تكون يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خاليا عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئة ما قارفتها قط فيقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء ظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة كذا في الإحياء.

(**والرابع**) من تلك الأمور الأربعة.

(**تحصيل علم الشريعة**) وهو علم الفقه وهو المراد بعلم الحال.

(**قدر ما**) أي: مقدار الذي.

(**تؤدي**) للمفعول.

(**به**) أي: بذلك الشيء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٩٧/٤، رقم ٢٥٨١)، والترمذي (٦١٣/٤، رقم ٢٤١٨)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٣٤/٢، رقم ٨٣٩٥).

(أوامر الله تعالى) لأن هذا المقدار فرض على كل مسلم سواء كان سالكا أو لا لأنه يتوسل إلى إقامة الفرض وكل ما كان كذلك فهو فرض فهذا المقدار فرض مثلا الصلاة على المسلم بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة فيفترض عليه علم ما يقع له في الصلاة من الشرائط والأركان والمفسدات والمتهيأت كذا في الزكاة والصوم والحج وغيرها من فرائض الله.

(ثم) أي: بعد تحصيل علم الشريعة مقدار ما تؤدي به أوامر الله تعالى.

(أن يحصل من علوم الآخرة ما) أي: العلم الذي.

(يكون منه) أي: من ذلك العلم.

(النجاة) أي: الخلاص من أهوال القيامة ومن عقاب رب العالمين.

ولما قال الشيخ رحمه الله تعالى: ثم من علوم الآخرة ما يكون منه النجاة أراد أن يوضحه بالمكاتبين فقال: **(حكي أن الشبلي)** بكسر الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة: وهو العارف الرباني العالم الولي الشيخ أبو بكر الشبلي هذا كنيته، وأما اسمه الشريف فجعفر بن يونس كان رحمه الله تعالى من تلاميذ جنيد البغدادي قال: قدس سره لا تنظرون إلى أبي بكر الشبلي بالعين التي ينظر بعضكم إلى بعض فإنه عين من عيون الله تعالى، ولكل قوم تاج وتاج هذا القوم الشبلي.

روي أنه سئل: أن جسدك الشريف سمين ومن أدعى محبة الله تعالى يكون جسده نحيفا؟! فقال في جوابه هذا البيت:

أحبة قلبي وما درى بدني ولو درى بدني ما قام في السمن

وروي أنه نسي أداء صلاة العصر يوما حتى قرب غروب الشمس فتذكر وقام إلى الصلاة منشأ لهذا البيت.

بالتبسم نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا أردي عشائي من غداتي

روي أنه اكتحل بالملح لأن لا ينام ولامه الناس على قلة نومه فقال سمعت الحق يقول: من نام غفل ومن غفل حجب وله رحمه الله تعالى كرامات عجيبة فاطلبها من كتب التواريخ وكان مدة عمره سبعة وثمانين سنة ومات رحمه الله تعالى يوم الجمعة في ذي

الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودفن بظاهر بغداد في جوار الإمام الأعظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة رحمة الله تعالى.

(**عليه خدم**) أي: الشبلي.

(**أربعمائة أستاذ قال**) أي: الشبلي.

(**فرأيت أربعة الآف حديث تم**) أي: بعد قراءتي تلك الأحاديث.

(**اخترت**) من الاختيار.

(**منها**) أي: من أربعة الآف.

(**حديثا واحدا وعملت به**) أي: بذلك الحديث الواحد.

(**وخليت**) من التخلية، أي: تركت. يقال: خلى الأمر وتخلى منه وعنه وخالاه تركه[1] كذا في القاموس.

(**ما سواه**) أي: غير ذلك الحديث.

(**لأني تأملت**) أي: تفكرت.

(**فوجدت خلاصي ونجاتي من شدة يوم القيامة فيه**) أي: في ذلك الحديث الواحد، وكأن الواو للحال.

(**علم الأولين والآخرين مندرجا**) أي: مجموعا.

(**فيه**) أي: في ذلك الحديث الواحد.

(**وإذا كان كذلك فاكتفيت من الاكتفاء به**) أي: بذلك الحديث الواحد، وعملت به وتركت ما سواه. وذلك الحديث أن رسول الله عليه السلام قال لبعض أصحابه: (**اعمل**) أمر من باب علم.

(**لدنياك**) أي: لأجل دنياك.

(**بقدر مقامك فيها**) أي: بمقدار قيامك في الدنيا يعني أنك تعلم أن الدنيا فانية وقيامك فيها قليل فلا تجتهد بأقصى جهد لأجلها.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١٦٥٢/١.

(**واعمل لآخرتك**) أي: لأجل آخرتك.

(**بقدر بقائك فيها**) أي: بمقدار بقائك فيها، أي: بمقدار دوامك في الآخـــرة، أي: في الجنة.

يعني أنك تعلم أنها باقية وقرارك فيها دائم وسرمدي فتشمر لأجلها.

(**واعمل لله تعالى**) أي: لأجل الله بقدر حاجتك إلى الله تعالى.

يعني أنك تعلم أن العبد يحتاج إليه تعالى أشد الاحتياج في كل ساعة وحـــين بـــل لا ينفك احتياجه عنه إليه تعالى طرفة عين فاعمل لرضاء الله تعالى وامتثل أومره واجتنب عن نواهيه.

(**واعمل للنار**) أي: لأجل النار.

(**بقدر صبرك عليها**) أي: بمقدار صبرك على النار يعني أنك لا تطيق النار ولا تصـــبر عليها فاحترز عن الأعمال التي هي سبب لها.

obeikandl.com

النصيحة السابعة عشر

إذا عملت بهذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير

• أيها الولد..!!

إذا عملت بهذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير.

وتأمل في حكاية أخرى، وهي: أن حاتم الأصمّ كان من أصحاب شقيق البلخي رحمة الله تعالى عليهما، فسأله يوما قال: صاحبتني منذ ثلاثين سنة ما حصّلت فيها؟

قال: حصّلت ثماني فوائد من العلم، وهي تكفيني منه؛ لأني أرجو خلاصي ونجاتي فيها. فقال شفيق: ما هي؟

قال حاتم:

الفائدة الأولى: أني نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبًا ومعشوقًا يحبه ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت، وبعضه يصاحبه إلى شفير القبر، ثم يرجع كله، ويتركه فريدًا وحيدًا، ولا يدخل معه في قبره منهم أحد.

فتفكرت وقلت: أفضل محبوب المرء ما يدخل معه في قبره، ويؤنسه فيه، فما وجدته غير الأعمال الصالحة، فأخذتها محبوبًا لي؛ لتكون لي سراجًا في قبري، وتؤنسني فيه، ولا تتركني فريدًا.

الفائدة الثانية: أني رأيت الخلق يقتدون بأهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات ٤٠ – ٤١]. وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمّرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها، حتى ارتاضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

الفائدة الثالثة: أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا، ثم يمسكه قابضًا يده عليه فتأملت في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦] فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرّقته بين المساكين؛ ليكون ذخرًا لي عند الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الأقوام والعشائر فاعتز بهم.

وزعم آخرون أنه في ثروة الأموال وكثرة الأولاد، فافتخروا بها.

وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم.

واعتقدت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه، وتبذيره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فاخترت التقوى، واعتقدت أن القرآن حق صادق، وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل.

الفائدة الخامسة: أني رأيت الناس يذم بعضهم بعضا، ويغتاب بعضهم بعضا، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢] فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى في الأزل، فما حسدت أحدًا ورضيت بقسمة الله تعالى.

الفائدة السادسة: أني رأيت الناس يُعادي بعضهم بعضا لغرض وسبب، فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] فعلمت أنه لا تجوز عداوة أحد غير الشيطان.

الفائدة السابعة: أني رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش، بحيث يقع به في سبهة وحرام، وبذل نفسه وينقص قدره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] فعلمت أن رزقي على الله تعالى، وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته، وقطعت طمعي عمّن سواه.

الفائدة الثامنة: أني رأيت كل واحد معتمدًا على شيء مخلوق، بعضهم إلى الدينار والدرهم، وبعضهم إلى المال والملك، وبعضهم إلى الحرفة والصناعة، وبعضهم على مخلوق مثله، فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣] فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل(١).

فقال شفيق: وفقك الله تعالى إني قد نظرت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فوجدت الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد الثماني، فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الأربعة.

(**أيها الولد: إذا عملت بهذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير**) لأن الغرض من العلم العمل بموجبه ومقتضاه فإذا عملت بهذا الحديث يكفي لك تنتفع به يوم القيامة لأن علوم الأولين والآخرين مجموعة فيه فلا حاجة لك إلى العلم الكثير وتأمل، أي: تفكر إذا لم

---

(١) اجعل من أورادك: (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإن ذكرت الله بها مع الشروط الواجب توفرها من إخلاص ومداومة واتباع لمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صدقت في ذلك كله شملك حال الذكر فتشهد أنه ما في الوجود من شيء إلا وهو في نظر الله عز وجل.. فتحسّ بالسكون.. هذا السكون هو بداية حال الطمأنينة والركون إلى الله عز وجلّ.. وتجدك لا تتأثر بالمتغيرات واضطرابات الاقتصاد العالمي بعكس ما يشعر به غيرك من قلق وتذبذب وخوف..

من يكثر من: (حسبنا الله ونعم الوكيل) يحصل له الأنس، فإن تمّ له ذلك ازداد طمأنينة وتسليماً وتفويضاً.. عندها يدخل في مقام التوكل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران].. ثم يرتقي في مقام التوكل كلما ازداد ذكر الجوارح وازداد الإخلاص في القلب.. يترقى من توكل إلى تسليم إلى تفويض ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤] إلى فناء في الله عز وجل إلى انطواء في الله عز وجل، وهذا كله في مقام التوكل.. هذه المعاني تفهم ذوقاً بالروح والسائر إلى الله عز وجل تنفتح له المعاني فتحاً ولا يمكن شرحها لمن لم يذقها.. فهي لا تعرف إلا بالذوق.. فلو أنفقتُ دهراً وأنا أشرح لك طعم البقلاوة لن تستطيع معرفة طعمها ما لم تذقها.. أختصر لك مجلدات كثيرة إن قدمت لك قطعة صغيرة منها وقلت لك: ذق.. وهكذا يفعل المربّون الكبار يقدمون لتلاميذهم بادئ الأمر قطعة صغيرة من (طيّب ذواقهم) حتى إذا هام وسكر وانجذب قالوا له: لم يبق لك شيء مجاني.. اعمل واكدح وجاهد لتكسب ذلك الذواق..

ينتقش في لوح ذهنك ما قلته من حكاية الشبلي رحمه الله تعالى حكاية أخرى غير حكاية الشبلي وهي، أي: تلك الحكاية أن حاتم الأصم بفتح الحاء مهملة وكسر التاء وهو ولي من الأولياء الله وشيخ مشايخ خراسان يقال له الأصم و لم يكن أصم حقيقة وإنما تصامم مرة فسمي لذلك الأصم قيل:: جاءت امرأة إلى حاتم فسألته عن مسألة منها صوت ريح تلك الساعة فكأنها خجلت واستحت فقال لها حاتم: ارفعي صوتك يرى نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه صوت الأصم وله مناقب كثيرة فاطلبها من التواريخ.

(وكان) أي: حاتم الأصم.

(من أصحاب أبي علي شقيق بن إبراهيم الزاهد البلخي) أعلى الله درجاته في مقامات المتوكلين وضاعف حسناته يوم الحشر والدين قال: في تذكرة الأولياء لسنان باشا كأن فاضلا في زمانه وكاملا وكاملا في طريقه ومكملا في العلم الظاهر والباطن أخذ الطريقة عن إبراهيم بن أدهم[1] وله مصنفات كثيرة في أصناف العلوم وله دقة عجيبة في التوكل روى أنه وجد مع حاتم الأصم في غزوة وقاما في خلال صفوف المسلمين على نية الغزاء والحال أن السهام تنزل من الجانبين كالمطر والأسياف والأماح تهبط وتصعد فتوجه شقيق رحمه الله في تلك الحالة إلى حاتم الأصم وقال: يا حاتم هل عندك فرق بين هذا

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي نزيل الشام، ولد في حدود المائة. حدث عن أبيه ومحمد بن زياد الجمعي وأبي إسحاق السبيعي ومالك بن دينار وسليمان الأعمش ومقاتل بن حيان وغيرهم. وروى عنه رفيقه سفيان الثوري وشقيق البلخي وضمرة بن ربيعة وخلف بن تميم وعتبة بن السكن وغيرهم. حج أبوه بأمه فولدت له إبراهيم بمكة. كان إبراهيم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم، فترك ذلك وأقبل على إصلاح دينه فكان رجلا فاضلا.

انظر ترجمته في: التاريخ الكبير: ٢٧٣/١، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٤٥٥، الجرح والتعديل: ٢ / ٨٧. مشاهير علماء الأمصار: ١٨٣/١، حلية الأولياء: ٧ / ٣٦٧، الكامل لابن الأثير: ٦ / ٥٦،تهذيب الكمال: ٢٧/٢.

المكان وبين دارك التي تقعد مع أهلك قال: نعم لأن الوهم يجيء إلى المرء في هذا المكان بلا اختيار فقال شقيق رحمه الله لا فرق عندي بينهما ونام قائما وواضعا رأسه علـــى جنتــه انتهى.

قيل كان سبب توبة الشقيق أنه كان من أبناء الأغنياء فخرج للتجارة إلى أرض الترك وهو شاب فدخل بيتا للأصنام فرأى خادما لها قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا أرجوانيـــة فقال شقيق له: إن لك صانعا حيا عالما فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع فقال خادم إن كان كما تقول فهو قادر على أن يرزقك ببلدك فلم تعبت إلى هنا للتجارة فانتبه شقيق وسلك طريق الزهد انتهى.

وله رحمه الله كرامات فاطلبها من كتب التواريخ.

(**فسأله**) أي: شقيق البلخي.

(**عن حاتم الأصم يوما**) أي: في يوم من الأيام.

(**فقال**) أي: شقيق.

(**صاحبي صاحبتني**) أي: كنت مصاحبا إلي.

(**منذ ثلاثين سنة ما حاصلك فيها**) أي: أي شيء حاصلك في تك السنين.

(**قال**) حاتم الأصم لشقيق البلخي في جواب سؤاله.

(**حصلت**) من التحصيل في تلك السنين ببركة صحبتك.

(**ثماني فوائد**) جمع فائدة وهي في اللغة ما استفدت من علم أومال في الاصطلاح مـــا يكون الشيء به أحسن حالا من غيره.

واعلم أن لفظ فوائده يقرأ بالهمزة بعد الألف لأن الياء إذا وقعت بعد ألـــف الجمـــع المكسر تقلب همزة وكذا الواو كأوائل إن أردت أنت تعلم علة هذا القلب فاطلـــب مـــن الكافية على الشافية.

(**من العلم**) وهي تلك الفوائد الثمانية.

(**تكفيني**) أي: يكون كافيا لي.

(**منه**) أي: من العلم.

Obeikandi.com

(لأني أرجو خلاصي ونجاتي) من عقاب الله تعالى وعذابه الأليم.

(فيها) أي: في تلك الفوائد الثمانية.

(فقال الشيخ أبو علي شقيق ما هي) أي: شيء تلك الفوائد الثمانية؟

(قال حاتم الأصم: الفائدة الأولى منها) أي: بفتح الهمزة.

(نظرت إلى الخلق فرأيت لكل واحد منهم) أي: من الخلق، فالضمير راجع إلى الخلق باعتبار المعنى.

(محبوبا أو معشوقا يحبه) أي: يحب كل واحد منهم ذلك المحبوب ويعشقه من العشق بكسر العين من باب علم وهو كيفية محرقة تقع في قلب العاشق وقيل هو إفراط المحب بحيث لا يقدر على المفارقة عن معشوقه باختياره وسيجيء تعريف المحبة إن شاء الله تعالى.

واعلم أن محبوب الخلق ثلاثة المال والمنصب ومن له وجه حسن من النساء والمرد، فالمحبوبان الأولان يصاحبان لمحبتها إلى موتهم هذا إذا لم يصب المال لرأفة و لم يعزل ذو الجاه عنه إلى آخر العمر والمحبوب الثالث إلى شفير قبرهم.

وإلى هذا أشار رحمه الله تعالى بقوله: **(وبعض ذلك المحبوب يصاحبه)** أي: يكون ذلك المحبوب مصاحبا لمحبة.

(إلى مرض الموت) أي: مرض هو الموت وهذا المحبوب هو المال والمنصب.

(وبعضه) أي: بعض ذلك المحبوب.

(يصاحبه إلى شفير القبر) أي: إلى طرف القبر وجانبه وهذا المحبوب هو الذي له وجه حسن من بني آدم.

(ثم) أي: بعد المصاحبة إلى طرف القبر.

(يرجع كله) أي: كل البعض.

(ويترك) ذلك البعض المحبوب الميت.

(فريدا) أي: حال كونه منفردا.

(ووحيدا) وهو أيضا بمعنى المنفرد.

oberkandi.com

(**ولا يدخل معه**) أي: المحب الميت.

(**في قبره منهم**) أي: من ذلك البعض المحبوب.

(**أحد**) بالرفع على أنه فاعل لقوله: لا يدخل.

وإذا كان حال كل واحد من الخلق هكذا (**فتفكرت**) أي: تأملت في تفسي.

(**وقلت: أفضل محبوب المرء**) أليق ما يحبه المرء، وأحرى ما يعشقه في حال حياته.

(**ما**) أي: المحبوب الذي.

(**يدخل**) أي: ذلك المحبوب.

(**معه**) أي: مع المرء.

(**في قبره يؤنسه**) أي: يكون ذلك المحبوب مؤنسا له.

(**فيه**) أي: في قبر المرء حين يدفنه الناس ويتركونه فريدا ويكون سراجا في ظلمته شفيقا في العرصات وسترا من النار.

(**فما وجدته**) ما للنفي، أي: ما وجت ذلك المحبوب الموصوف بهذه الأوصاف الجميلة في هذه المواضع شيئا من الأشياء.

(**إلا الأعمال الصالحة**) لأنها تكون مؤنسة لصاحبها في قبره وتدخل معه فيه.

وإذا كان الأعمال الصالحة هكذا (**فاتخذتها**) أي: الأعمال الصالحة.

(**محبوبة لي لتكون**) أي: لأن تكون تلك الأعمال الصالحة.

(**سراجا**) أي: ضياء ونورا في ظلمة قبري.

(**ويؤنسني**) أي: ولأن تكون مؤنسة إلي في قبري (**ولا تتركني فيه فريدا**).

(**والفائدة الثانية**) من تلك الفوائد الثمانية.

(**أني رأيت الخلق يقتدون**) من الاقتداء.

(**أهوائهم ورأيتهم يتبادرون**) من المبادرة، أي: يسارعون إلى مرادات أنفسهم.

(**فتأملت في قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه**) يعني خاف المقام بين يدي ربه.

(ونهى النفس عن الهوى) يعني منع نفسه عن معاصي الله تعالى، وعمل بهوى من الحرام.

(فإن الجنة هي المأوى) يعني مأوى من كان هكذا، وقال علي ابن أبي طالب: «أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»[١] كذا في تفسير أبي الليث.

(وتيقنت) من التيقن، أي: علمت بلا شك.

(أن القرآن حق) ومنزل من عند الله تعالى إلى رسوله عليه السلام.

(صادق).

وإذا كان كذلك **(فبادرت)** سارعت.

(إلى خلاف نفسي) أي: إلى مخالفة نفسي وعكس هواها.

(وتشمرت) من التشمر، أي: اجتهدت أشد الجهاد والتشمر رفع الذيل والكم لمصلحة وهو هنا كناية عن أشد الاجتهاد ولذا فسرناه به لمجاهدتها بأن أعطى خلاف مرادها.

(وما) للنفي.

(متعتها) من التمتع وهو التطويل والتعمير كذا في القاموس[٢]، والمعنى هنا ما نفعت نفسي بهواها، وفي بعض النسخ وما تبعتها بهواها وفي بعضها ومنعها عن هواها فعلى هذه النسخة يكون معطوفا على قوله لمجاهدتها لكن اختيار الفقير واقع في أكثر النسخ.

(حتى أرتاضت) بسكون التاء من الارتياض، أي: إلى أن كانت نفسي مذلله ومنقادة لطاعة الله تعالى يقال راض المهر رياضا ورياضة ذلله فهو رائض من راضه وروض وارتاض المهر صار مروضا كذا في القاموس[٣].

---

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ٨٦، رقم ٢٥٥)، وأحمد فى كتاب الزهد (١/١٣٠)، وهناد فى الزهد (١/٢٩٠، رقم ٥٠٩)، والبيهقى فى الزهد الكبير (٢/ ١٩٢، رقم ٤٦٣)، وابن عساكر (٤٢/٤٩٤).

(٢) انظر: القاموس المحيط: ١/٩٨٥.

(٣) انظر: القاموس المحيط: ١/٨٣١.

obeikandl.com

فقوله: (**وحتى انقادت**) بسكون التاء من الانقياد، أي: إلى إن كانت منقادة إلى أوامر الله تعالى عطف تفسير له.

(**والفائدة الثالثة**) من تلك الفوائد الثمانية.

(**أني رأيت كل واحد من الناس يسعى**) أي: يجتهد.

(**في جمع حطام الدنيا ثم**) أي: بعد جمع حطام الدنيا ومتاعها.

(**يمسكه**) أي: يمسك كل واحد من الناس حطامها حال كونه.

(**قابضا يده وهو**) أي: قبض اليد كناية عن عدم الإعطاء للمتحاجين.

(**فتأملت في قوله تعالى ما عندكم**) أي: ما تتمتعون به من نعم وإن جل الدنيا وما فيها جميعا.

(**ينفد**) أي: يفنى وإن جم عدده وينقضي وإن طال أمده.

(**وما عند الله**) من خزائن رحمته الدنيوية والأخروية.

(**باق**) لانفاد له أما الأخروية فظاهرة وأما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالأخروية ومستبقية لها فقد انتظمت في سلك الباقيات الصالحات كذا في تفسير أبي السعود.

إذا كانت كذلك (**فبذلت**) أعطيت.

(**محصولي**) أي: ما حصلته من الدنيا.

(**لوجه الله تعالى**) لرضاء الله تعالى بلا عوض ولا غرض.

(**ففرقته**) أي: نشرت محصولي.

(**بين المساكين**) جمع مسكين، وهو من لا شيء له، والفقير من له أدنى شيء كذا روى عن أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه، وقيل: المسكين من له أدنى شيء والفقير من لاشيء له، وهو قول الشافعي، وفائدة الخلاف إنما تظهر في الوصايا والأوقاف.

(**ليكون**) أي: لأن يكون المحصول الذي بذلته لرضاء الله تعالى و أنشرته بين المساكين.

(**ذخرا**) بضم الذال المعجم وسكون الخاء المعجمة، أي: خيرا باقيا مذخرا إلى عند الله تعالى يوم القيامة.

(**والفائدة الرابعة**) من تلك الفوائد الثمانية.

(أني رأيت بعض المخلوق يظن شرفه) بفتحتين، أي: علوه، يقال: قد شرف الرجل، أي: على مرتبته.

(وعزه) بكسر العين المهملة وتشديد الزاء المعجمة، أي: عظمته.

(في كثرة الأقوام) جمع قوم وهو الجماعة من الرجال والنساء معا والرجال خاصة، والمراد بالأقوام الاتباع مطلق.

(وفي كثرة العشائر) جمع عشيرة وهي القبيلة وهي جماعة كثيرة من جد واحد.

(فاعتز) من الاعتزاز بالزايين المعجمتين معناه بالتركي عزت بوملق، أي: فاعتز ذلك البعض.

(بهم) أي: بالأقوام والعشائر.

(وزعم آخرون) أي: غير ذلك البعض من الخلق.

(أنه) أي: الشرف والعز، فالضمير راجع إليهما على سبيل البدل، ويجوز أن يكون قوله وعزة عطفا تفسيريا لقوله شرفه فيرجع الضمير إليه فقط.

(في ثروة) بفتح الثاء المثلثة، وسكونه الراء المهملة الأموال في كثرة الأموال وفي كثرة الأولاد.

(فافتخروا) من الافتخار.

(بها) أي: بالأموال والأولاد يعني يقولون أن لنا أموالا وأولادا كثيرة فافتخروا بها على الغير وحسب بعضهم، أي: ظن بعض الخلق العز والشرف في غصب أموال الناس، أي: يف أخذ أموال الناس من أيديهم ظلما وقهرا وتعريف الغصب لغة وشرعا قد مر في ظلمهم، أي: في ظل الناس وفي سفك دمائهم، أي: في إراقة دما الناس يعني في قتلهم الدماء جمع دم والسفك إراقة الدم يقال بالتركي قان دلكمك واعتقدت طائفة، أي: جماعة من الخلق أنه، أي: الشرف والعز في إتلاف المال، أي: في إهلاك المال وإضاعته وفي إسرافه وهو إنفاق المال في غير الحال والمحل من المناهي والملاهي.

إذا كان أمر كل من الخلق هكذا فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، أي: أكثركم تقوى له وخشية منه فإن تفاخرهم ففاخروا

بالتقوى لا بالأنساب والأموال فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص وهو التقوى فمن رام نيل درجات العلى فليلزم التقوى فاخترت من الاختيار التقوى وهي في اللغة التوقي والتحفظ مما يؤذيه ويضره مأخوذ من الوقاية وهي فرط الصيانة وفي الشريعة هي صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك قال: القشيري في الرسالة: اتقاء الشرك؛ ثم بعده: اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات؛ ثم يدع بعده الفضلات وحقيقته التحرز بطاعة الله تعالى عن عقوبته.

قال القاضي في تفسير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى وهو في عرف الشرع اسم لمن يوقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح:٢٦].

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [الأعراف: ٩٦].

والثالثة: أن يتنزه عما يشتغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشرا سره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] وقد فسر قوله هدى للمتقين على الأوجه الثلاثة انتهى كلامه.

واعتقدت أن القرآن حق قد جاء من عند الله صادق لا كذب فيه فظنهم، أي: ظن الخلق حسبانهم بكسر الحاء المهملة على وزن عمران، أي: اعتقادهم باطل لما علم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] أن العز والشرف إنما هو في التقوى لا في ظنهم وزعمهم واعتقادهم.

والفائدة الخامسة من الفوائد الثمانية: أني رأيت الناس يذم - من باب نصر - بعضهم بعضا الذم في اللغة ضد المدح وفي الفرق كلام قلب الرجل عن أخيه المسلم ويغتابه، أي: يغتاب ذلك البعض بعضا الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وقيل هي

ذكر مساوئ أخيك المعين المعلوم عند المخاطب أو محاكتها وتفهيمها باليد أو غيرها من الجوارح على وجه السب والبغض وأما عند الشيخ الإمام فالذم والغيبة واحد ولذلك أفرد اسم الإشارة أعني ذلك وصرح به في الأحياء أما الذم والغيبة فقد ذكرناه.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الواجب عليك أن تحفظ لسانك من الغيبة لأنها حرام بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة قال: الله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢] فقد شبهك الله عز وجل يا أخي بأكل الميتة فما أحذرك بأن تحترز منه.

وقال النبي عليه السلام: « **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** »[(١)]. والغيبة تناول العرض.

وقال رسول الله عليه السلام: « **لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** »[(٢)].

قوله عليه السلام ولا تدابروا، أي: لا تغتابوا كذا قال: الشيخ الكلاباذي وقال صلى الله عليه وسلم: « **إِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ؛ فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ** »[(٣)] والأخبار الدالة على حرمتها خارجة عن الحصر فلنقتصر منها على هذا القدر.

ثم اعلم أيها الأخ: أن الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب قيل: مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا ويعطي الرجل كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٠ رقم ٤٨٨٢)، وابن ماجه (٢/١٤٠٩ رقم ٤٢١٣). وأخرجه أيضًا: القضاعى (١/١٣٦، رقم ١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤). وأخرجه أيضًا: البيهقى (٦/٩٢، رقم ١١٢٧٦).

(٣) أخرجه الديلمى (٣/١١٦، رقم ٤٣٢٠). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (٦/٣٤٨، رقم ٦٥٩٠) قال الهيثمى (٨/٩٢): فيه عباد بن كثير الثقفى وهو متروك.

ويؤتى الرجل كتابه فينظر إليه فلم يجد في كتابه حسناته فيقول الله تعالى: كتبتها في كتاب كم اغتبته.

كما قال: عليه السلام: «**إن الرجل ليؤتى كتابه منشورا فيقول: يا رب فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست في صحيفتي؟ فيقول له: محيت باغتيابك الناس**»(١) ثم الحديث.

وذكر الغيبة عند ابن المبارك فقال: لو كنت مغتابا لا غتبت والدتي إنها أحق الناس بحسناتي.

وقيل للحسن البصري رحمة الله عليه: إن فلانا اغتابك فأرسل إليه طبقا من السكر، وقال: بلغني أهديت إلي حسناتك فكافيتك بقدر الإمكان.

وروي عن الإمام الأعظم أنه قيل: فلان يغتابك فأرسل إليه دنانير فقيل له: ما هو فقال: هو أعطانا من حسناته فتكثر أن نعطيه من الدنيا.

(**فوجدت**) أي: علمت.

(**ذلك**) أي: الذم والغيبة.

(**ناشئا من الحسد**) وهو في الشرع إرادة زوال نعمة الله تعالى من أحد مما له صلاح ديني أو دنيوي من غير ضرر يلحقه في الآخرة يعني يقولون: إن فلانا لا يستحق لهذا العلم والمال والجاه ويريدون زوالها عنه.

واعلم أيها الأخ الأمجد حفظنا الله تعالى من الحسد: أن غوائله ثمانية:

الأول: إفساد الطاعات، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال عليه السلام « **إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ** » أو قال: «**العشب**»(٢).

---

(١) رواه الأصبهاني كما في الترغيب للمنذري (٣/٧٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٦، رقم ٤٩٠٣). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص ٤١٨، رقم ١٤٣٠)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/٢٦٦، رقم ٦٦٠٨).

الثاني: الإفضاء والباعث إلى ارتكاب فعل المناهي لأن الحاسد لا يخلو عن الغيبة لمن حسده والكذب عليه، والسب له والشماتة إذا نزل للمحسود مصيبة.

وإليه يشير مارواه ضمرة بن ثعلب أنه قال: قال النبي عليه السلام: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»(١).

والثالث: حرمان الشفاعة لما روى عن عبد الله بن عمرو بن بسر أنه قال: قال عليه السلام: « **لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلاَ نَمِيمَةٍ وَلاَ كَهَانَةٍ ثم تلا عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلى آخر الآية**»(٢).

والرابع: دخول النار لما روي عن عبد الله بن عمرو عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أنهما قالا: قال رسول الله عليه السلام: «**ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالتكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل، والعلماء بالحسد**»(٣).

والخامس: الإفضاء إلى إضرار الغير بأي وجه كان فلذا أمر الله تعالى لرسوله عليه السلام بالاستعاذة من الحاسد بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥].

والسادس: التعب والهم من غير فائدة تعود عليه إذ قدر الله تعالى لا يتغير بتمني الحاسد.

قال الشيخ في «بداية الهداية»: والحسود هو المعذب الذي لا يرحم ولا يزال في عذاب دائم؛ فإن الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عز وجل عليه بعلم أو مال أو جاه فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر.

---

(١) أخرجه الطبرانى (٣٠٩/٨، رقم ٨١٥٧). قال الهيثمى (٧٨/٨): رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٩١٩/٨) وقال الهيثمى: فيه سليمان بن سلمة الخبائرى، وهو متروك.

(٣) أخرجه الديلمى (٣٢٩/٢، رقم ٣٤٩١ م).

الرساتيق : الرستاق : فارسي معرب ، ويقال : رسداق أيضا ، وهو السواد ، والجمع الرساتيق.

بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه بل ينبغي أن يساهم المسلمين في السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو يشتكي سائر الجسد، فإن كنت لا يصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلبه للتخلص عن الهالك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات انتهى.

والسابع: عمى القلب لأن الحسد يطمس بصيرة الحاسد حتى يكاد لا يفهم عند غليان داعي الحسد حكما من أحكام الله تعالى.

كما قال: سفيان الثوري: عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا، ولا تكن ظمانا طعانا تنج من ألسن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم انتهى، لبقاء نور القلب غير مشوب بظلمة.

فأخبر رحمه الله تعالى الحسد مانع عن سرعة الفهم وذلك لما يعتري قلب الحاسد من الغم والألم والأفكار الفاسدة والأماني الباطلة لزوال نعمة المحسود.

والثامن: الحرمان من المراد ومطلقا والخذلان بالوقوع في المصيبة فلا يكاد يظفر بمراد ولا يكاد ينصر على عدو فلذا قيل: الحسود لا يسود، أي: لا يصير سيدا للناس وإذا علمت أيها الأخ غوائل الحسد فاحترز عنه بجد وجهد.

ثم اعلم أن الحاسد شر من إبليس لما روى أن إبليس جاء باب فرعون فقرع الباب واستأذن فقال فرعون: من هذا؟ قال: إبليس أنا ثم قال: لو كنت آلها لعرفت من في الباب فقال فرعون: ادخل يا ملعون فلما دخل عليه قال: فرعون أتعرف على وجه الأرض شر مني ومنك قال: الحاسد لأن لي صديقا أجابني إلى كل ما دعوته من الشرور فقلت قد وجدت على حقك فسل من الحاجة فقال: يا إبليس إن بقرة فأمتها فقلت: لاقوة لي على ذلك أتريد أن أعطيك عشر بقرات مكانها فقال: لا أريد إلا هلاكها فعلمت أن الحاسد شر مني ومنك.

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما.

ومهما عرفت هذا عن بصيرة و لم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل والنهار.

وأما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل غير معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل إجل كتاب.

أما علاج الحسد العملي: هو أن تكلف نفسك نقيض مقتضى الحسد فإن بعثك على القدح فيه كلف لسانك المدح له والثناء عليه، وإن حملك على التكبر عليه ألزم نفسك التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثك على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه، وإن حملك على الدعاء عليه أدع له بزيادة النعمة التي حسدت فيها.

فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبك فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا أنها مرة على القلوب جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء هذا وكن من العاملين.

وإذا كان كذلك فتأملت في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف:٣٢]، أي: أسباب معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ونفوض أمرها إليهم علما بعجزهم تدبيرها بالكلية فعلمت بلا شك أن القسمة كانت من الله تعالى في الأزل، أي: في القديم فما للنفي حسدت أحدا من عباد الله تعالى ورضيت، أي: كنت راضيا بقسمة الله تعالى في الأزل.

والفائدة السادسة من الفوائد الثمانية: (**أني رأيت الناس يعادي**) من المعاداة.

(**بضعهم بعضا**) أي: يفعل العداوة ويتخذه بعض الناس بعضا لغرض من الأغراض وسبب من الأسباب.

وإذا كان كذلك فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فاطر:٦] عداوة قديمة لا تكاد تزول.

(**فاتخذوه**) أي: الشيطان عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع أحوالكم.

(**فعلمت بلا شك أنه**) أي: الشأن لا يجوز العداوة لغير الشيطان بمقتضى هذه الآية الكريمة فاتخذته عدوا لي فقط.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن بغية الشيطان عنك ثلاثة:

الأولى: سلب إيمانك في آخر العمر لتكون من حزبه وجماعته وتدخل معه النيران مؤبدا فيها مثله وهذا أقصة مطلوبه منك.

والثانية: أن تعمل الفسق الظاهر والظلم القاهر تكملة لإضلالك ومسارعة إلى إهلاكك كيلا تنجو من العذاب بتجديد الإيمان والتوبة.

والثالثة: تأخيرك في الخيرات والحسنات وحطك في المراتب السنية والدرجات العالية الأخروية.

وهذا أدنى مقصوده عنك ولا يرضى به عنك إلا عند يأسه عن سلب الإيمان والخلود الدائم في النيران والفسق والظلم والطغيان نعوذ بالله من شره بالمنان الرحمن.

وإذا علمت يا أخي بغية الشيطان فاحترز عنه وبعده عنك بذكر الله تعالى كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال عليه السلام: « **إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تعالى خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ اللَّهَ تعالى الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ** ». تم الحديث[1].

وعليك الاستعاذة من شره وقد أمر رسول الله عليه السلام بها مع كونه سيد الأولين والآخرين حيث قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ**﴾ [الناس: ١-٥]الآية، أي: من شر الشيطان الذي عادته أن يخنس، أي: تأخر ذكر الإنسان ربه وذكر أن إبليس عليه اللعنة جاء إلى موسى عليه السلام وهو يناجي ربه فقال للشيطان: ملك ويحك يا ملعون ما ترجو منه على هذه الحالة قال: رجوت منه ما رجوت من أبيه في الجنة يعني آدم عليه السلام.

والحاصل أن الواجب عليك أن لا تتخذه صديقا لأن عداوته مبنية بالأدلة القطعية كم الكتاب والسنة.

والفائدة السابعة من تلك الفوائد الثمانية: (أني رأيت كل أحد يسعى بجد) بكسر الجيم، أي: اجتهاد وسعي بليغ، والجد في اللغة ضد الهزل، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو أمر موضوع على الوجدان في داخل الإنسان يلقى صاحبه إلى تحصيل ما يريد إتيانه إلى تحت تصرفه.

(ويجتهد) بمبالغة هذا عطف تفسيري لقوله: يسعى بجد.

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٠٢/١، رقم ٥٤٠). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٢٧٨/٧، رقم ٤٣٠١) قال الهيثمى (١٤٩/٧): فيه عدى بن أبى عمارة، وهو ضعيف. والطبرانى فى الدعاء (٥٢١/١، رقم ١٨٦٢)، وابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان (ص ٤٣، رقم ٢٢).

(**لطلب القوت**) بضم القاف وهو ما يقوم به بدن الإنسان وقيل: هو الكفاية من غير إسراف.

(**ولطلب المعاش**) بفتح الميم، أي: المعيشة.

(**بحيث يقع به**) أي: يسعى بحيث يقع كل أحد بذلك الجد.

(**في شبهة**) وهي مالم يتيقن كونه حلالا أو حراما وهو ضد الحلال لأن مثل هذا الرجل لا يبالي ولا يتفكر عاقبة أمره ويسأل عن كل من الرجال والنساء ويأخذ كل ما وجد وربما يكون أخذه بالغصب وهو حرام لما عرفت.

(**ومع ذلك يذل**) من الإذلال.

(**نفسه**) أي: يجعل نفسه ذليلا حقيرا عند الناس بإيقاعها في السؤال الموجب للابتذال عن كل أحد من النساء والرجال.

(**وهو**) أي: تذليل النفس غير جائز لما روى عن النبي عليه السلام أنه قال: «**ليس للمؤمن أن يذل نفسه**»(١).

(**ومع ذلك ينقص قدره**) بفتح القاف وسكون الدال وبفتحها، أي: مبلغه وعظمته عند الله تعالى؛ لأنه يأكل ما نهى الله تعالى عنه من الحرام والشبهة وكل من يأكل منهاه فهو عاص فهذا عاص ولا يكون له شرف تام ومرتبة عند الملك المنان وإذا كان كذلك فتأملت في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[هود: ٦] أي: غذاؤها اللائق بها.

(**فعلمت بلا شك أن رزقي على الله يعطيني إلى مدى عمري وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته**) أي: عبادة الله تعالى.

(**وقطعت طمعي عمن سواه**) بالكسر، أي: غير الله تعالى يقال: سواء الشيء غيره يعني قطعت طمعي للرزق غير الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/٥، رقم ٢٣٤٩١)، والترمذى (٥٢٢/٤، رقم ٢٢٥٤) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٣٣٢/٢، رقم ٤٠١٦). وأخرجه أيضًا: البزار (٢١٨/٧، رقم ٢٧٩٠)، وذكره ابن أبى حاتم فى العلل (١٣٨/٢، رقم ١٩٠٧) وقال قال أبى: هذا حديث منكر.

(**فأعطاني من حيث لا أحتسب**) كما قال: النبي عليه السلام: «**من انقطع إلى الله تعالى كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها**»[(١)].

اعلم أيها الأخ العزيز: أنك لو اعتمدت على الله تعالى في الرزق اعتمادا تاما وسعيت في الطلب بوجه جميل وعلمت أن الله تعالى لا يخلف وعده فيما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] لوصل إليك رزقك من غير سعي منك كما روى عن النبي عليه السلام أنه قال: « **لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً** »[(٢)].

وحكي أن فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيض اللون فينكره الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ جائعا فيراه أسود فيضمه إلى نفسه ويتعهده فهذا مما يصل إليه رزقه بلا سعي.

والفائدة الثامنة: (أني رأيت كل أحد من الناس يعتمد على شيء من مخلوق بعضهم يعتمد من المخلوق إلى الدينار) أي: إلى الذهب والدرهم وهو في الأصل ما يبلغ أربعة عشر قيراطا من جهة الوزن لكن يستعمل الآن في كل واحد من الدراهم التي في كل موضع.

(**وبعضهم إلى الحرفة**) بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين وهي الصناعة التي يرتزق منها.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/١٢٠، رقم ١٣٥١). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٣/٣٤٦ رقم ٣٣٥٩) قال الهيثمي (١٠/٣٠٣): وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يغرب: ويخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات، وفي الصغير (١/٢٠١ رقم ٣٢١)، والقضاعي (١/٢٩٨، رقم ٤٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٥٧٣، رقم ٢٣٤٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٣٩٤، رقم ٤١٦٤)، وأبو يعلى (١/٢١٢، رقم ٢٤٧)، وابن حبان (٢/٥٠٩، رقم ٧٣٠)، والحاكم (٤/٣٥٤، رقم ٧٨٩٤)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٦٦، رقم ١١٨٢)، والضياء (١/٣٣٣، رقم ٢٢٧) وقال: إسناده صحيح.

قال في القاموس: الحرفة بالكسر الطعمة والصناعة يرتزق منها وكل ما اشتغل الإنسان به وضري يسمى صنعة وحرفة لأنه ينحرف إليها انتهى[1].

فقوله: (**والصناعة**) بكسر الصاد المهملة عطف تفسير.

(**وبعضهم إلى مخلوق**) بالإضافة إلى مثله من ذوي العقول كالسلطان والأمير وذي الجاه.

وإذا كان كذلك فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كاف في جميع أموره ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: منفذ أمره.

(**قد جعل الله لكل شيء قدرا**) أي: تقديرا وتوقيتا أو مقدارا.

(**فتوكلت**) أي: فوضت جميع أموري على الله.

(**فهو حسبي ونعم الوكيل**) أي: نعم الموكول إليه الله عز وجل؛ فالمخصوص بالمدح محذوف.

(**وإذا سمع أبو علي شقيق البلخي هذه الفوائد الثمانية من حاتم الأصم فقال شقيق**) الفاء جواب للشرط المحذوف كما قدرناه.

(**وفقك الله**) أي: جعلك الله تعالى موفقا التوفيق في اللغة جعل الأمر متوقفا لآخر، وفي العرف جعل الله تعالى شأن عبده موافقا للصواب.

وأما ما قيل: من أنه تهيئة أسباب الخير وتنحية أسباب الشر ومن أنه الأمر المقرب إلى السعادات الأبدية ومن أنه جعل الله تعالى أفعال عبده الظاهرة موافقة لأوامره مع بقاء اختياره فيها ومع جعل ثبات قلبه موافقا لما يحبه فمآله راجع إلى ما قلنا كذا قيل.

(إني) بكسر الهمزة.

(**قد نظرت التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام بن عمران والإنجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام والزبور الذي أنزل على داود بن أوشنا عليه**

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/٧٩٩.

السلام والفرقان الذي أنزل على محمد عليه السلام بن عبد الله فوجدت الكتب) جمع كتاب.

(الأربعة تدور) من الدور.

(في هذه الفوائد الثمانية) التي قلت لي.

(وإذا كان كذلك فمن عمل بها) أي: بهذه الفوائد الثمانية.

(كان عاملا) بهذه الكتب الأربعة.

obeikandl.com

النصيحة الثامنة عشر

ما يجب على سالك سبيل الحق

• أيها الولد..!!

قد علمت من هاتين الحكايتين أنك لا تحتاج الى تكثير العلم، والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق:

فاعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب؛ ليُخْرِج الأخلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقا حسنا.

ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع لحيسن نباته، ويكمل ريعه، ولا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى؛ لأن الله أرسل للعباد رسولا للإرشاد إلى سبيله، فإذا ارتحل صلى الله عليه وسلم فقد خلف الخلفاء في مكانه، حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبًا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه: أن يكون عالما إلا أن كل عالم لا يصلح للخلافة.

وإني أبيّن لك بعض علاماته على سبيل الإجمال؛ حتى لا يدّعي كل أحد أنه مرشد، فنقول: من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه، وكان قد تابع شيخًا بصيرًا تتسلسل متابعته إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وكان محسنًا رياضة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم، وكان بمتابعة ذلك الشيخ البصير جاعلا محاسن الأخلاق له سيرة: كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والسخاء والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للإقتداء به، ولكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر.

ومن ساعدته السعادة فوجد شيخًا كما ذكرنا، وقبله الشيخ، ينبغي أن يحترمه ظاهرا وباطنا:

أما احترام الظاهر فهو ألا يجادله، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة؛ وإن علم خطأه، ولا يلقي بين يديه سجّادته إلا وقت أداء الصلاة، فإذا فرغ من الصلاة يرفعها، ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته، ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاقته.

وأما احترام الباطن: فهو أنّ كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلا ولا قولا؛ لئلا يتّسم بالنفاق، وإن لم يستطع يترك صحبته إلى أن يوافق باطنه ظاهره.

ويحترز عن مجالسة صاحب السوء؛ ليقصر ولاية شياطين الإنس والجن عن صحن قلبه، فيصفي عن لوث الشيطنة، وعلى كل حال يختار الفقر على الغنى.

ثم اعلم أن التصوف له خصلتان: الاستقامة، والسكون عن الخلق.

فمن استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو «صوفي». والاستقامة أن يفدي حظ نفسه على أوامر الله تعالى.

وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع.

- ثم إنك سألتني عن العبودية وهي ثلاثة أشياء:

أحدها: محافظة أمر الشرع.

وثانيها: الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى.

وثالثها: ترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى.

- وسألتني عن التوكل؟

وهو أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد، يعني: تعتقد أن ما قُدر لك سيصل إليك لا محالة، وإن اجتهد كل من في العالم على صرفه عنك، وما لم يكتب لك لن يصل إليك، وإن ساعدك جميع العالم.

- وسألتني عن الإخلاص؟

وهو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى، ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس، ولا تبالي بمذمتهم.

واعلم أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق.

وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة، وتحسبهم كالجمادات في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة لتخلص من مراءاتهم. ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادة لن يبعد عنك الرياء.

(**أيها الولد: قد علمت من هاتين الحكايتين**) وهما حكاية الشبلي وحاتم الأصم.

(**أنك لا تحتاج إلى تكثير العلم بل تحتاج إلى تكثير العمل**).

ولما فرغ الشيخ الإمام من الأمور الأربعة التي هي شرط للسالك في بداية إرادة السلوك شرع في بيان ما يجب عليه وهو أربعة أيضا على ما أشار إليه الشيخ في هذه الرسالة فقال:

(**والآن**) أي: في هذا الوقت.

(**أبين**) بصيغة المتكلم وحده للمضارع.

(**لك ما**) أي: الذي يجب.

(**على سالك سبيل الحق**) أي: على سالك طريق التصوف.

(**وهو**) أي: السالك.

(**من مشى على المقامات بحاله**) لا بعلمه وتصوره فكان العلم الحاصل له عينا يأبى من ورود الشبه المضلة له.

ولما وعدهم رحمه الله بيان ما يجب على السالك طريق الصوفية للولد شرع في بيان وفاء بوعده فقال مخاطبا له:

(**اعلم أنه**) أي: الشأن.

(**ينبغي**) أي: يجب.

(**لسالك شيخ**) ليتمسك السالك به تمسك الأعمى على شط البحر بالقائد ليأمن من الأعداء القطاع الطريق فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة فمن لم يكون له شيخ قاده الشيطان لا محالة إلى طريق ومن اشتغل بالسلوك بلا شيخ كان شهد معركة القتال بلا سلاح ورام أن يصعد الهوى بلا جناح.

(**مرشد دال**) للسالك على سبيل الصواب.

(**مرب**) اسم فاعل من التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا آنا فآنا وسيجيء معنى مربية الشيخ بعيد هذا.

وإنما وجب للسالك شيخ (**ليخرج**) أي: أن يخرج الشيخ.

(**أخلاق السوء**) بالضم يعني الأخلاق الذميمة كالكبر والحسد والحقد وغير ذلك.

(**منه**) أي: من السالك يعني من قلبه.

(**بتربيته**) أي: بتربية الشيخ.

(**ويجعل**) أي: ولأن يلغي ويضع الشيخ.

(**مكانها**) أي: مكان أخلاق السوء.

(**خلقا حسنا**) يعني الأخلاق الحميدة كالتواضع والصداقة والإخلاص وغيرها.

ولما كان إخراج الشيخ الأخلاق الذميمة من قلب السالك بتربيته أمرا معنويا أراد أن يمثله بأمر محسوس للإيضاح فقال:

(**ومعنى التربية**) يعني مثال تربية الشيخ.

(**يشبه فعل الفلاح**) بفتح الفاء وتشديد اللام، وهو الذي يزرع الحنطة وغيرها يقال له بالتركي: أكنجي.

(**الذي يقلع**) من القلع وهو انتزاع الشيء من أصله وإخراجه، يقال قلعه كمنعه انتزعه كذا في القاموس[١].

(**الشوك**) بفتح الشين المعجمة جمع شوكة، بالفارسية: ضار.

قال: في القاموس الشوك معروف والواحدة بهاء انتهى[٢].

(**ويخرج الفلاح النباتات**) بالجر لأن نصب جمع المؤنث السالم تابع لجره كما قررنا في محله الأجنبية منصوب لفظا على أنه صفة للنباتات، وفيه سؤال واضح وجوابه ظاهر على من له أدنى لب في النحو.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١/٧٤٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط: ١/٩٤٥.

(**من بين الزرع ليحسن**) أي لأن يحسن.

(**نبته**) أي: نبات الزرع لأن النباتات الأجنبية يقع في أعلى الرزع فتشرب أكثر مائه فلا يجد النماء معها.

(**ويكمل**) بالنصب عطف على قوله ليحسن، أي: ولأن يكمل.

(**ويتم ريعه**) بفتح الراء وبالعين المهملتين وبينهما ياء ساكنة مثناة تحتانية وهو النماء والزيادة يعني ليكمل ويتم نماء الزرع وحاصله.

(**ولابد**) أي: لا فرق من بده بدا بالفتح مصدر وبالضم، أي: اسم فرقه ومعناه العرفي جاره.

(**للسالك**) من اشتغل بالسلوك، بلا شيخ كان كمن شهد معركة القتال بلا سلاح ورام أن يصعد الهوى بلا جناح.

ولما بين الشيخ الإمام لزوم الشيخ للسالك أراد أن يذكر شرط فقال:

(**وشرط الشيخ الذي يصلح بالفعل أن يكون نائبا للرسول**) أي: قائما مقام الرسول عليه السلام.

(**أن يكون عالما**) لأن الجاهل لا يعلم بعد ما كان فرضا عليه ولا يعلم الحلال والحرام فكيف يصلح لأن يكون نائبا مناب رسول الله عليه السلام قوله وشرط الشيخ مبتدأ وقوله أن يكون عالما خبره.

ولما استشعر قوله أن يكون عالما اعتراضا بأن كل عالم يكون صالحا للنيابة مع أنه ليس كذلك كما سيجيء نفى الشيخ رحمه الله تعالى الصلاحية عن كل عالم بقوله: (**لأن كل عالم يصلح للنيابة بل إنما يكون صالحا إذا كان جماعا بين علمي الظاهر والباطن وكاملا فيهما**)ووجد فيه علامات الشيخ المرشد التي ذكر الشيخ الإمام بعضا منها بقوله:

(**وإني أبين لك بعض علامات الشيخ المرشد على سبيل الإجمال**) أي: على طريق الاختصار.

(**حتى أن لا يدعي**) بتشديد الدال المهملة من الإدعاء، أي: كي لا يكون مدعيا.

obeikandl.com

(كل أحد ممن كان على هيئة الشيخ والصوفي أنه مرشد فنقول هو) أي: الشيخ المرشد.

(من الذي يعرض) من الإعراض.

(حب الجاه) أي: منصب، لأن في حبه منبع فساد ومنشأؤه ومن جملته أنه مصدر ويمنع المرء عن مواله ويشغل قلبه عن ذكره فلا يكون سالكا فضلا عن أن يكون شيخا له.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن في ذم حب الجاه آيات وأخبار كثيرة فلنذكر بعضا منها قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] جمع الله تعالى بين إرادة الفساد والعلو وبين الدار الآخرة... عن الإرادتين جميعا وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] وهذا أيضا متناول بعمومه حب الجاه فإنه أعظم لذة من لذة حياة الدنيا وأكثر من زينتها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «**حب الجاه والمال ينبتان النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ**»[(١)].

وقال عليه السلام: «**ما ذئبان ضاريان أرسلا في ذرية غنم بأكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل**»[(٢)].

وقال عليه السلام لعلي رضي الله تعالى عنه: «**إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء والجاه**»[(١)] من أراد أن يعلم علاج حب الجاه فلينظر في الإحياء وعن حب الدنيا لأن

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ١٥٩/٣، وقال العراقي ١٠٥٣/١: لم أجده بهذا اللفظ. وأخرجه أَبُو مَنْصُور الديلمي فِي مُسْنَد الفردوس من حَدِيث أبي هُرَيْرَة بِسَنَد ضَعِيف إِلا أَنه قَالَ «حب الْغناء» وَقَالَ «العشب» مَكَان «البقل».

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣١٩/١٠، رقم ١٠٧٧٨). وأخرجه أيضًا: فى الأوسط (٢٦٠/١، رقم ٨٥١). قال الهيثمى (٢٥٠/١٠): فيه عيسى بن ميمون، وهو ضعيف، وقد وثق.

حب الدنيا رأس كل خطيئة كما قال: النبي عليه السلام: « **حُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خَطِيئَة**»(٢) ومعنى الحديث أن حب الدنيا أصل الخطايا ومنشأ لها وذلك لأنه يورث الغفلة عن الآخرة وحبها عن الجهد لسعيها وهو أوسع مسالك الشيطان التي يتسلق منها إلى الإنسان وذكره الحلبي.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء وحقيرة عند خالق الأسرار وعند المقربين والأبرار وإنك تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سيارة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن لا تحسن بحركتها فتطمئن إليها وإنما تحسن عند انقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك وساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة، وروى: أن الدنيا ذكرت عند الحسن البصري قدس سره فأنشد وقال(٣): [الكامل]

أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ إنَّ اللّبيبَ بمثلها لا يُخدعُ

وإذا كانت الدنيا سريعة الزوال وحقيرة عند الله وعند الأبرار فيكون محبها أذل من الذليل وأحقر من الحقير لأن كمال كل شيء وقدره باعتبار مطلوبه ألا ترى أن البازي مقبول لكمال مطلوبه الذي هو الطيور من الحمامة والكلب غير مقبول لحقارة مطلوبه الذي هو الجيفة والقذر فمن كان مطلوبه الدنيا الحقيرة فكيف يكون شيخا للسالك اللهم اجعلنا من العاشقين إلى الكمالات الجليلة واحفظنا من تعشق الدنيا الحقيرة الفانية.

ومن جملة علامات الشيخ المرشد (**أنه كان**) أي: الشيخ المرشد.

=

(١) انظر: إحياء علوم الدين ٢٧٨/٣، وقال العراقي ١١٨٦/١: لم أره بِهَذَا اللَّفْظ وَقد تقدم فِي الْعلم من حَدِيث أنس «ثَلَاث مهلكات شح مُطَاع وَهوى مُتبع... الحَدِيث» وَلأبي مَنْصُور الديلمي فِي مُسْنَد الفردوس من حَدِيث ابْن عَبَّاس بِسَنَد ضَعِيف «حب الثَّنَاء من النَّاس يعمى ويصم».

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان (٣٣٨/٧، رقم ١٠٥٠١)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٨٢)، والعجلوني في كشف الخفاء (٤١٢/١ – ٤١٣، رقم ١٠٩٩) عن الحسن، مرسلا.

(٣) انظر: الخزانة ٣٥٠/٥، ومرقاة المفاتيح ٣١٨/١١، والإحياء ٣٨٣/٤.

obeikandl.com

(قد تابع) من المتابعة، قد اقتدى.

(شخص بصير) يعني بصير بعيوب نفسه.

(معرض) عن عيوب غيره.

(يتسلسل متابعته) أي: يصل متابعة ذلك الشخص البصير يعني أصله من جهة التبعية وأصل أصله ثم وثم هكذا منتهيا إلى سيد المرسلين.

والحاصل أن الشيخ المرشد كان تابعا لشخص بصير بعيوب نفسه معرض عن عيوب غيره يتسلسل أصله ويصل إلى الرسول عليه السلام كجنيد البغدادي وهو أخذ الطريق والتصوف عن خاله السري السقطي وهو معروف الكرخي وعن داود الطائي وهو عن حبيب العجمي وهو الحسن البصري وهو علي بن أبي طالب وهو عن النبي عليه السلام كما مر.

ومن جملة علاماته **(أنه كان)** أي: الشيخ المرشد. **(محسنا)** من قلة الأكل يعني أن الشيخ المرشد جعل نفسه معتادة لقلة الأكل لأن كثرته تورث البلادة وتميت القلب لما قال: عليه السلام: «**لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب؛ فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء**» تم الحديث ومن مات قلبه لا يكون سالكا فضلا عن أن يكون شيخا له.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن في الجوع عشر فوائد:

الأولى: صفاء القلب وإنفاذ البصيرة؛ فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك.

الثانية: رقة القلب الذي بها يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبين اللسان حجابا من قسوة القلب قال: أبو سليمان: إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عمي وتاه.

الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تطيع لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها.

الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطعمون الزقوم ويسقون الغساق.

الخامسة: كسر شهوات المعاصي كلها والغلبة على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات الأطعمة بلا شك فتقليلها يجعل ضعيفا كل قوة وشهوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس.

السادسة: دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول: بعض الشيوخ على رأس السفرة: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا.

والسابعة: تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات، لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام أوطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده إلى بيت المال قال: مالك بن دينار والله لقد لقد استحييت ربي من كثرة الاختلاف إلى بيت المال ولهذا أكون صائما.

والثامنة: صحة الأجسام عن الأمراض لأنها إنما تحصل من الأكل كفاه من المال قدر يسير.

والعاشرة: أن يمكن له الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين لقناعته بشيء قليل فيكون يوم القيامة في ظل صدقته لأن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين وهذا وكن من الشاكرين ومن قلة القول لأن كثرة الكلام تميت القلب ككثرة الأكل نعم ما قيل: عرفت أن مات قلبه لا يكون سالكا فضلا عن أن يكون شيخا له.

openkandil.com

واعلم أيها الأخ العزيز: أنك إذا رأيت رجلا يكثر الكلام فاحكم بأنه مجنون لأن العاقل لا يصرف كلامه فيما لا فائدة فيه قال: علي رضي الله تعالى عنه: إذ تم العقل نقص الكلام وقال في تعليم المتعلم وقد اتفق لي في هذا المعنى شعرا[١]:

إذا تم عقل المرء قل كلامه وأيقن بحمق المرء إن كان مكثارا
النطق زَيْنٌ والسكُوتُ سلامةٌ فإذا نَطقتَ فلا تَكُنْ مكثَارَا
ما إن نَدِمْتُ على سُكُوتي مَرّةً ولكن نَدِمْتُ على الكلام مِرَارا

انتهى.

(ومن قلة النوم) لأن كثرة النوم تترك صاحبه فقيرا يوم القيامة كما عرفت فيما سبق، فينبغي أن يحترز العبد عنها فضلا عن الشيخ المرشد.

(ومن كثرة الصلاة) أيها الأخ إن فضيلة الصلاة كثيرة قد مر نبذ منها ومن جملة ما ذكره الشيخ أبو الليث في تنبيه الغافلين: إن إبليس عليه اللعنة يرى في الزمان الأول فقال له رجل يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك فقال إبليس: ويحك لم يطلب مني مثل هذا فكيف تطلبه فقال الرجل: إني أحب ذلك فقال له إبليس أما إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ولا تبالي بالحلف صادقا ولا كاذبا فقال له الرجل: لقد عهدت أن لا أدع الصلاة ولا أحلف يمينا كاذبا أبدا فقال له إبليس ما تعلم أحد مني شيئا من النصح غيرك قط بالاختيال وأنا قد عهدت الآن أن لا أنصح لأدمي قط[٢].

(ومن كثرة الصدقة) وهي العطاء للفقير تقربا إلى الله تعالى لأن الصدقة تطفئ غطب الرب وتزيد في العمر وترد البلاء وتطفئ نار السعير قال: النبي عليه السلام: «**تصدقوا ولو بشق تمرة فإنها تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ وتطفئ الخطيئة**»[٣].

---

(١) انظر: البيت الأول في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ١٣٧/١.
والبيتين الأخيرين في السحر الحلال في الحكم والأمثال ٦٨/١، والعقد الفريد ٢٤٦/١.

(٢) انظر: تنبيه الغافلين: ٢٧٥/١.

(٣) أخرجه أحمد (٧٩/٦، رقم ٢٤٥٤٥) قال الهيثمى (١٠٥/٣): فيه أبو هلال وفيه بعض كلام وهو ثقة.

وقال عليه السلام: «**تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار**»[1].

واعلم أيها الأخ: أن الصدقة أربع حروف: صاد ودال وقاف وتاء فالصاد تصون صاحبها من مكائد الدنيا والآخرة، والدال تكون دليله على طريق الجنة غدا، عند تحير الخلق والقاف للقربة يتقرب صاحبها إلى الله تعالى والهاء للهدى تهدي إلى أعمال الصالحة ليستوجب بها راضوان الله الأكبر.

وإذا كان للصدقة هذه الفضيلة فينبغي أن يتصدق العبد مطلقا على الفقراء.

(**ومن كثرة الصوم**) قد ذكرنا بعض فضائل الصيام.

والحاصل أن الشيخ المرشد كان جائعا نفسه ذا رياضة بقلة الأكل والكلام والنوم وبكثرة الصلاة والصدقة والصوم.

(**ومن علاماته أنه كان**) أي: الشيخ المرشد.

(**بمتابعة الشيخ البصير**)، أي: بسبب متابعة الشيخ المرشد الشيخ البصير بعيوب نفسه.

(**جاعلا محاسن**) جمع حسن بالضم على غير القياس.

(**الأخلاق**) أي: الأخلاق الحسنة، فإن الإضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف.

(**له**) أي: الشيء الشيخ المرشد ومن أرجع الضمير المجرور إلى السالك فقد أخطأ.

(**سيرة**) بكسر السين المهملة، أي: خصلة وعادة.

=

وله شاهد آخر: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" أخرجه البخارى (٢٧٠٩/٦، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٧٠٣/٢، رقم ١٠١٦)، والترمذى (٦١١/٤، رقم ٢٤١٥) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (٦٦/١، رقم ١٨٥)، والطبرانى (٩٥/١٧، رقم ٢٢٥)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٧٦/٤، رقم ٧٥٣٣)، وفى شعب الإيمان (٢٤٥/١، رقم ٢٥٩)، وابن منده (٧٧٥/٢، رقم ٧٨٧) وقال: إسناده صحيح. والرافعى (١٠٤/٤).

(١) أخرجه ابن عساكر (٧٣/٥٦).

(كالصبر) وهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى لأن الله تعالى أثنى أيوب عليه السلام بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤] مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وقيل: الصبر حبس النفس عن متابعة الهوى وقال أهل المعرفة: هو تجرع المرارات عند نزول المصيبات.

واعلم أيها الأخ: أن الصبر نعمة جزيلة وبه ينال العبد ثوابا بلا غاية ولانهاية خارجا عن أوهام الخلق، وإعدادهم كما قال: ذو العظمة والكبرياء في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثم اعلم أن في الصبر فوئد كثيرة:

منها: الظفر على الأعداء قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦].

ومنها الظفر بالمراد قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ومنها: البشارة والصلوات والرحمة من الله تعالى قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ومنها: المحبة من الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

ومنها: الدرجة العليا في الجنة قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

فثمرة الصبر وفائدته أكثر من أن تحصى حتى قيل: حقيقة الإيمان الصبر والشكر كما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: « **الإِيمَان نِصْفَانِ: نصفه صبر ونصفه شكر**»[(١)].

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٢٣/٧، رقم ٩٧١٥)، والديلمى (١١١/١، رقم ٣٧٨). وأخرجه أيضًا: القضاعى (١٢٧/١، رقم ١٥٩).

ثم قيل: الصبر على ثلاثة أوجه صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على المصيبة فمن صبر على الطاعة فله ثلث مائة درجة ومن صبر على المعصية فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة في بدنه أو ماله ثم استقبل تلك المصيبة بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أقيم له ميزانا وأنشر له ديوانا. تم الحديث.

لكن الصبر الجميل عند الصدمة الأولى لقوله عليه الصلاة والسلام: «**الجزاء مع عظيم البلاء**»(١).

والصبر عند الصدمة الأولى اللهم اجعلنا من الصابرين واجعلنا من عبادك الصالحين آمين يارب العالمين.

(**والشكر**) وهو لغة المدح والثناء على وجه التعظيم وعرفا هو تعظيم المنعم على مقابلة نعمه على حد يمنعه عن جفاء المنعم.

وقال التستري السقطي قدس الله تعالى سره العزيز: الشكر إقرار العبد بإنه عاجز عن الشكر.

وقال الشبلي: الشكر رؤية النعم من الله تعالى والله تعالى.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن فضيلة الشكر كثيرة لكن يكفيك ما قاله الشيخ الإمام في الإحياء وهو: أنه روي عن عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فقالت: فبكت فقالت: وأي شأنه عليه السلام لم يكن عجبا أنه أتى في ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت: في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قل: يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت: قلت إني أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ و لم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن الرواية المشهورة (إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ). أخرجه الترمذى (٦٠١/٤، رقم ٢٣٩٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٣٣٨/٢، رقم ٤٠٣١). وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (١٤٤/٧، رقم ٩٧٨٢)، والقضاعى (١٧٠/٢، رقم ١١٢١).

وما تأخر قال: أفلا أكون عبدا شكورا و لم لا افعل وقد أنزل الله على في هذا الليلة ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآية[١].

وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبدا إلى هذا السر يشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فأنطقه الله تعالى فقال: منذ سمعت قوله تعالى ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: ٢٤] فإنا أبكي من خوفه فسأله أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مرة مثل ذلك فقال: لم تبكي الآن؟ فقال: ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور، وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا يزال قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا انتهى.

ثم اعلم أن لكل من الأعضاء والإنسان شكرا فشكر العين أن لا تنظر إلى الحرام، وشكر الأذن أن لا تسمع إلا الحق، وشكر اللسان أن لا يكذب ولا يغتاب، وشكر القلب أن لا يغفل عن ذكر الله تعالى، وشكر اليدان لا تناول إلى حرام، وشكر الرجل أن لا تمشي إلى ما حرم الله تعالى، وشكر البطن أن لا تأكل لقمة من الحرام، وشكر الفرج أن لا يزني.

(**والتوكل**) وهو في اللغة إظهار العجز والاعتماد على الغير، وفي الشرع هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس.

(**واليقين**) وهو في اللغة العلم الذي لا شك معه كما مر، وفي الاصطلاح هو اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابق للواقع غير ممكن الزوال، وعند الصوفية هو استيلاء العلم اللدني على القلب.

(**واستغراقه فيه والسخاء**) وهو بذل المال زائد على الواجب لنيل الثواب أو فضيلة الجود، وتطهير النفس عن زوال البخل مع الاحتراز عن الإسراف قال: الله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ [الإسراء:٢٩].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ٤/٨١.

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧].

(**والقناعة**) بتخفيف النون، وهو في اللغة الرضاء بالقسمة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو السكون عند عدم المألوفات وقيل: هو الاكتفاء باليسير من الدنيا بلا طلب الزيادة.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الفقر محمود ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق، لأن الطمع يعمي الرجال عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون مقدرا في الأزل أن يكون كما حكي أن رجلا صاد قبره يقال لها بالتركي: طور غاي قوم، فقالت ما تريد أن تصنع بي قال: أذبحك وآكلك قالت: والله ما أشفي من هرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي أما واحدة وإنا فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل، قال: هات الأولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها، فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالا فعض على شفتيه وتلهف، فقال: هات الثالثة، قالت: أنت قد نسيت ثنيتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا ولحمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت، وإذا عرفت هذه الحكاية فقد علمت أن الطمع يعمي المرء عن درك الحق هذا.

(**وطمأنينة النفس**) أي: سكون النفس. الطمأنينة السكون يقال: طمأن الرجل اطمئنانا، وطمأنينة، أي: سكن والحلم بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وهو الطمأنينة عن ثورة الغضب وقيل: هو تأخير مكافأة الظالم.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الحلم من أخلاق الصحابة والتابعين، روي أن رجلا سب ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - فلما فرغ قال: يا عكرمة هل لهذا الرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه استحياء منه.

وحكي: أن رجلا شتم الأحنف بن قيس وهو يمشي في الطريق فلما قرب من الحي قال: للشاتم: إن بقي في قلبك شيء فقل لي كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فبيجيبك.

ثم أعلم أن في فضيلة الحلم أخبار كثيرة، قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: عليه السلام: « **ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ الله، قلت: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، و تَحْلَمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ** »(١).

وقال النبي عليه السلام: «**إن الرجل المسلم لَيُدْرِكُ بِالحِلْمِ دَرَجَةَ الصّائِمِ القائِمِ** »(٢).

وقال عليه السلام: «**إذا جمع الخلائق يوم القيامة ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس فينطلقون سراعا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقول الملائكة: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كُنَّا إِذَا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا، وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا، فَيَقَالَ لَهُمُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** »(٣).

وما ورد في فضيلة الحلم من الأخبار خارج عن الحصر فيكفي لأهل العلم من هذا القدر.

(والتواضع) وهو في اللغة الإخفاض، وفي الاصطلاح الركون إلى رؤية النفس دون غيره.

وقال فضيل: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن التواضع من خصال المتقين وبه يصلون إلى المقامات العالية نعم ما قيل:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق: (٢٤/١، رقم ٢٣).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٣٢/٦، رقم ٦٢٧٣)، قال الهيثمى (٢٤/٨): فيه عبد الحميد بن عبيد الله بن حمزة، وهو ضعيف جدًا. وأخرجه أيضًا: الديلمى (١٩٤/١، ٧٣٢).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٦، رقم ٨٠٨٦)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٢٠٣/٨، رقم ٧٧٨٦).

إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقي المعالي يرتقي

والأخبار الدالة على فضيلة التواضع كثيرة إن أردت أن تعلمها فاطلب من الإحياء.

(**والعلم**) قد مر تعريفه في خطبة الرسالة.

(**والصدق**) وهو في اللغة مطابقة للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل هو: أن لايكون في أحوالك شوب خلط ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب.

(**والحياء**) هو انقباض النفس عن شيء وتركه حذار عن اللوم فيه.

واعلم أن الحياء على قسمين أحدهما النفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس، والآخر الحياء الإيماني وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى، والمراد بالحياء هنا الحياء الإيماني.

(**والوفاء**) وهو في اللغة ضد الغدر وفي الاصطلاح هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء.

(**والوقار**) وهو التأني في الهيئة.

(**وغض البصر**) وقيل: هو التأني في التوجه نحو المطالب لأنه قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الذلل.

(**والسكون**) وهو التأني في الخصومات والحروب والتأني وهو التأخير والتمهل وأمثالها من الأخلاق الحميدة التي ترتقي إلى ثمانية وسبعين على ما ذكر في الطريقة.

وإذا كان الشيخ المرشد موصفا بما ذكر (**فهو**) أى الشيخ المرشد.

(**إذا**) أي: حين كونه متصفا بهذه الأخلاق الحميدة.

(**نور من أنوار النبي عليه السلام**) يعني أن مثل هذا الشيخ نور من أنواره عليه السلام.

(**يستضيء به السالك**) ويزيل عنه الظلمات التي هي قواطع الطريق من مكائد الشيطان وحيله.

(**يصلح الاقتداء به**) أي: بذلك الشيخ الموصوف بهذه الأوصاف الحميدة.

(لكن وجود مثله) أى مثل هذا الشيخ الموصوف بها.

(نادر وأعز) أي: أقل.

(من الكبريت) بكسر الكاف والراء المهملة.

(الأحمر) أي: من كيمياء الذهب الخالص. قال في قوت القلوب: الكبريت الأحمر هو كيمياء الذهب الذي يعمل من الذهب الخالص، وقيل: قوله من الكبريت صفة لموصوف محذوف أي أعز من الذهب الخالص الأحمر والكبريت بمعني الخالص يقال: ذهب كبريت أى خالص صرح به في الصحاح انتهى.

لكن الأنسب لهذا المقام المعنى الأول ولذا فسرنا به والحاصل أن الشيخ الموصوف بهذه الأوصاف الحميدة في عصرنا من المعدومات الممكنة التي لها اجسام مجردة بلا مسمياتها كالكبريت الأحمر والأكبر والعنقاء وهل يحكى عن تحقيق فرد من أفراد هذه المذكورات أحد من العقلاء وإن وجد مثل هذا الشيخ فهو مخفي لكثرة الفتن وأهل الهواء والبدع والملاحدة والزنادقة ولقلة سلوك الناس.

واعلم أن هذا اللفظ أعني الكبريت الأحمر من ضروب الأمثال مثلا إذا كان الشيء معدوما يشبه به، ويقال: هو معدوم كالكبريت الأحمر.

ولما قال: الشيخ الإمام: لكن وجود مثله نادر وأعز من الكبريت الأحمر توهم منه أن من أراد السلوك وطلب مثل هذا الشيخ فلا يجده، فإذال لذلك التوهم بقوله: **(ومن)** أي: السالك الذي.

(ساعدته السعادة) أي: عاونته السعادة الأخروية ووافقته يقال: ساعده، أي: عاونه ووافقه.

(فيجد شيخا كما ذكرنا) أي: مثل الشيخ الذي ذكرنا أوصافه.

(وقبله) من القبول من باب علم أى قبل الشيخ السالك.

(ينبغي) أي: يجب على السالك.

(أن يحترم ظاهرا وباطنا) أي: في الظاهر والباطن، وهذا ثان من الأشياء الأربعة التي يجب على السالك.

(**أما الاحترام الظاهر فهو**) أي: احترام الظاهر.

(**أن لا يجادله**) أي: أن لا يجادل السالك الشيخ ولا يعارضه في السلوك.

ومن الاحترام الظاهر (**أن لا يشتغل بالاحتجاج**) أي: بالحجة.

(**معه**) أى مع الشيخ في كل مسألة.

(**وإن علم**) أي: ولو علم السالك.

(**خطأه**) بالقصر.

(**وقديمه**) أي: خطأ الشيخ، لأن سلوك هذا الطريق إنما يكون بالتسليم الكلي للشيخ وعدم الاعتراض على قوله وفعله وإن كان فعله منكرا صورة، لأن من دأب العارفين بالله تعالى، والواصلين إلى الله أن يرون السالك فعلا منكرا في الظاهر لاختبار تسليمه وانقياده ولامتحان لباقتة إلى الإرشاد ولا بد للسالك أيضا أن يعلم أن نفعه خطاء شيخه أن أخطاء أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب.

ومن الاحترام الظاهر (**أن لا يلقي**) من الإلقاء.

(**بين يديه**) أي بين قدام الشيخ.

(**سجادته إلى وقت أداء الصلاة فيلقي سجادته بين قدامه، فإذا فرغ**) أي: الشيخ من الصلاة.

(**يرفعها**) أي: يرفع السالك سجادته.

ومن الاحترام الظاهر (**أن لا يكثر**) من الإكثار.

(**من نوافل الصلاة بحضرته**) أي في حضور الشيخ بل يقتصر على الفرائض والرواتب.

ولابد للسالك أيضا (أن لا يكثر من الأوراد الظاهرة بل يكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلوة عن ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا علائقه.

ومن الاحترام الظاهر (**أن يعمل**) أي: السالك.

(**ما**) أي الذي.

(يأمره) الشيخ حال كونه.

(من العمل بقدر وسعه) أي بمقدار قوته وطاقته وهذا المذكور من قوله أن لا يجادله إلى هنا هو احترام الظاهر.

ولما فرغ الشيخ الإمام من بيانه شرع في بيان احترام الباطن فقال: **(وأما احترام الباطن فهو أن كل ما)** أي: الذي.

(يسمع) أي: يسمعه السالك.

(ويقبل منه) أي: من الشيخ.

(في الظاهر لا ينكره) أي لا ينكر ذلك الشيء في الباطن بل يقبله بقبول حسن في باطنه.

(لا فعلا) أي: لا ينكر فعلا.

(ولا قولا) يعني أن كل ما يقبله السالك من الشيخ المرشد في الظاهر لا ينكره في الباطن سواء كان فعلا أو قولا.

(لئلا يتسم) من الاتسام وهو الاتصاف بالشيء من الوسمة وهي العلامة أصله يوتسم قلبت الواو تاء، ثم أدغمت التاء في التاء فصار يتسم.

(بالنفاق) أي لا يكون السالك متصفا ومعلما بالنفاق فضلا عن أن يكون سالكا.

(وإن لم يستطع) أي وإن لم يقدر القبول في الباطن كما قبل في الظاهر.

(يترك) بالجذم على أنه جواب الشرط.

(صحبته) أي صحبة الشيخ.

(إلى أن يوافق باطنه) أي باطن السالك؛ لأنه ما لم يوافق باطنه ظاهره لم ينعكس له أسرار الطريقة والحقيقة.

(وينبغي له أيضا أن يحترز عن مجالسة صاحب السوء)بالضم أي القبح هذا هو الثالث في الأشياء الأربعة الواجبة على السالك.

(ليقصر) من القصر، أي: التقصير، أي: لا ينقص السالك.

obeikandl.com

(ولاية شياطين الأنس والجن) أي محبة مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى من البيانية، وقيل: هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الأنس والجن الشياطين، وقيل: هي بمعني اللام أي الشياطين التي للإنس والتي للجن. الولاية بفتح الواو المحبة.

(من صحن قلبه) أي: من وسط قلبه.

قال في القاموس: الصحن. جوف الحافر والعيس العظيم، ووسط الدار انتهى[1]. والمراد به هنا الوسط.

وإنما قدم الشيخ الإمام شياطين الأنس على الجن تنبيها على أنهم أسوأ ضلالة من شياطين الجن لأنهم يوسوسون في قلوب الناس فقط، وشياطين الأنس يأخذون أيديهم فيذهبون بهم إلى موضع المعصية، وهم قرناء السوء نعوذ بالله من شرورهم.

(فيصفى) من التصفية، أي: حتى أن يجعل السالك قلبه صافيا وخالصا.

(عن لوث الشيطنة) بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة التحتانية وفتح الطاء المهملة بعدها نون وتاء مثناه فوقانية وهي غاية الخبث، قيل: الشيطان مشتق من الشيطنة لغاية خبثه واللوث اللطخ يقال بالفارسية اكوون قوله عن لوث الشيطنة بالتركي: شيطانلق وزيادة خبث قرشمندن وبولاشمندن.

والحاصل أن الواجب على السالك أن يحترز عن مجالسة قرناء السوء لأنه مهما كان جالسا معهم لم يقصر محبته عن قلبه إلى شياطين الأنس وهم هؤلاء وإلى شياطين الجن بل يزيدها في قلبه بسبب المقارنة والمصاحبة فمن أحبهم لم يجعل قلبه صافيا عن لوث الشيطنة، فالقلب الذي لم يكن خالصا عن الكدورة واللوث لا ينعكس له مرآة الطريقة وأسرار الحقيقة ولهذا ينبغي على السالك أن يحترز عن مجالستهم.

(هذا وينبغي للسالك أيضا على كل حال أن يختار الفقر على الغنى) بالكسر والقصر وهو معروف وهذا هو الرابع من الأشياء الأربعة الواجبة على السالك وإنما كان اختيار الفقر واجبا على السالك لأنه راحة في الدنيا والآخرة والغنى يوشوش القلب ويمنع الوصول إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ١٢١٠/١.

والفقر هو الرضا بما قسمه الله له مع طيب نفسه، وقيل: هو عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا، وقال أهل المعرفة: هو الأنس بالمعدوم والوحشة بالمعلوم.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن الفقر ممدوح ومختار رسول الله عليه السلام حيث قال: « **الْفَقْرُ فَخْرِي** »(١).

وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «**ما كان يبقى على مائدة رسول الله من خبز الشعير قليل ولا كثير**»(٢).

وروي أيضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: « **كان يأتي علينا الشَّهرُ ما نُوقِدُ فيه نارا، إنما هو التَّمر والماء، إلا أن نُؤْتَى باللُّحَيم** »(٣)

وفي رواية: « **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ ثَلاثًا حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ**»(٤).

وفي روايه: « **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم**»(٥).

وروي عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه قال: « **شَكَوْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوعَ، ورفعنا ثِيَابَنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ إلى بُطونِنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حَجَرَيْنِ** »(٦) يعني شكونا إلى رسول عليه السلام عن الجوع ليشفع لنا في رفعه

---

(١) هذا الحديث (الفقر فخري وبه أفتخر) قال العسقلاني: هو باطل موضوع. وجزم الصغاني بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ.

انظر: الجد الحثيث ١/١٥٥، والفوائد الموضوعه ١/١١٦، واللؤلؤ المرصوع ١/١٣٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/١٥٧، ١٥٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/٢٣٧٢، رقم ٦٠٩٣)، وابن حبان (١٤/٢٧٥، رقم ٦٣٦١).

(٤) أخرجه مسلم (٤/٢٢٨٢، رقم ٢٩٧٠).

(٥) أخرجه الطيالسى (ص ١٩٨، رقم ١٣٨٩)، وأحمد (٦/٩٨، رقم ٢٤٧٠٩).

(٦) أخرجه الترمذي: (٢٣٧١). وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ورفع كل واحد منا ثوبه عن حجر ملصق ومنضم إلى بطوننا فرفع رسول الله عليه السلام عند ذلك ثوبه وقد ظهر من تحته حجران قد شدا على بطنه ليريهم أنه لم يؤثر نفسه عليهم

=

قال الحافظ في "الفتح": وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر.

وقال الكرماني: لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر؛ لأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شيء مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل. [تحفة الأحوذي ٣٣/٧]

وفي مرقاة المفاتيح ١٦٢/١٥: (عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ)، أي: لكل منا حجر واحد ورفع عنه، فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه عن حجرين). قال الطيبي رحمه الله: " عن " الأولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف، والثانية صفة مصدر محذوف أي: كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر، ويجوز أن يحتمل التنكير في حجر على النوع أي: عن حجر مشدود على بطوننا، فيكون بدلا، وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد على بطنه حجرا ليقوم به صلبه انتهى. وتوضيحه أن تعلق حرفي جر بمعنى العامل في مرتبة واحدة غير جائز، أما تعلق الثاني بعد تقييد الأول فجائز كما تتقرر في محله، فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه، وأما تجويز البدل على أنه بدل اشتمال بإعادة الجار مع أن بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير البدل، فمبني على أن يراد بالحجر النوع، والتقدير عن حجر مشدود عليها، وكلام الطيبي رحمه الله يوهم أن القول بالبدل كلامه، وقد نقل ميرك عن زين العرب أنه قال: بدل اشتمال كما تقول: زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق، وقيل: فائدة شد الحجر على البطن أن لا يدخل النفخ في الأمعاء الخالية، وأن نفس شد الأمعاء إعانة على شد الصلب، وقال: إنما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن وينزل المعى فيشك التحرك، فإذا ربط حجرا على بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة، وإذا اشتد الجوع يربط حجرين، فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرهم جوعا أكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين. قال صاحب المظهر: وهذا عادة أصحاب الرياضة. وقال ابن حجر رحمه الله: هذا عادة العرب أو أهل المدينة. وقال صاحب الأزهار: في ربط الحجر على البطن أقوال أحدها: أن ذلك أحجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا إذا جاع أحدهم يربط على بطنه حجرا من ذلك، وكان الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع والحرارة. وقال بعضهم: يقال لمن يؤمر بالصبر اربط على قلبك حجرا، فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالصبر وأمر أمته بالصبر قالا وحالا، والله تعالى أعلم.

وأنه أوفر حظا منهم فيما يشكونه إليه لينتهوا عن ذلك وليعلموا أن الجوع أمر محمود للعبد لما فيه من كسر النفس والشهوة.

ثم أعلم أن هذه الوقعة أعني شكاية الصحابة عن الجوع وقعت في قصة الخندق المسماة بغزوة الأحزاب لاجتماع طائفة المشركين على أحزاب المسلمين وكانت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة وكان أحد جانبي المدينة مكشوفا وسائر جوانبها مشددا بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها فاختار النبي عليه السلام ذلك الجانب المكشوف للخندق بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فخط رسول الله عليه السلام أولا موضع الخندق ثم قسمه لكل عشرة أذرع وجعل عسكره تحت جبل سلع وضربت له قبة من الأديم الأحمر على قرن الجبل في موضع مسجد الفتح والخندق وبينه وبين المشركين وكان حفره في زمن العسرة وعام المجاعة وكان الأصحاب يشدون في بطونهم الحجر من الضعف والجهد الذي أصابهم من الجوع فرفع كل واحد منهم ثوبه عن حجر ملصق إلى بطنه فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين، وتمام القصة مذكور في كتب التواريخ.

ولما فرغ من بيان ما يجب على السالك شرع في بيان الخصلتين للتصوف، فقال مخاطبا للولد:

(**اعلم أيها الولد أن التصوف**) وهو الخروج من كل خلق دنيء والدخول في كل خلق سني. وقيل: هو اختيار العزلة واتباع الشريعة والنطق بالحكمة، وقيل التصوف ترك الدعاوى وكتمان المعاني، وله تعريفات أخر فاطلبها من كتب التصوف.

(**له**) أي للتصوف.

(**خصلتان الأولى: الاستقامة**) وسيجيء معنى الاستقامة بعيد هذا.

(**والثانية السكون من الخلق**) بمعنى أن لا يؤذي الخلق وأن يعاملهم بحسن الخلق.

(**فمن استقام وحسن خلقه**) بضمتين، ويسكن الثاني تخفيفا كما مر بالناس، وسيجيء معنى حسن الخلق بالناس بعيد هذا. وعاملهم بالحلم.

(**فهو**) أي الرجل الموصوف بالاستقامة وحسن الخلق صوفي.

واعلم أن أهل التصوف تفرقوا على اثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون وهم الحلولية والحالية والإلياسية والشمراخية والحبية والحورانية والإباحية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والإلهامية.

فالحلولية تقول النظر إلى الوجه الجميل من النساء والمرد حلال، وفيه صفة الحق تعالى.

والحالية تقول الرقص وضرب اليد حلال، وللشيخ أن لا يعتبر فيه الشرع.

والأولياسية تقول: إذا وصل العبد إلى مرتبة الولاية سقط عنه التكاليف ويقولون الولي أفضل من النبي لأن علم النبي بواسطة جبرائيل وعلم الولي بغير واسطة.

والشمراخية تقول الصحبة قديمة وبها يسقط الأمر، والنهي فيحلون الملاهي والمناهي.

والحبية تقول: إذا وصل العبد إلى درجة المحبة عند الله تعالى يسقط عنه التكاليف الشرعية ولا يسترون عورتهم فيما بينهم.

والحورية تقول: مثل ما تقول الحالية لكنهم يدعون وطئ الحور في حالاتهم فإذا أفاقوا اغتسلوا.

والإباحية تقول بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحلون الحرام.

والمتكاسلة يتركون الكسب ويسألون عن الأبواب، ويدعون ترك الدنيا.

والمتجاهلة يلبسون لباس العشاق على ظاهرهم ويدعون باطنهم.

والواقفية يتركون طلب المعرفة ويقولون: لا يعرف الله غير الله قط.

والإلهامية يتركون طلب العلم والدرس ويقولون القرآن حجاب والأشعار قرآن عظيم الطريقة فيتركون القرآن ويتعلمون الأشعار فهلكوا بذلك. نعوذ بالله تعالى من شرورهم.

اللهم ثبت اعتقادنا على اعتقاد أهل السنة والجماعة وأقوالنا على أقوالهم.

ولما بين هاتين الخصلتين للتصوف شرع في بيان معنيي الاستقامة وحسن الخلق بالناس فقال:

(**الاستقامة هي أن يفدي نفسه**) أي أن يفدي المرء ويعطي نفسه.

(لنفسه) يعني أن يفدي المرء نفسه بالأعمال الصالحة حتى يعود ثمرتها ونفعها إلى نفسه. فاللام في قوله: لنفسه للمنفعة والضميران في قوله لنفسه راجع إلى الله تعالى ففيه تعسف، وما قيل في تفسير قوله: أن يفدي نفسه لنفسه من أن معناه أن يفدي المرء نفسه الأمارة. للإجازة لنفسه أي لنجادة نفسه المطمئنة ففيه تكلف بحسب الظاهر لكن مآله راجع إلى ما قلنا فافهم.

قال السري السقطي: الاستقامة أن لا يختار على الله تعالى شيئا.

وقال عالم: الاستقامة الخوف من العزيز الجبار والحب للنبي المختار والحياء من الملائكة الحضار.

وحكي عن بعض أهل الرياضة أن الاستقامة على وجوه: استقامة القلب على الذكر والثناء، واستقامة النفس على الطاعة والحياء واستقامة الروح على الصدق والوفاء واستقامة الشرع على التعظيم والصفاء.

ولما فرغ من بيان معنى الاستقامة، شرع في بيان معنى حسن الخلق بالناس، فقال: **(وحسن الخلق بالناس هو أن لا تحمل الناس على مراد نفسك بل تحمل نفسك. على مرادهم)** أي على مراد الناس.

(ما لم يخالفوا الشرع) أي مدة عدم مخالفتهم الشرع فإذا خالفوه في الأقوال والأفعال فلا تحمل نفسك على مرادهم لما قيل لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

قال الحسن البصري رحمة الله تعالى عليه: حسن الخلق بذل المحيا وكف الأذى وبذل الندى والعفو عمن جنى، قال النبي عليه السلام: «**يا أبا هريرة؛ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ**» فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: «**تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٨/٤ رقم ١٧٤٨٨)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ٢٢، رقم ١٩)، والطبراني (٢٦٩/١٧ رقم ٧٣٩)، والحاكم (١٧٨/٤، رقم ٧٢٨٥). وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢/٦، رقم ٧٩٥٩).

(**ثم**) أي بعد ما علمت الخصلتين للتصوف.

(**أنك سألتني عن العبودية وهي**) أي العبودية.

(**ثلاثة أشياء أحدها**) أي أحد الأشياء الثلاثة.

(**محافظة أمر الشرع**) أي محافظتك أمر الشارع سواء كان من جهة المأمورية أو من جهة المنهي عنه.

(**وثانيها**) منها.

(**الرضا**) أي طيب نفسك.

(**بالقضاء**) أي بالحكم الآلهي في الأزل لك.

(**والقدر**) أي بتقدير الله تعالى من القضاء والرضا وهو طيب النفس فيما يصيب الإنسان ويفوته مع عدم التغيير ومع التسليم لله تعالى والقدر ما يقدره الله تعالى من القضاء والفرق بينهما أن القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات في الكتاب المبين واللوح المحفوظ مجتمعة ومجملة على سبيل الإبداع والقدر عبارة عن وجودها منزلة في الأعيان بعد حصول شرائطها مفصلة واحدا بعد واحد كذا قيل. (**وثالثها**) منها.

(**ترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى**)

قال عيسى عليه السلام: العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى، وقيل: أي أن يكون العبد عبد الله أي منقادا لأوامره في كل حال كما أنه تعالى ربه في كل حال.

(**وسألتني عن التوكل هو**): أي التوكل.

(**أن تستحكم اعتقادك**) أي أن تجعل اعتقادك محكما وقويا.

(**بالله تعالى فيما**) أي في القدر الذي.

(**وعد**) أي وعد الله تعالى لك يعني قدرة الله تعالى لك في الأزل.

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبرائيل عليه السلام عن التوكل، وقال: الإياسة عن الخلق وتعلم أن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع.

obeikandi.com

يعني أن التوكل أن تعتقد أنت أن ما قدر لك في الأزل سيصل ذلك الشيء قريبا إليك.

(لا محالة) بفتح الميم أي لا تحول ولا انتقال عنك فقوله: لا محالة مصدر ميمي بمعنى التحول من حال إلى كذا أي تحول إليه وخبر لا محذوف أي لا محالة موجودا، وما يقال في تفسيره في أن معناه البته فهو أخذ الحاصل المعنى وإبراز لما هو المقصود.

(وإن اجتهد) أي لو اجتهد.

(من في العالم) بفتح اللام وهو ما سوى الله تعالى من الموجودات سواء كان في ذوي العقول أو غيرها.

(على صرفه) أي على رد ذلك الشيء الذي قدر لك في الأزل عنك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

(وتعتقد أن ما لم يكتب لك) أي لم يقدر لك في القديم.

(لن يصل) أي لا يصل ذلك الشيء الذي لم يقدر لك البته إليك وفي بعض النسخ لن تصل إليه.

(وأن ساعدك) أي ولو عاونك ووافقك جميع العالم على إيصاله إليك، لأن مالك الملك والمتصرف فيه هو الله تعالى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يفعله في ملكه ما يشاء ويحكم في خلقه ما يريد.

(وسألتني عن الإخلاص وهو) أي الإخلاص.

(أن تكون أعمالك كلها لله تعالى) لا لغرض من الأغراض الدنيا ولا للرياء والسمعة.

قال عالم: الإخلاص أن لا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى.

وقال أبو عثمان: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

(لا يرتاح قلبك) أي لا يفرح قلبك ولا يكن مسرورا.

(بمحامد الناس) جمع محمدة وهي بكسر الميم مصدر بمعنى المدح وبفتحها خصلة يحمد عليها والمراد هنا الأول، قوله لا يرتاح خبر لفظا وإنشاء معنى كما أشرنا إليه آنفا.

وكذا قوله: **(ولا ييأس)** أي لا يحزن قلبك.

(بمذامتهم) بتشديد الميم جمع مذمة بمعنى الذم يعني لا يحزن قلبك بمذام الناس لأنهم لا يقدرون على إيصال شيء إليك من النفع والضر فلاتكن مسرورا بمحامدهم ومحزونا بمذامتهم.

واعلم أيها الأخ: أن الإخلاص من الأخلاق الحميدة وعليه يتوقف قبول كل عمل لأن الله تعالى لا يقبل عملا فيه رياء؛ فتشمر أن لا يوجد في عملك مرآة للخلق لأنهم عاجزون عن شيء ما لا يقدرون على الشيء جلبا ولا نفعا ولا يملكون لهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا فعليك أن تقنع بعلم الله تعالى عبادتك له ولا تطلب علم غيره بها ألـيس الله بكاف عبده.

وأن تذكر وتكرر غوائل الرياء التي من جملتها ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلأَصْغَرُ، قالوا: مَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يا رسول الله؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يقول الله تعالى عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: اذْهَبُوا إلى الَّذِينَ كُنْتُم تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً** »[1].

وأن تفكر فوائد الإخلاص وهي رضاء الله تعالى وقبول العمل والنجاة والفوز بالمطلوب يوم القيامة هذا وكن من الشاكرين والعاملين.

ولما فرغ رحمه الله تعالى من بيان الإخلاص شرع في بيان ضده الرياء فقال مخاطبا للولد: **(اعلم أن الرياء)** بكسر الراء وتخفيف الياء وبالهمزة مصدر رآءى يرآءى مراياة ورياء وهو في اللغة إظهار الشيء على خلاف ما هو عليه وفي الاصطلاح هو إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة.

قال الشيخ في جواهر القرآن: حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات انتهى.

---

(١) أخرجه الطبراني: (٤٣٠١). وقال الهيثمي ١٠/٢٢٢: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة.

(يتولد) أي يحصل.

(من تعظيم الخلق) أي من تعظيمك الخلق، فالمصدر مضاف إلى المفعول وذكر الفاعل متروك يعني أن الرياء يحصل من أن تظنهم ذوي العظمة والقدرة على ما أرادوا في المنفعة والمضرة، وذلك لأنه متى تحسبهم ذوي العظمة والاحترام وتعلمهم ذوي القدرة وإلارام على كل ما أرادوا من المنافع والآلآم أردت إراداتهم العبادات والطاعات لتجلب المنافع وتدفع المكروهات وليس هذه الإرادة إلا الرياء.

ولما كان الرياء مرضا من الأمراض العظيمة للقلب التي لا تداوى إلا بمعجون العلم والعمل شرع في بيان علاج العمل فقال: **(علاجه)** أي علاج الرياء العملي.

(أن تراهم) أي أن تعلم الخلق بيقين.

(مسخري القدرة) أي مذللين.

(ومنقادين) أي تحت قدرة الله تعالى وعظمته، يقال: سخره تسخيرا ذلله قوله: مسخري جمع أصله مسخرين سقطت النون بالإضافة إلى القدرة.

(وتحسبهم) أي وأن تظنهم.

(كالجمادات) وهي عبارة عن الذي لا يزيد ولا ينقص وكالحجر والشجر وغيرهما.

(في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة) أي في عدم قدرتهم إيصال الراحلة والمشقة إليك لأن موصلهما إلى العبد ليس إلا الله تعالى كما نطق به، قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] من النعمة والبلية فظنك إياهم ذوي قدرة وإرادة ناشئ من جنونك كما قال النبي عليه السلام: «**العقل نور في القلب بمنزلة بين الحق والباطل**»[(١)].

(لتخلص) أي: لكي تكون خالصا.

(من مرائاتهم) بضم الميم أي من مرائاتك إياهم فقوله: مرائات مصدر مضاف إلى مفعول وذكر الفاعل متروك يعني التخلص من طلب نظر الخلق إلى عملك لإقبالهم عليك.

---

(١) انظر: ربيع الأبرار ١/٣٠٠ والرواية فيه (العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل)، والعقد الفريد ١/١٦٩.

obeikandl.com

(**ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادة**) أي صاحبي قدرة وإرادة في إيصال الراحلة والمشقة.

(**لن يبعد**) أي لا يكون بعيدا.

(**ألبته عنك**) الرياء هذا هو علاج الرياء العلمي.

أما علاجه العملي فقد ذكره الشيخ الإمام في الإحياء.

obeikandl.com

النصيحة التاسعة عشر

اعمل بما تعلم

• أيها الولد..!!

والباقي من مسائلك بعضها مسطور في مصنفاتي، فاطلبه ثَمّة، وكتابة بعضها حرام، اعمل أنت بما تعلم، لينكشف لك ما لم تعلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١).

(فاطلب ثمة أيها الولد الباقي من مسائلك بعضها إلى بعض تلك مسائل مسطور) أي مكتوب يقال سطره أي كتبه.

(في مصنفاتي) أي: في الكتب التي صنفها كالإحياء، ومنهاج العابدين، وبداية الهداية، وغيرها فاطلب ذلك البعض من المسائل.

(ثمة) بفتح الثاء المثلثة والميم المشددة وبعدها هاء السكت وهو من أسماء الإشارة للمكان أي هناك.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١\٧١: أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه.

وقال الكلاباذي في " بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار " ١/١٣٠: فقد شرط لوراثة هذا العلم العمل بعلم الدراسة الذي هو علم الاكتساب، وهو علم الأحكام بعد أحكام علم التوحيد، وهذا علم الدراسة، وعلم الوراثة: علم آفات النفس، وآفات العمل، وخدع النفس، وغرور الدنيا، وأخبر أن من عمل بعلم الاكتساب ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم، وهو علم الإفهام، وفي نسخة « علم الإلهام »، والفراسة الذي هو النظر بنور الله عز وجل؛ فإنه قال صلى الله عليه وسلم: « اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل »، وقال صلى الله عليه وسلم: « ومن ورثه الله تعالى هذا العلم، فهو الذي شرح الله صدره للإسلام »، فهو على نور من ربه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « النور إذا دخل القلب انشرح وانفتح »، فقيل: وما علامة ذلك؟ فقال: « التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل دخوله، ومن تجافى عن الدنيا كشف عن سره الحجب، فصار الغيب له شهودا » قال حارثة رضي الله عنه: عزفت نفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا.

(**وكتابة بعضها**) أي بعض تلك المسائل.

(**حرام إلا إنك**) أي لكن أنك.

(**اعمل أنت بما أدى**) بالذي تعلم.

(**لينكشف**) أي لأن يتضح ويظهر لك ما لم تعلم.

obeikandl.com

النصيحة العشرون

لا تسألني قبل الوقت

• أيها الولد..!!

بعد اليوم لا تسألني ما أُشكل عليك إلا بلسان الجنان، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الحجرات:٥].

واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قال: ﴿فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠].

ولا تستعجل حتى تبلغ أوانه يكشف لك وتراه: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء:٣٧].

فلا تسألني قبل الوقت، وتيقن أنك لا تصل إلا بالسير لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ [فاطر:٤٤].

(أيها الولد: بعد اليوم سلني أمر من سئل ما أشكل عليك بلسان الجنان) بفتح الجيم وهو القلب يعني سلني بعد اليوم ما أشكل عليك بلسان الحال لا بلسان المقال.

(بل فاصبر) حتى أعلمه إليك وأخبر به كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحجرات: ٥].

(لكان) أي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والإشفاق بالمسئول وهذه الآية الكريمة نزلت في شأن نفر والتفصيل مذكور في تفسير أبي الليث ومناسبتها في هذا المقام ظاهرة على أولي الإفهام الذين هم ذوو الاحترام.

(واقبل): أمر من القبول من باب علم يعلم.

(نصيحة الخضر لموسى عليه السلام حين كان مصاحبا له) الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمة لقبه وكنيته أبا العباس واسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناه، وهو من نسل نوح عليه السلام وكان أبوه من الملوك، وإنما لقب به لأنه إذا

جلس على أرض بيضاء فصارت خضراء، ثم اختلفوا فيه قال بعض: إنه من الملائكة وبعض: إنه ولي والأكثرون على أنه كان نبيا قيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين ارتفع القرآن وذلك متفق عليه عند أهل التصوف والمعرفة لأن حكايتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة وكالموه أكثر من أن يحصى كذا في شرح المشارق لابن مالك.

ونصيحة الخضر لموسى عليه السلام قوله: **(فلا تسألني عن شيء تشاهده من أفعالي)** أي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض.

(حتى أحدث لك ذكرا) أي حتى ابتدئ ببيانه، وفيه إيذان بإن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة منه. وهذا أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع والسالك مع الشيخ.

واعلم أيها الأخ العزيز: أن في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليهما السلام حديثا طويلا وهو أنه روي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال عليه السلام: «**أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقال: أنا. فَعَتَبَ الله تعالى عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله تعالى إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، فقال موسى: يارب فكيف؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمة، فاتخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يُوشَعُ بْنِ نُونٍ، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هذَا نَصَبًا، ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قال: فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا، فقال موسى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى**

انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجى ثوبا، فسلم عليه موسى فقال الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يا موسى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وأنت على عِلْمٍ من علم الله لا أعْلَمُهُ، فقال موسى عليه السلام: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فقال له الخضر: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نَوْلٍ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى عليه السلام: قوم حملونا بغير نَوْلٍ عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، قال: وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: فكانت الأولى من موسى نِسْيَانًا، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قال: وهذه أشد من الأولى، قال: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قال: فأقامه الخضر بيده، فقال له موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ – إلى قوله – ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

إلى هنا ما رواه أبي بن كعب كذا في المشارق[1].

ولهذا الحديث الشريف فوائد منها: ترك إعجاب العالم بنفسه قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ومنها: استحباب الرحلة في طلب العلم والإكثار منه.

ومنها: أن يصبر المتعلم على الشدائد.

ومنها: تأخير الاعتراض على العلماء.

(وإذا علمت نصيحة الخضر لموسى عليه السلام. وقبلتها فلا تستعجل) نهي حاضر من الاستعجال.

(حتى تبلغ) أي وقت ما أشكل عليك أن تبلغ.

(آوانه) بالقصر أي وقته بالمد كمن وهم كما قيل: أتنكر لمن أبناء الزمان ووهم في لفظ الآوان ولو حاولت للأوهام ممدا إذا ضاقت عن البعض الأواني وكذا في أنوار المشارق.

(يكشف لك) بالبناء للمفعول مجذوم على أنه جزاء الشرط أعني حتى يكشف لك ما أشكل عليك وخفي.

(وأريت) بصيغة الخطاب الماضي المجهول من الإرادة أي وأبصرت.

والحاصل أيها الولد لا تستعجل في كشف مستور عليك أن تصل إلى وقته يكشف لك وأبصرت كما قال الله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنبياء: ٣٧] سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالإتيان بها وهذه الآية الكريمة نزلت في حق الكفار كما قررنا في كتب التفاسير وإنما ذكرها الشيخ هنا لمجرد مكان ذكر الإرادة في الاستقبال وعدم الاستعجال فيها وإلا مناسبة لها هنا في أصل المعنى.

---

(١) أخرجه البخارى (٥٦/١، رقم ١٢٢)، ومسلم (١٨٤٧/٤، رقم ٢٣٨٠)، والترمذى (٣٠٩/٥، رقم ٣١٤٩)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن. والنسائى فى الكبرى (٣٨٩/٦، رقم ١١٣٠٨)، وأحمد (١١٧/٥، رقم ٢١١٥٢)، والحميدى (١٨٢/١، رقم ٣٧١)، وأبو عوانة (٤٣٠/٣، رقم ٥٥٩٠)، وابن حبان (١٠٤/١٤، رقم ٦٢٢٠).

(وإذا تنقش في لوح ذهنك ما ذكرناه فلا تسئل قبل مجيء الوقت وتيقن) أمر من التيقن، أي: اعلم بيقين.

(أنك لا تصل أنت إلى مرادك إلا بالسير) أي: بالسياحة في أقطار الأرض لأنك ترى العجائب فيها وتشاهد الغرائب كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾[الروم:٩] أي اقصدوا في أماكنهم من لم يسيروا في الأرض فينظروا عطف على يسيروا والمعنى أنهم قد ساروا في أقطار الأرض وشاهدوا كذا في تفسير أبي السعود وهذه الآية الكريمة نزلت في حق الكفار أيضا كما تبين في كتب التفاسير، وإنما ذكرها الشيخ هنا لوجود الإشارة إلى السير وإلا فلا مناسبة هنا في أصل المعنى أيضا.

obeikandl.com

النصيحة الحادية والعشرون

إن تسر تر العجائب

• أيها الولد..!!

بالله؛ إن تسر تر العجائب في كل منزل، وابذل روحك؛ فإن رأس هذا الأمر بذل الروح، كما قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى لأحد من تلامذته: (إن قدرت على بذل الروح فتعال، وإلا فلا تشتغل بالترهات الصوفية).

(**أيها الولد: بالله**) أي بحق الله.

(**أن تسر**) من السير أصله تسير سقطت الياء لكونه فعل الشرط أي أن تسر في أقطار الأرض وجوانبها.

(**تر**) من الرؤية أصله ترى سقطت الياء أيضا لكونه جزاء الشرط.

(**العجائب**) جمع عجيب وهو ما إذا رأه أحد يتعجب منه.

(**في كل منزل**) من منازل سياحتك.

(**وابذل**) أمر من البذل من باب نصر.

(**روحك في هذا الطريق**) وتعريف الروح قد مر.

قال رحمه الله تعالى: وابذل روحك ألخ أيده قول ذي النون المصري فقال كما قال ذو النون المصري، قال القشيري اسمه ثوبان بن إبراهيم وكنيته أبو الفيض توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائتين انتهى.

وقال بعض من المؤرخين كان بين المشائخ مقربا وفضله عندهم مقررا ومكاشافته غير محدودة ورياضاته غير معدودة وكان يتكلم بالإشارات و لم يفهم كلامه في المعارف الإلهية إلا فحولهم و لم يعلم كمالاته في الدقائق الصوفية إلا أفطنهم.

ولذا قال ابن كثير من الرجال في عصره: إنه زنديق وظنه كثير من العلماء الظاهرين ملحدا حتى حبسوه في السجن ورأى أهله كراماته الكثيرة فيه روي أن خليفة عصره أعني الخليفة المتوكل ندم على هذا الفعل فأخرجه عنه واحترمه غاية الاحترام انتهى.

openkanal.com

وله رحمه الله تعالى كرامات كثيرة فاطلبها من كتب التواريخ لأحد من تلاميذه جمع تلميذ.

(إن قدرت على بذل الروح فتعال) بفتح لام أمر من تعالى يتعالى والأصل فيه تعالى سقطت الياء للوقف، لأن جزم الناقص ووقفه سقوط لام الفعل كما بين في علم الصرف أي ائت يقال بالفارسية بيا.

(وإلا) أي وإن لم تقدر على بذل الروح.

(فلا تشتغل بترهات الصوفية) أي لا تشتغل بالكلمات الباطلة للصوفية لأن رأس هذا السلوك بذل الروح لا الترهات.

obeikandl.com